

النسخة المصححة حسب توجيهات لجنة المناقشة
١٤٠٢/٧١٤ هـ

الاسم :
الترقيم :
التوقيع :
التاريخ :
١٤٠٢

الاسم :
الترقيم :
التوقيع :
التاريخ :
١٤٠٢

الجامعة العربية السعودية
جامعة دار الفؤى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا - فرع اللغة العربية



الجانب العربي

في أدب الرافعي

بحث مقدم
لدرجة الماجستير في الأدب العربي

إعداد الطالبة
نجاه محمد حيدر الهاشمي العباسي

إشراف الدكتور
محمد نبير حجاب
الأستاذ بالكلية

١٤٠٢ - ١٩٨٢ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَبِذَلِكَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
فَسْتَغْفِرُكَ وَيُغْفِرُكَ
وَيُغْفِرُكَ وَيُغْفِرُكَ

الحق في

تبين لى وأنا أطالع فى الكتب ، وأقرأ فى الاسلاميات لأدبائنا المعاصرين أن مصطفى صادق الرافعى هو بحق أديب الفكرة الاسلامية ، بما يحمله فى نفسه من عقيدة صادقة ، وإيمان راسخ ، وثقافة واسعة ، وتبصّر بأمور الدين نعم هو بحق أديب الفكرة الاسلامية ، بما حققه من أمجاد فى الدفاع عن الاسلام ، وفى حماية اللغة العربية ، وفى تمسكه بالجملة القرآنية التى كانت بمثابة نصال حادة يرسلها على أعداء الاسلام الذين يريدون النيل منه والتقليل من شأنه .

وقف الرافعى وقفة الشجاع فى ميدان القتال متصديا لكل التيارات المعادية للاسلام يصدّها بالبراهين الساطعة والحجج القوية الدامغة :

ولايفوتنى وأنا اكتب هذه المقدمة ، أن أنوه بالجهود العظيمة التى اسداها تلميذه سعيد العريان الى العربيه وفى أعماله الجليلة التى أثرت العربيه بكتب ثلاث ، مؤلفه " حياة الرافعى " الذى هو يعتبر المرجع الأول - والأفضل لمن أراد أن يعرف التطورات المختلفة لحياة الرافعى وأدبه ، وكذلك بما جمع من جذاذات الجزء الثالث من " وحى القلم " وقد بذل أيضا جهودا كبيرة مكلفة بالتوفيق حينما جمع أيضا جذاذات الجزء الثالث من " تاريخ آداب العرب " ورتب فهارسه وهناك أيضا ثلاثة مؤلفات ، قد أوفته جزءا يسيرا من حقه على أدبها العربيه ، ولكنها تحدثت فقط فى الجانب الدينى الا وهى -

(١) مصطفى صادق الرافعى كاتباً عربياً ومفكراً اسلامياً - د . مصطفى الشكعة .

(٢) الجانب الاسلامى فى أدب مصطفى صادق الرافعى عبد الستار السطوحى

(٣) نحو أدب اسلامى معاصر . مصطفى صادق الرافعى والاتجاهات

الاسلاميه فى أدبه د . على عبد الحليم محمود .

وقد استطاعت هذه المؤلفات أن تسلط الأضواء على الناحية الدينيه فى

أدبه كحقائق مقررة او مستنبطه ذكروها من غير تحليل او تحليل كاف الى حد ما ،
 اما ما عدا ذلك فان حطة من الدراسة الأدبية قليل على ما هو عليه من المكانة
 الرفيعة ، ومع أنى أثرت أن يكون موضوع بحثى الجانب الدينى فى أدب الرافعى
 فلم أقف كما وقفوا عند حد ابرازه فى مؤلفاته ، بل تناولت أيضا عبارته الفنيّة
 التى أختارها فى الاداء والتعبير لأنها الوعاء الذى يحوى هذه الحجج الدافعة
 فهما مرتبطان لا ينفصلان .

((وبعد))

فقد كان طبيعيا أن استبعد من بحثى مؤلفاته الوجدانية كحديث القمر
 وأوراق الورد ان المقام ديني ، وهذا المقام لما قلت آثاره وجدت نفسى أمام
 واحة ممتلئة بالظلال التى يجد فيها المؤمن برد السكينة ، كما يجد أفاقا جديدة
 من المعرفة وهى لعمر الحق ضرورية لكل مؤمن صادق الايمان ، يريد أن يتزود -
 بثقافة اسلامية أدبية تشبع عاطفته الدينية ، تاركا كل ما يجانب الصواب فى الدعوة
 الى الجديد الذى يتعرض للمقدسات الاسلاميه ويحط من قدر اللغة العربية -
 والاسلام لا يمنع التزود بالجديد البناء ، والبحث على التعلم والأخذ بالجديد
 فى تطوير الأدب العربى يزيده قوة وثروة ، ولكن معاذ الله أن يكون ذلك على
 حساب الدين أو اللغة العربيه ، وهذه هى نظرة الرافعى للجديد ، ولكن -
 عند ما رأى الجديد ينال من القرآن ولغته ، قام ملبيا ندا ضميره ودينه وأمه حاملا
 سلاحا فكريا ماضيا ، واجه به العدوان ودافع عن القرآن ولغته ، محافظا على
 تراثها ممن يريدون طمس معالمها بالافتراءات والصاق الضعف والانحطاط الذى
 أصاب المسلمين بالاسلام وما ذاك من الاسلام فى شىء ، فالاسلام بدأ قويا
 عزيزا وسيظل كذلك الى أن يبرئ الله الأرض ومن عليها ، وان كان هناك من لوم
 فانه يقع على بعض المسلمين الذين يتهاونون فى أمره وهذا التهاون كان سببا
 فى اصابتهم بالمعجز والضعف أمام مغريات الحياة ومادياتها حتى صاروا غرباء
 غافلين عن سموه الروحى ، لانصرافهم عن جوهره وحقيقته ، ومن جهل أمرا عاداه .

وقد سخر الله الرافعى ليدرأ هذا الخطر الذى يهدد كيان الاممة
الاسلاميه التى كانت خير أمة ، ومن الممكن ان يعود لها دور القيادة ، ان تمسكت
بايمانها العميق الذى يحرر وجدانها ما يعلق به من أدراة العصر والأفكار
الهدامة والغزو الفكرى الذى اصبح يهدد حياة المسلمين ان مصطفى الرافعى
نشأ فى بيت له جذوره الدينيه العميقة فى العلم ، مكنته من حمل اللواء ليرد على
كل متصد للاسلام ، ويرفع راية الجهاد للذود عن حياضه ، فى ثورة اجتهاديه
دائه ، تكمن فى نفس تحمل فى ثناياها قوة فى العقيدة والخلق والفكر ، ان ظلام
العصر الذى عاش فيه الرافعى أثار غيرته الاسلاميه ، فحمل قلعه ومنى الى غايته
مدافعا به عن المقدسات الاسلاميه ، التى آلى على نفسه حمايتها بكل ما أوتى
من قوه .

وهكذا استطاع الرافعى أن يبنى مجده الادبى على دعائم الثقافة الاسلاميه .
مكن له فى ذلك موهبته الادبيه ، ونظرت الصافيه واطلاعه المستمر ، الذى جعله
يتزود بخير زاد من المعرفة والثقافة التى امدته **بالتحصيل** الدقيق ذات الطاقه
القويه التى بها عرف وبها عز وانتصر .

وقد قسمت هذا البحث الى أربعة أبواب :

الباب الاول : يضم أربعة فصول أفردت الاول منها للحديث عن النكسه التى
=====
حلت بالبلاء من جراء العناية بالعلوم الحديثه على حساب العلوم
الدينيه التى أصبحت متفوقه فى اروقة الازهر ومعاهده العلميه ،
وكان لاهمال الكتاتيب الاولييه ، أثر واضح فى القضاء على أهم
المراكز لتحفيظ القرآن كاملا منذ الصفرة .

والفصل الثانى : يتضمن الحديث عن الغزو الفكرى ، ومن مظاهره
واسبابه ضعف العقول من طلاب البعثات العلميه ، واختلاطهم
فى المجتمعات الاوربيه بالعقليات العقلانيه المتحرره من قيود
الاديان السماويه وقلة الوازع الدينى عند الكثيرين وانتقال العدوى

الى شباب العصر ، وما كان لذلك من أثر في الاستهانة بأمر الدين وانتشار موجه الالحاد والزندقة .

وفي الفصل الثالث : تناول البحث التعصب الديني ، وذلك بالحملات التبشيرية للدين المسيحي وأثرها في بلبلة العقول وكثرة الجدل بين المسيحيين والمسلمين حول بعض التعاليم الاسلامية التي لم يدركوا أسرارها ، مما أدى الى ظهور المؤلفات الدينية المنطقية التي تظهر نور الاسلام من ناحيه ، وتناهض المتحاملين عليه من ناحية اخرى .

وفي الفصل الرابع : تحدثت عن التقاليد الموروثة التي أسفرت عن انتشار البدع والخرافات بين السذج وطبقة السعوم ، كما تحدثت عن حملة المسلمين الغير على هذه المعتقدات تصحيحا لمعنى الاسلام وتنقية لجوهره من الشوائب .

الباب الثاني : تحدثت عن حياة الرافعي في فصلين :

=====

الفصل الاول : تناولت فيه الحديث عن أسرته ومولده ونشأته

والموطن الاول للاسره في طرابلس الشام ، وانتقالها الى مصر في اواخر القرن الماضي ، وتوليها مناصب للقضاة ، ونشأته التعليمية ، وثقافته الخاصه .

وفي الفصل الثاني : تحدثت عن بيئته الدينية ، وثقافته الاسلاميه

الواعيه وأثرهما في تكوين شخصيته الاسلاميه المجاهده ، وفي كتاب (حياة الرافعي) لتلميذه سعيد العريان زيادة لمن يرغب في

المزيد لها

الباب الثالث : فقد تحدثت فيه عن أدب الرافعي وأثاره العلمية في ثلاث فصول :

=====

تضمن أولها الاثار العلميه ، وثانيها الاثار الادبيه وثالثها

الخصائص الادبيه التى غلبت على اسلوبه ، وميزته من سـواء

الباب الرابع : والاخير فقد افردته للجانب الدينى فى أدبه وهو بيت القصيد
=====

فى بحثنا هذا ، جمعت للمقالات فصلا ، وللمؤلفات فصلا . .
تناولت فى الفصل الاول : مقالاته فى الاصلاح الدينى ، الاشراق
الالهى وفلسفة الاسلام ، وتصحيح معنى الاسلام فى نفوس المسلمين
أولا . . وفلسفة العبادات - رسالة المسجد ، وثقافة الدعاء
الى الدين الاسلامى ، ودور الأزهر فى اعدادهم والحكومة فى رعايتهم
والزواج بالاجنبيات ومدى خطورته على عقائد الابناء وحملته على
البدع والخرافات .

وفى الفصل الثانى : تناولت مؤلفاته الدينيه ، فتحدثت فيه عن اعجاز
القرآن والبلاغ النبويه وذكرت باختصار بعض الموضوعات التى تناولها
الرافعى بالدراسة ، ثم انتقلت الى كتاب " تحت راية القرآن " المعركة
بين القديم والجديد " والرد على طه حسين فى كتابه " فى الشعر
الجاهلى " وقد أوردت بعض الفصول للمعركة بين الرافعى وطه
حسين كما وردت فى هذا الكتاب دون التحيز لاهدهما والتعامل
على الآخر ، وانما بسطتها بين يدي القارى ليرأها بنفسه
وليكون له حكمه فيها ، وعندها سوف تتجلى له شخصية الرافعى
العملقة ومكانته الادبيه والدينيه .

وبعد :-

فعلنى اكون بهذا العمل قد بلغت المراد مما أخذت . نفسى به وندبتها

له .

فإذا كان فى ذلك شىء من السداد والتوفيق ، وهذا ما أرجوه ، فما توفيقى
الا بالله عليه توكلت واليه أنيب ولا يسعنى فى الختام الا أن اتقدم بجزيل
الشكر لاستاذى الفاضل الدكتور محمد نبيه حجاب عرفانا بالجميل لما قدمه

(و)

ليس من توجيهاته السديدة ، وجهوده العظيمة ، وقد لقيت منــــه
كل المحن فكان لذلك أثره الطيب في توجيهي الى ما أريد وفي تشجيعي
لهذه الدراسة التي آمل ان اكون قد جئيت ثمارها المرجوه ..

وكذلك اتقدم بخالص الشكر لكل من عاونني في هذا البحث أو أعانني
عليه ، أخص بالشكر السادة أعضاء اللجنة الموقرة التي أترقب توجيهاتهم
وملاحظاتهما واتلقاهما على هوى النفس ورحابة الصدر ويقيني أنها ستكون (الدرهم
المتيم) الذي الح عليه الرافعي في بعض مقالاته والذي به يكون التمام والكمال
ان كان ثمة نقصان ، وسبحان من تفرد بالكمال ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله الرحمن الرحيم

= ٢ =

الفصل الأول

العناية بالعلوم الحديثة وإهمال العلوم الدينية

لقد جاء العصر الحديث ومصر تستمد ثقافتها من روافد ثلاثة :

- ١ - الكتاتيب الأولية .
- ٢ - المعاهد الدينية .
- ٣ - المكتبات العامة .

١ - الكتاتيب الأولية :

كانت الكتاتيب الأولية منتشرة في طول البلاد وعرضها ، ولما تخلو منها قرية ومن ثم كانت المصدر الأول لتعليم الطلاب وفيها يتعلم الصبيان القراءة والكتابة ، ويحفظ من شاء القرآن كله أو بعضه ، ثم ينخرط في المهنة التي يريد ها ، ويقوم بمهمة تعليم الصبيان في هذه الكتاتيب " الفق " ، فإذا كان الكتاب كبيرا يساعده " العريف " ، ويدرس الطلاب القرآن والتفسير ، وقد يكون الصبي في بداية سنه لا يدرك ما يحفظه ، ولكن بتكرار الحفظ ، ومرور السنين عندما يكبر الصبي تكون المعلومات التي تلقاها في الكتاب مخزونة في ذاكرته ، ولسانه يمرن على اللغة العربية ، وتكون حجر الزاوية في إيمانه العميق بهذا الدين ، وتقديسا له وتطبيقا لأحكامه (١)

(١) الفصل في تاريخ الأديب العربي ج ٢ تأليف أحمد الاسكندري ،
وأحمد أمين ، طى الجارم ، عبد العزيز البشري ، أحمد ضيف سنة ١٣٥٢ هـ

٢ . المعاهد الدينية وطى رأسها الأزهر

كان الأزهر منذ عصور قديمة مركز الاشاع الاول للعلوم الدينية لانه من أقدم المعاهد ، وأعرق الجامعات الكبرى ، وظل كذلك فيما على اللغة حافظا لها من الزوال أو الاضمحلال ، وما زال يرسل أشعة العلم والدين فى أنحاء العالم العربى ، الى أن جاءت الدولة العثمانية ، فأصابه الركود والخمول ، وبدأ العالم يتطور ويتجدد ، وهو جامد على حاله لذلك رأت مصر أن الأزهر ان ذاك لم يعد قادر على قيادتها وارشادها فولت وجهها شطر الغرب تكرر من هياضه ، وتقطف من ثماره حتى أصبح البون شاسعا بين التعليم الجديد ، وبين التعليم القديم ، وقد انتشرت فى مصر ثقافتان تناهض احدهما الاخرى ، ثقافة صنية طى العلوم الوافدة من الغرب ، وثقافة قائمة على أدب التراث ، وكان لا بد من اصلاح الأزهر ليقف على قدميه أمام ركب الحضارة المتقدم ليشترك فى النهضة العامة ، وبدأت الحكومة الخديوية ذلك فى عهد شيخه الامانى سنة ١٣٠٥ هـ ، فأدخلت فيه بعض العلوم الحديثة بعد جهد ومشقة وفتوى شرعية ، ثم قام الامام الكبير محمد عبده لاصلاحه ، فوضع الاساس وحال الأزهريون بينه وبين البناء ولكن حركة الاصلاح كانت أقوى ، فلم تتوقف وان اعترضها بعض الصعوبات وخاصة بعد أن انتشرت المدنية التى أسفرت عنها موجة الحضارة الحديثة (١)

(١) تاريخ الاثب العربى تأليف أحمد حسن الزيات ص ٤٢١-٤٢٢

٣ - المكتبات العامة :

تعد المكتبات من أهم مصادر الثروة الثقافية ، ولن تكون الأمـة متحضرة مثقفة الا اذا كان اقبالها على دور الكتب للتزود بالمعرفة ، لأن الشهادات العلمية وحدها لا تعد الفرد للثقافة ما لم يتزود بالقراءة والاطلاع المستمر الذى ينمى العلم ، ويدعمه ويقويه بأنواع المعارف المختلفة لذلك هناك كثير من المكتبات العامة فى القطر المصرى وأشهر هذه المكتبات فى القاهرة هى :-

١- دار الكتب المصرية :

هى أكبر مكتبة فى الشرق الأوسط ، أنشأتها الحكومة فى أثناء النهضة ، فى تاريخ طويل يبدأ بزمن محمد على وقد تمت فى زمن اسماعيل عام ١٨٧٠ م ، الذى رأى أن ينشئ مكتبة كبيرة لحفظ الكتب والمطالعة فيها طائفة من أفخر الكتب من كل فن ، وأصبح عدد ما فى دار الكتب المصرية حتى عام (١٩١٤) نحو (٧٠٠٠٠ مجلد) نحو نصفها من الكتب العربية وأكثر الباقي فى اللغات الأوربية كالتركية والفارسية ، والعربية تتضمن كتب التاريخ ، والأدب العربى ، والشريعة الإسلامية (١)

٢- المكتبة الأزهرية :

تأسست سنة ١٨٧٩ ، كان فى الأزهر كتب كما كان فى غيره من المساجد ، متفرقة فأمرت الحكومة بجمع ما كان من الكتب ، فى أروقة

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجى زيدان ج ٤ ص ١٠٠-١٠١

الأزهر ما يستغنى عنه الطلبة ، ورتبها حسب موضوعاتها ، ووضعت لها قوائم الجرد ، وأصبحت تضم مجلدات ضخمة لمختلف المعارف وقد بلغ عدد مجلداتها (٣٦٦٤٢ مجلد) في العلوم المختلفة ، كالعلوم الإسلامية والأدب ، والعلوم اللغوية ، وفي التاريخ والسير والجغرافيا والباقي في العلوم الأخرى (١)

٣ - مكتبات الأروقة في الأزهر :

وفي الأزهر مكتبات أخرى غير المكتبة الأزهرية المتقدم ذكرها يقال لها مكتبات الأروقة لكل رواق مكتبة يطالع فيها تلاميذ ذلك الرواق ، وتضم أكبر عدد من المجلدات الضخمة والمخطوطات النادرة . (٢)

٤ - المكتبة الأحمدية في طنطا :

أنشأها الشيخ إبراهيم الطواهرى شيخ الجامع الأحمدى الأسبق ، عام (١٨٩٨) وعين لها أمينا ومعاوناه ، وتحتوى على ست آلاف مجلد وتشتمل على أهم الموضوعات العربية في العلوم الإسلامية ، واللغوية والتاريخ والأدب وغيرها من الفنون . (٣)

٥ - مكتبة جامعة القاهرة :

أفتتحت رسميا عام (١٩٣٢) وتبلغ مجموعة الكتب التى تحويها هوالى (٤٠٠٠٠٠ مجلد) فى مختلف الآداب والعلوم والفنون ، نصفها

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجى زيدان ج ٤ ص ١٠٢ .

(٢) ~~تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجى زيدان ج ٤ ص ١٠٣ .~~

(٣) ~~تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجى زيدان ج ٤ ص ١١٠ .~~

تقريباً باللغات الأوروبية ، وتضم أحياناً مجموعة ضخمة من مجلات العلوم والطب والقانون والعلوم الاجتماعية بشتى اللغات (١) .

وهناك عدد كبير من المكتبات في القطر المصري أكتفيت بذكر أهم المكتبات الموجودة .

التعليم الأجنبي في مصر :

انتشرت المدارس المدنية في مصر ، وهي تمثل النواة الأولى للحضارة والتقدم ، وكانت الظروف في ذلك الوقت تساعد على انتشار التعليم الأجنبي لأن الدولة العثمانية ضعيفة ، وبدأت هذه المدارس تدرس اللغات الأجنبية على حساب اللغة العربية ، فزاحمتها في مدارسها وغزتها في عقودها ، فضلاً عن الحوافز التي قام بها المستعمر ، حيث جعل الوظائف المرموقة لا ينالها إلا من يجيد اللغات الأجنبية ، وكان لهذا التخطيط أثره السيء على اللغة العربية والعلوم الدينية معاً (٢) .

اهمال الكتاتيب الأولية وأثر ذلك في القضاء على أهم المراكز لتحفيظ القرآن الكريم كاملاً منذ الصغر :

كان لتطور التعليم في مصر ، والاتجاه به إلى العلوم الحديثة ، أثره الواضح في انحسار موجة التعليم الديني الذي تقوقع في معاهد

(١) الموسوعة الميسرة مؤسسة فرانكلين بإشراف محمد شفيق غريال ط ٢
ص ١٧٣٤ .

(٢) تاريخ التعليم الأجنبي في مصر تأليف جرجس سلامة ص ١٦-٢٤

مقدمة .

غاض معين القرآن في الصدور باهمال الكتاتيب الأولية التي كانت بحفظه وتجويده معنية ، وبالتالي غاض معين الوازع الديني من النفوس .

حدث هذا في الوقت الذي انتشرت فيه المعاهد الأجنبية التي أستهانت بعلوم اللغة والدين والتي بدأت تنفث سمومها في أذهان الطلاب الناشئين ، والشئ غلاب والعقائد الهدامة كالماء الفتاك أو المرض المعدى الواسع الانتشار ، وكان من أثر ذلك أن كثر الالحاد ، وكثرت الانحرافات ، وعمت البلوى وأصبح الكثير من الشباب المسلم لا يحمل من الاسلام الا اسمه وهذه من أول الكوارث التي تصيب الدين لأن الطفل الذي لا ينشأ متشبعاً بالعلوم الدينية لا يستطيع أن يقف أمام تحديات الغرب .

الفصل الثانى

الغزو الفكرى

م - معنى الغزو الفكرى وأهدافه :

ان غزو الفكر من أخطر أنواع الغزو الذى يسيطر على البشر ، ومن هنا كان الاتجاه الجديد فى تخطيط الفزاة أن يتركوا استثمار الأرضى ، ليستعمروا العقول حتى لا تفكر الا بعقلهم ولا تتكلم الا بلسانهم ، وذلك ما تعرف على تسميته " بالغزو الفكرى " (١)

ان هذا الغزو الجديد الذى خطط له أعداء الاسلام ، لتدمير الأمة العربية المسلمة ، والقضاء على كيانها ودينها ، وجد الطريق سهلاً ميسوراً ، لأن المسلمين كانوا ان ذاك يغطون فى سبات عميق فى أعقاب العهد العثمانى الذى اقفر البلاد وغرب العقول باهمال المدارس ، والمكتبات وغيرهما من مصادر الثقافة ، وكان من أثر ذلك أن انتشر الجهل وعم الظلام وتحجرت العقول التى ضلت الطريق ، فلا هى استمسكت بمنهج السلف الصالح ، ولا هى استنارت بأنوار الثقافة البناءة الخالصة من المبادئ الهدامة وهذا ما يلاحظ فى أساليب التفكير عند بعض من تتلمذ على أيدي المستشرقين .

(١) الغزو الفكرى ، أهدافه ووسائله ، للدكتور عبد الصبور مرزوق ، ص ٦

ب - طلاب البعثات العلمية واختلاطهم في المجتمعات الأوروبية بالعقلية العقلانية المتحررة من قيود الأديان السماوية :

- إن القرن العشرين تفتح على حضارات كثيرة كانت السيادة فيها
للمجتمع الغربي باختراعاته وطومه التي سبق بها الشرق وفي هذا التيار
النخ من الحضارة ، شعر بمجزه وضعفه ، فأراد التمييز ليتسنى له
السير في ركب الحضارة ، وتم الاتصال بينهم وبين الغرب من طرق ثلاثة هي :
- ١ - دراساتهم في معاهد الغرب الأوروبية والأمريكية .
 - ٢ - تعلمهم على أيدي مدرسين غربيين في جامعات بلادهم .
 - ٣ - أوقراءتهم الخاصة للمصادر الغربية ، خارج المعاهد والجامعات
والإعمال بعضهم للمصادر الإسلامية ، وهذا فيها وتعففا عنها لجهلهم
بقدرها .

والمسلمون هم المسئولون عن الكثير من " المستغربين " الذين
يتنكرون لعقيدتهم وقوميتهم معا ، ويعيشون بأفكار وعواطف غربية لماذا ؟ لأن
الذين بعثوا الى معاهد الغرب وجامعاته باسم الدراسة والعلم ، لم تعد
لهم هناك بيوت اسلامية تجمعهم بعد فترات الدراسة على شعائر دينهم
وتقاليد بلادهم وتصحيح ما يلقى في أذهانهم وقلوبهم من شبهات وغواطر
ييشها لهم أساتذتهم الغربيون الى جانب مراقبة أخلاقهم وتصرفاتهم وتقويم
اعوجاجهم وردهم الى طريق الحق والصواب من قبل أن يستفصل الداء
ويتعسر الدواء .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى كانت نفس المهمة تلقى على الطلاب من أتى من الغرب للتدريس في جامعات الشرق (١) هذا فضلا عن الكتب الغربية الهدامة التي تفيض بالكفر والزندقة والساح لها بالانتشار بين أيدي الشباب والشابات يتأثرون بها ويصدقونها والسبب في ذلك قلة الوازع الديني عند الكثيرين من طلاب البعثات العلمية ، وانتقال العدوى إلى شباب مصر عندها يأتي دعاة الاسلام يصيحون وينصحون ولكن هيهات لمن يسمع النصائح ، انها بلا شك تضع مع الصدى ، انها بلا شك لا تجد من يجيب ! وكأننا الأديان عندهم خرافة أو ضرب من الأساطير ، وليس معنى ذلك أننا ندعو إلى العزلة ، والبعد عن الثقافة الأوروبية ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول : (اطلبوا العلم ولو بالصين) ، ويقول : (من تعلم لغة قوم آمن منهم) ولكن الذي ندعو إليه ونحذر منه هو الترامي في أحضان هذه الثقافة من غير وعي أو تدبر ، ونكون إذ ذاك خلطنا عملا صالحا وآخر سيئا فما أكثر ما تحويه من سموم فتاكة ، مقلقة بما يسمونه (التفكير الحر) الذي لا يقيم وزنا للفضائل ، ويرى الأديان ضربا من الأساطير التي تناقلها الخلف عن السلف .

(١) مفتريات على الاسلام ، أحمد محمد جمال ، ص ٥ - ٦ .

الفصل الثالث

التعصب الديني

أ - الحملات التبشيرية للدين المسيحي وأثرها في بلبلة العقول :

المبشرون - والمستشرقون - والمستعمرون .

لقد عمل أعداء الاسلام على نشر الأفكار الهدامة للتقليل من شأن الاسلام ، ولا تارة الشبهات في عقول المسلمين وغير المسلمين ، وما هذه الا نتيجة للمكر والدسائس التي تضافرت قوات ثلاثة على اظهارها هي :

التبشير - والاستشراق - والاستعمار .

تضافرت ضد الاسلام لاضعاف الامة الاسلامية ، وتشتيت شملها وتحزيق كيائها ، بأساليب المكر اليهودي الخبيث الذي يعمل لمصلحة نفسه ، وقد وقد بعض هؤلاء الى ديار المسلمين ، وظل آخرون في عقور دارهم منكبين على دراسة أحوال المسلمين ومعارفهم ، ويمكن أن يتضح من ذلك المهمات التالية :

المهمة الأولى :

هدم الاسلام في عقيدته وعباداته ونظامه ، ولكن هذا الهدم لا يكون بمعاول الهدم المباشرة الظاهرة حتى لا يتنبه اليها المسلمون ، بل يلبسون معاولهم أقنعة مبهجة خداعة تخدع الناظرين ، وعندها وكل سهولة

يستطيعون بأساليبهم الخاصة أن يأسروا أبناء الأمة الإسلامية ، وأن يوجهوهم إلى حيث يريدون ، وقد يزلزلون منهم العقيدة وهم لا يشعرون .

المهمة الثانية :

إشاعة الفركة بين المسلمين أينما كانوا من الأرض ، حتى يعيشوا متنافرين متقاطعين ، ولا تؤلف بين قلوبهم مودة ، ولا تربط بين جماعاتهم أواصر دينية أو تاريخية أو مصلحة ، وقد استطاعوا أن ينجحوا فيما أرادوا من تمزيق الوحدة الإسلامية وتفريق شملها ، ومن هذا المطلق استطاعوا أن يحققوا ما يريدون ، في إضعاف الإسلام والمسلمين .

المهمة الثالثة :

تشويه صورة الأمة الإسلامية الحالية والتاريخية بوسائل الكذب والافتراء وتغيير الحقائق وتحريف الكلم عن مواضعه ، ليشعر المسلمون بأن الأخطاء الناتجة عن سوء تصرفاتهم راجعة لأنهم مسلمين ، ولو فكر المسلمون في هذه الأخطاء وفي حقيقتها لعلموا أن مصدر الاضطراب والفوضى التي يعيشها المسلمون هو سبب عدم تمسكهم بالإسلام ، وسيرهم السير الصحيح للمسلم الحقيقي ، ولكن قوى الشر جعلت أبناء المسلمين ، يشعرون بالتخلف والنقص والكراهية واحتقار الشعوب الأخرى للإسلام .

المهمة الرابعة :

تضليل الشعوب الاسلامية ، وايهاام الشباب الحائر ، بأن كل تغلف حضارى سببه الاسلام ، وأن الاسلام يعارض المدنية الحديثة ، وأنه أساس التأخر وهذه هي أساليب المبشرين ، والمستشرقين والمستعمرين ، في النيل من المسلمين ودينهم الحنيف الاسلام بأصالة جوهره استطاع أن يبقى مضيئاً مشرقاً محافظاً على روائع نصوصه ، وذلك يرجع الى المسلمين الذين فطنوا لمآربهم ، ووقفوا لها المرصاد (١) .

ب - الطمع على الاسلام ، وكثرة الجدل بين المسيحيين والمسلمين
حول بعض التعاليم الاسلامية التي لم يدركوا أسرارها :

قام أعداء الاسلام بإثارة الشكوك في النفوس المسلمة لارتدادها والحيلولة دون التقائهم على وحدة اسلامية تجمعهم ، وتوحد صفوفهم ، ولكن الاستعمار يحول دون ذلك بالمناهضات المختلفة ، التي لا تظهر جهرياً ترددهم عن دينهم ، لأنه رأى حركات الوعي الاسلامي هنا وهناك ، وهي تأخذ طريقها في الانتشار في العالم الاسلامي من أقصاه الى أقصاه ، ولكن الاستعمار بدأ يخادع ويراع ويحارب باسم العلم مرة عن طريق المستشرقين المأجورين وتلاميذهم المخدوعين ، وباسم الهداية أحياناً عن طريق المبشرين بالحضارة والمدنية غير أن هذه الحضارة التي لا تقيم للفضيلة وزناً خير منها البداوة .

(١) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، التبشير - الاستشراق - الاستعمار ، تأليف عبد الرحمن عبيدة الميداني ، ص ٢٨

إن الحضارة الحقّة هي التي تتمثل في القيم الأخلاقية ، ولم يعرف قط أن الاسلام يناهض الحضارة البناءة وأى نوع من الأنواع ، لكن الانغماس في الشهوات ، وانتفلات زمام النفس ، واتباع الحريات التي لا تحدّها حدود هذا ليس من الحضارة في شيء* لأن الحرية المطلقة لا تعتبر حضارة ، فعلى الفرد أن يلتزم بواجبات يؤدّيها لمجتمعة تجاه نفسه والآخرين ، ومن هنا يستلّيع أن يحقق ما يريد المجتمع الاسلامي ، وما يفرضه عليه الدين ، هذا ان تمسك بالدين كما أراد الله ، على أن الاستعمار يعلم علم اليقين ، أن المسلمين لوبقيت لهم روح الاسلام الأصيلة ، لاستطاعوا أن يققوا أمام كل اعتداء ، وأن ينشروا بينهم الحثيف في مشارق الأرض ومغاربها كما نشرها أسلافهم الأوائل ، وتلك التي تقض مضجعهم وقد بسّذل المستعمرون أقصى الجهود لغرس الشكوك في العقول الاسلامية ، وقتل الطموح في نفوس المسلمين ، ونشر الفرقة والنزاع في الصف الاسلامي ، وذلك بإثارة الشبهات في نفوس الشباب (١) .

(١) المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام ، محمد محمود الصواف ،

شبهات حول الدين

يسعى الغرب المعادى للإسلام بكل طاقته الى الخط من قدر
الإسلام وإثارة الشبهات حول هذا الدين للتقليل من شأنه وإضعاف قوته
وهذه بعض الشبهات التي أثاروها ، والتي طعنوا بها على الإسلام والمسلمين
وقد تجلّى ذلك فى الطعن على :

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - الأحاديث النبوية .
- ٣ - التشريع الإسلامى .
- ٤ - الفتوحات الإسلامية .

وقالوا :

- ١ - ان القرآن من تأليف محمد .
- ٢ - ان الحديث النبوى من صنع الفقهاء .
- ٣ - الفتوح الإسلامية ليست موجهة نحو مثل طيا .
- ٤ - العرب كانوا جياعا فخرجوا لالتماس كئوز المدائن ود مشق !
- ٥ - الجزية - اضطرت الذميين الى اعتناق الإسلام .
- ٦ - الإسلام لا يحترم المرأة .
- ٧ - الإسلام انتشر بالسيف فهو دين القوة^(١)

(١) مفتریات على الإسلام ، أحمد محمد جمال ، ص ١٢٠ .

ما قالوه عن القرآن :

ما زال الغرب المعادي بيت سمومه ، ويتمرض للمقدسات
الاسلامية الطعن والكيد ، حقدًا منه على القرآن الكريم الذي هو دستور
الامة المسلمة وكيانها ونورها وهداها ، ومصدر عزتها وأمنها واستقرارها
بما يحمله من خير عظيم يتمثل في أحكامه وشرائعه وفرائضه ، لذلك شعروا
المستشرقون بخطر الكتاب المقدس ان تمسك به المسلمون ، فأرادوا النيل
منه بمزاعمهم التي يقولون فيها ان القرآن من تأليف محمد صلى الله عليه
وسلم ، وسبب ذلك الحقد على القرآن هو ان القرآن اتهم أتباع التوراة والانجيل
بتحريفها ، ولذلك ادعوا أن محمدا - صلى الله عليه وسلم - أخذ معارفه
في تأليف القرآن من هذين الكتابين قصصا وأخبارا ، كما أن القرآن ينكر
على المسيحية الأسس الثلاثة التي تقوم عليها وهي:-

التثليث - والمصلب - والفداء

والضاحية الأخرى هي محاولة علماء " اللاهوت " في أمريكا الآن تطبيق نظرية
" النقد الأعلى " على القرآن الكريم كما يطبقونها على الانجيل والتوراة ،
ويدعون ان الله لم يتحدث العربية قط ،

هذه الأفكار التي أتى بها المستشرقون ، صورتها لهم أفكارهم
الطحدة ، وضامئهم الحاقدة على الاسلام ، ولم يكتفوا بكفرهم وضلالهم ،
ولكنهم يحاولون يشتي الوسائل أن يقنعوا الناس بما يعتقدون حتى يردوهم

عن دينهم ، وذلك ببذور الشك التي يزرعونها في نفوس المسلمين ، فـ
أن القرآن من عند الله ، ويقولون : انه كغيره من الكتب المولفة عرضة
للنقد والتحريف والتبديل . (١)

ما قالوه عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - :

يسمى المستشرقون بكل طاقاتهم ونفوذهم لتشويه سمعة الرسول
العظيم وطعننه في دعوته وسيرته فهم يزعمون أن الرسول - صلى الله عليه
وسلم - بدأ دعوته كرسول ومصلح ولم يكن يخطر بالبال أن يكون زعيماً
ومنشئاً لدولة حتى هاجر الى المدينة فبدأت تدور في ذهنه فكرة تأسيس
دولة ، ويبررون هذا الافك بأنه - صلى الله عليه وسلم - كان في مكة مسالماً
لا يقاوم أعداءه بحرب ولا قتال ، ولكنه في المدينة خاض مع أعداءه الممارك
الطاحنة ، أولها بدر وخاض مع اليهود مارك أجلاهم عنها ، وقالوا
بافتراءهم : ان محمداً قد تخلى في المدينة عن صفة الداهية الى الهدى
والتوحيد واتصف بصفة المحارب الذي لا يهدأ له بال حتى يفتك بأعدائه
من هذا المنطلق بدأ الافك والتزوير والتخايل عن حقيقة دعوة الاسلام وتدرج
الدعوة والتشريع في الاسلام ثم الفرق بين الدعوة في مكة والدعوة في المدينة (٢)

(١) مفتریات علی الاسلام احمد محمد جمال ص ١٢-١٤ .
(٢) المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام ، محمد محمود الصواف

القدس والتشكيك في السنة

حاول أعداء الإسلام النيل من القرآن الكريم ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يثبتوا مفترياتهم بالمزاعم الكاذبة والباطيل حول هذا الكتاب المقدس الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلاً من حكيم حميد ، فاتجهوا إلى السنة النبوية وهي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي ، فيذروا في النفوس الضعيفة بذور الشك التي سبق ذكرها فيما تقدم " في شبهات حول الدين " طائين أنهم يستطيعون بذلك أن يهدموا هذا البنيان الشامخ لهذا الصرح القوي ، وقد بدأت هذه المحاولات اليائسة منذ القديم ثم استمرت في مختلف العصور وقد برزت في هذا العصر لأنها وجدت النفوس الضعيفة لا تستطيع المقاومة ، وصار الاتصال بالغرب كثيراً ، وقل الوازع الديني عند الكثيرين ، مما ساعد على رواج هذه الباطيل ، ولكن الله تعالى الذي حفظ هذا الكتاب الكريم كما قال تعالى : " انا نحن نزلنا الذكر واننا له لحافظون " هو كذلك الله العلي القدير الذي حفظ هذه السنة المطهرة وسحفظها الى أن تقوم الساعة ، ان هي بيان وتوضيح للمراد بما في كتابه فأعد لها في كل عصر دعاة وحماة وعلماء ورعاة رأوا كيد الأعداء فنفخوا عنها الزيف (١) .

(١) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ، محمد محمود الصواف ،

تشويه الأعداء لموقف الاسلام من المرأة :

ان الاستعمار أراد أن يشوه الاسلام من كل جوانبه ، حتى يستطيع أن يحقق مآربه في تضليل المسلمين ، عندما يفقدون الروح الاسلامية الأصيلة ، فأرادوا أن يشوهوا مكانة المرأة المسلمة ، لأنهم يعلمون مدى تأثير المرأة في الأجيال الناشئة ، فهي التي تربيهم وتفرض فيهم الفضائل الاسلامية ، وتثبت فيهم روح الاقدام والشجاعة ، فإذا استطاعوا أن يعبثوا بعقيدتها يكون لها دور خطير في التأثير على الأجيال بأفكارها المريضة التي تشوش من معنى الاسلام في نفوس الأجيال ، لذلك قالوا ان الاسلام احتقرها وأذلها وأنقص قدرها وأضاع حقوقها ، فهم يدعون أن المرأة المسلمة مهينة القدر مهضومة الحقوق ، حتى تتأثر بهذا الكلام وتشعر بالظلم ومن هذا تضعف عقيدتها وإيمانها .

وهذه الأباطيل المنتشرة التي زعموها ليس جيلا بحقيقة الدين ولكن خوفا منهم على أجيالهم ان أطلعوا على الاسلام أن يتأثروا به ، لقد كانت المرأة قبل الاسلام وحقوقها ضائعة بين نظرة أهل الشرق والغرب ، لأنهم ينظرون اليها باحتقار فالعرب كانوا يثدونها في المهد ويضمونها في التراب بكل قسوة والغربيون اجتمع رجالهم في ايطاليا ابان بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم - في شبه مؤتمر مسيحي عام فكان موضوعه الأول : هل المرأة انسان كالرجل أم هي مخلوق آخر غير انسان ؟ في هذه الفترة التي كادت أن تضع فيها حقوق المرأة كإنسانة وكفرد له حقوق على المجتمع ،

يشرق ضوء الاسلام لينقذ المرأة من رجس الافكار الهدامة ويبعث ســــيد
الموسلين محمد - صلى الله عليه وسلم ويجعل لها حقوقا تكفل لها السعادة
فى الدنيا والاخرة ، وتجعلها معززة مكرمة ، وجعل للرجال درجة فقط وهى
درجة السيادة والقيادة التى لا تصلح الا للرجال كما قال تعالى :-
" ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة " (١)

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

" النساء شقائق الرجال "

فكيف انقلبت هذه الحقائق الانسانية التى تعزز من مكانة المرأة المسلمة
الى ادعاءات مزيفة ؟ انه الحق الذى يحمى ويصم بلا ريب ، فيجعلهم
يتصورون أمورا غير موجودة للتقليل من شأن الاسلام واضعاف مركزه . (٢)

(١) سورة البقرة آية ٢٢٢ .

(٢) المخططات الاستعمارية لمكانة الاسلام ، تأليف محمد محمود .

الصواف ، ص ١٠٦ - ١٠٨ .

وهن تكفل بالرد عليهم الأستاذ محمد الصواف في كتابه (المخططات
الاستعمارية لمكافحة الاسلام) :

تناول هذا الكتاب الرد على مزاعم أعداء الاسلام الذين يحاولون
الطمع في الاسلام وتشويه حقائقه التي أنزلها الله ومن هذه المزاعم
الباطلة (الطمع في القرآن الكريم) .
والقرآن الكريم كتاب الله الخالد ودستوره الماحد ومعجزة النبي الكبرى
وحجة الله البالغة ولا اسلام بدون قرآن ان القرآن دستور الاسلام أنزله
الله هدى ونورا للمسلمين ، لذلك يريد هؤلاء الأعداء حجب نور الاسلام
بدسائس لا أساس لها من الصحة ، ولكن هيهات أن يستطيعوا النيل
من أقدم المقدسات الاسلامية ، بأفكارهم الموبضة ، وضمايرهم المزيفة
المظلمة ، هم يحاولون أن ينشروا ما في أنفسهم على أمة الاسلام من
أباطيل مظلمة ، يمحوها رداً للنور الذي يتمثل في كتاب الله المقدس
ناشرا الويتنه الخفاقة على أبناء الاسلام ، ان تصكوا به ، وهذا التمسك
سيمحو عنهم الضلال ، وسيكون لهم دواعي حصينا وطجأ آمينا ، وحاميا لهم
من الانزلاق في دروب الشر والفتنة التي تصرفهم عن دينهم الحنيف
والقرآن منذ نزوله يتمرض لمطاعن ومفتريات حتى اليوم وقدما أجاب الله
تعالى على افتراء المفتريين ان قال في كتابه العزيز : قل نزله روح القدس
من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبنصرى للمسلمين ، ولقد نعلم

أنهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذين يلدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى صين ، ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم ، انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون^(١) . وتوالت الحملات على الاسلام ، لأن الأفكار المريضة تتوالد فى نفوس هؤلاء الملحدين ، وتنتقل من جيل الى جيل ومن ميدان الى ميدان ، طالما أنهم وضعوا هذا الكتاب المقدس موضع نقد وتحدييل فالنظريات متعاقبة حتى جاء الاستشراق والمستشرقون والتبشير والمبشرون والاستعمار والمستعمرون واليهود الصهيونيون ، واذ المطاعن تكثر وتنتشر فتارة يتهمون القرآن بالتناقض ، وتارة باللحن ، وأخرى بفساد النظم ، ورابعة بانكار الاعجاز ، واستمروا فى اتهامهم الى أنه من صنع النبي الى ما شاء لهم الحقد من ألوان التهم ، حتى لم يتركوا عيبا الا نسبوه اليه وألصقوه به ، وهكذا استمرت الحملات على القرآن الكريم ، بكل عداوة وحقد ، منتهزين الفرص لنشر أفكارهم باعلانها أحيانا ، أو اخفائها وتغليفها بأردية صهرجة تجذب الأنظار اليها وتخفى وراءها سموما فتاكة للنفوس على العقيدة الاسلامية فى نفوس المسلمين . (٢)

(١) سورة النحل آية ١٠٦ .

(٢) المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام ، محمد محمود الصواف ،

مساوئ الاختلاط بين الفتيان والفتيات في المجتمع

ان قضية الاختلاط بين الفتيان والفتيات ، أصبحت أمرا مشاعا في البلاد الاسلامية ، وذلك نتيجة لرفع الحجاب عن المرأة المسلمة ، بحجة التطور والتقدم ، ومشاركة المرأة في كل الأعمال ومساواتها بالرجل ، ومما ساعد على ذلك بعض الكتاب مثل قاسم أمين ، الذين نادوا برفع الحجاب كل هذه الأمور أدت الى الاختلاط الذي تحرمة الشريعة الاسلامية ، لما فيه من أضرار جسيمة من شأنها تصدع المجتمع الاسلامي وانحداره وقد رأت هذه الحقيقة المؤلمة كاتبة أمريكية زارت القاهرة وساء لها ما رأت من اختلاط في المجتمع الاسلامي ، وقد أشارت بمنع الاختلاط قبل سن العشرين ، وذلك لما رأت في المجتمع الأوربي ، من التفكك والانحلال الخلقي ، الذي كان وما زال نتيجة الضحايا الذين يملأون السجون والأرصفة ، هذا إضافة الى المصائب المختلفة نتيجة للتشرد والضياع والاباحية والتحلل الخلقي ثم تصف هذه الكاتبة المجتمع المصري فتقول : " ان القيود التي يفرضها المجتمع (الاسلامي) على الفتاة الصغيرة صالحة ونافعة ، ولهذا أنصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم ، واضموا الاختلاط وقيودا حرية الفتاة ، بل أرجعوا الى عصر الحجاب ، فهذا خير لكم من اباحية وانطلاق ومجون أوروبا وأمريكا " (١)

(١) المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام ، تأليف محمد محمود الصواف ،

ويرد على هذه المقالة الأستاذ محمد محمود الصواف فيقول :

" أيها المسلمون لقد نهض الاسلام بالمرأة نهضة روحية وعظمية وإنسانية ، وأخلاقية واجتماعية واقتصادية فطكتها وورثها ، وجعل منها شخصية فائقة سامية بين نساء العالمين لقد فعل هذا وأكثر من هذا يوم كان للاسلام سلطان وكان المسلمون يطبقون في أنفسهم شريعته وأحكامه السامية فاتقوا الله في هذه الأمة ، واتقوا الله في أنفسكم وأهليكم ، وعودوا إلى شريعتكم الصافية يحزمكم الله وينصركم ويثبت أقدامكم والله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون " (١)

ان هذه النعمة التي تعيشها المرأة المسلمة رآها أناس من الغرب ، عندما رأوا مساوئ الاختلاط في مجتمعاتهم ، وساء لهم ما رأوا في المجتمع الذي يعيشون فيه ، بل وساء لهم أكثر من ذلك أن يروا المجتمع الاسلامي ينحل نتيجة للتقليد الأعشى الذي يجروا به الشر ، باسم الحضارة والتقدم تاركة ، وباسم التحلل من الرجعية تارة أخرى ، وما ظموا أن الرجعية فسى سيرهم وفي تخلفهم يوم أن تركوا أمرا من أمور دينهم التي شرعها الله لهم ، وهو أعلم بما يصلح عباده وما يضرهم ، وما تستقيم به الإنسانية ويصلح أمرها فالمرأة المسلمة ان تمسكت بأمر دينها ، ستكون محسودة على النعمة الكبرى التي هي فيها من أمن واستقرار وسعادة وورع وطمأنينة وظلمة ، مصدرها اتباع الدين والسير على هداية .

(١) المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام ، تأليف محمد محمود الصواف ،

تشويه معنى الجهاد وقيام الاسلام بالسيف

الجهاد ضرورة من الضروريات الاسلامية التي فرضها الله على عباده لاعلاء كلمته ، ولاحقاق الحق وازهاق الباطل ، ولكن أعداء الاسلام لم يتركوا شيئا الا وحاولوا التيل منه ، والتشكيك في صحته بمطاعنهم في الاسلام ، لانه لو بقيت للمسلمين روح الاسلام الاصيلة متمثلة في أبناءه ، معناه ، القضاة على أعداء الاسلام ، ولكن ببذرهم هذه الشبهات حول الجهاد ، يضعف التوانع الديني لهذا الهدف النبيل ، ويفقد شباب المسلمين روح الحماس ، والشجاعة والاقدام ، ويعد زرع بذور الشك ومحاولات المستشرقين بمزاعمهم الباطلة طمس الحقائق الاسلامية التي توخاها الاسلام في فتوحاته الاسلامية التي فرض الله من أجلها الجهاد ، لذلك فانهم يشيرون فيما يكتبون ويحاضرون أن معنى الجهاد في سبيل الله عند المسلمين ، هو حطهم السيف لأكراه الشعوب غير الاسلامية على الدخول في الاسلام وهذه فرية يكذبها واقع تاريخ المسلمين وكتاب رب العالمين (١) قال تعالى :

" أنأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين " (٢)

ويقول أيضا :

" فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر " (٣)

ويرد العقاد على هذه المزاعم في كتابه " ما يقال عن الاسلام " بقوله :

(١) المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام تأليف محمد محمود الصوان ص ١١

(٢) سورة يونس آية (٩٨) -

(٣) سورة الشورى آية ١٢٩ -

" ان المسلمين لم يحاربوا قط في صدر الدعوة الا مدافعين لمن يصدون الدعوة بالموعظة الحسنة من نوى السلطان ، وكذلك كانت وقائعهم مع مشركي الجزيرة العربية كما كانت وقائعهم مع الفرس والروم ، وقبل غزو قارس بزمان طويل كان كسرى يبعث في طلب صاحب الدعوة الاسلامية حيا أو ميتا ، لانه خاطبه داعيا الى الاسلام (١) "

ومن هنا تتجلى الحقيقة الناصعة في دور الجهاد الاسلامي العظيم وما يهدف اليه فالاسلام لا يقبل على المسلمين أن يكونوا أذلاء متخاذلين في الدفاع عن رسولهم العظيم وعن أنفسهم لاحقاق الحق وابطال الباطل ان الباطل كان زهوقا ، ولو تدبر أعداء الاسلام الأهداف النبيلة السامية والاسباب التي دعت الى الجهاد كما شرعها الله لتراجعوا عما زعموا ولعلموا علم اليقين انها هذا الدين ما جاء الا لتكريم الانسانية ، ونشر الرخاء والسودد على العالم أجمع وما زال الكتاب يزودون عن شرائع الاسلام موضحين الاسباب التي شرع من أجلها الجهاد ، وها هو العقاد يرد على زعمهم بانتشار الاسلام بالسيف بقوله :

الحقيقة الأولى : " ان مطعن القائلين بأن الاسلام دين قتال انما يصدق - لو صدق - في بداية عهد الاسلام كما أسلفنا ، يوم كان بهذا الدين كثير من العرب والمشركون ، ولولا هم لما كان له جند ولا حمل في سبيله سلاح ،

(١) ما يقال عن الاسلام ، عباس محمود العقاد ص ١٣٥ .

لكن الواقع أن الاسلام فى بداية عهدہ كان هو المعتدى عليه ، لم يكن من قبلہ اعتداء على أحد ، وظل كذلك حتى بعد تلبية الدعوة المحمدية واجتماع القوم حول النبی عليه الصلاة والسلام ، فانهم كانوا يقاتلون ولا يزيدون على ذلك . " وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين " (١)

والحقيقة الثانية : أن الاسلام انما يعاب عليه أن يحارب بالسيف فكسرة يمكن أن تحارب بالبرهان والاقناع ولكن لا يعاب عليه أن يحارب بالسيف "سلطة" تقف فى طريقه ، وتحول بينه وبين أسماع المستعدين للاصفاء اليه ، لأن السلطة تزال بالسلطة ، ولا غنى فى اخضاعها عن القوة (٢) .

(١) سورة البقرة آية ١٨٩ .

(٢) عقريه محمد ، عباس محمود العقاد ، ص ٤٤-٤٥ .

المؤلفات الدينية التي تظهر نور الاسلام من ناحية ، وتناقض المتحاملين عليه من ناحية أخرى ، * مفتريات على الاسلام ، للاستاذ أحمد محمد جمال* :

تناول فيه الجوانب التي تعرض لها الغربيون في الحملة على الاسلام وتشويهه ، والتقليل من شأنه ، ورد على مزاعمهم الكاذبة الضالة بما يؤكده حقيقة هذا الدين ويظهر نوره الذي أراد الله له ولو كره الكافرون ، فقد تعرض المستشرقون للقرآن الكريم ، والحديث النبوي ، والتشريع الاسلامي ، والفتوح الاسلامية ، فقد تعرضوا لكتاب الله الكريم ، وبأنه ليس منزلا من عند الله انما هو تأليف محمد ، بهذا التشكيك الذي يبذره المستشرقون يصبح المسلمون في شك من أمور دينهم ، ويصلون الى أغراضهم من جعل المسلمين ضعفاء لا كيان لهم ولا دين يجمعهم من ظلالاتهم المطفقة ، ومن هذا المنطلق بدأت افتراءاتهم ، ولكن هؤلاء الطحديين لم يتدبروا آيات القرآن ويفهموها كما أنزلها الله ، لو فهموها لتراجعوا عما زعموا ، وذلك لأن آيات الكتاب التي عاتب الله بها نبيه تدل دلالة قاطعة على أن القرآن ليس من تأليف محمد كما في قوله تعالى :

" عَسَىٰ وَتُولَىٰ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْيُنُ ، وَمَا يُدْرِيكَ لِمَ لَمْ يَزَكِ " (١)

فلو كان القرآن من تأليف محمد - كما يزعم المستشرقون لتناول هذا العتاب بالحذف والتلطيف ، ولكن تبديل شيء من القرآن ليس الى محمد - صلى الله عليه وسلم - ، ولذلك أمر حين طلب منه المشركون أن ينزل القرآن ببعض أهوائهم ورجائهم أن يقول لهم :

"قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسه ان أتبع الا ما يوحى الى " (١)
وشبهه بآيات العتاب فى القرآن الآيات التى يمن الله فيها عليه باصطفائه
للمرسالة وتبليغه عليها ، وتحذيرة من الانفكاك عنها كقوله عز وجل :
" وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة ، وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل
الله عليك عظيما " (٢)

" ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا ، اذن لأنقناك ضعف
الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا " (٣) (٤)

(١) سورة يونس آية ١٤ .

(٢) سورة النساء آية ١١٢ .

(٣) سورة الاسراء آية ٧٣ - ٧٤ .

(٤) مقترحات على الاسلام أحمد محمد جمال ص ١٦-١٧ .

الحديث النبوى فى نظر المستشرقين

لقد تناول المستشرقون - الحديث النبوى ، بالطعن ومطاعنهم
فى الحديث النبوى تتلخص فيما يأتى :

- ١ - يزعم بعضهم : أن أحاديث نبوية كثيرة زائفة وملتقطة .
- ٢ - ويقول آخرون : ان نصف الأحاديث المدونة فى صحيح البخارى ليست أصيلة ، وغير موثوق بها .

أما جولد زيهر - المستشرق اليهودى المجرى - . وفيزعم فى
كتابه (العقيدة والشرعة فى الاسلام المزاعم التالية :

- ٣ - أن الاسلام نما على يد رجاله - من طريق الاضافات التى جعلت
هذا الدين يكبر الى حد لم يعرفه محمد فى حياته ، وان هذه
الاضافات ، أى السنة على حد تعبيره - هى من صنع الفقهاء
الذين أرادوا أن يجعلوا من الاسلام ديناً عاماً شاملاً .

- ٤ - ان تعاليم القرآن - نجد تكلمتها واستمرارها فى مجموعة من
الأحاديث المتواترة وهى وان لم ترد عن النبى مباشرة الا أنها
تعتبر أساسية لتمييز روح الاسلام . (١)

والواقع أن رجال الحديث النبوى انفردوا فى تاريخ الفكر
الانسانى وبخاصة تاريخ تدوين الرسالات السماوية وغيرها - بنظام البحث

(١) مفتريات على الاسلام ، أحمد محمد جمال ص ٣٥-٣٦ .

والتدقيق في الرواية ، والجرح والتعديل للرواة حتى غرلوها ما روى
عن نبي الاسلام عليه الصلاة والسلام غريبة نادرة لا مثيل لها في تاريخ
الأنبياء والمرسلين . وكان من نتيجة ذلك النظام الدقيق ، في ضبط الحديث
النبي ، وتوثيقه أن عرف الناس الأحاديث الصحيحة والضعيفة ، والمنكرة ،
والشاذة وغيرها .

ووضعت كتب ضخام في الأسانيد ومثلها في تراجم الرواة حتى
أصبح من الميسور على الباحث عن حقيقة أي حديث منسوب إلى الرسول
عليه الصلاة والسلام - أن يعرف سنده ومثله ، ومدى صحته من عدمها
وعدالة رجاله من سقوطهم . (١)

ط (١) مقريات على الاسلام أحمد محمد جمال ص ٤٠

الفتوح الإسلامية =====

- اتخذ المستشرقون من الفتوح الإسلامية مادة للطعن على الإسلام متجاهلين حقيقة هذه الفتوح ، والتي شرع الله سبحانه وتعالى من أجلها الجهاد ، وكان لهذا التشريع الإسلامي أثره الواضح في بناء وازدهار الرقعة الإسلامية ، ونشروا الإسلام خفاً في البلاد المفتوحة ، وكانت هذه الفتوحات تغليصاً للبلاد التي فتحت من الظلم والاستبداد التي كانت تعاني منها ، ولكن المستشرقين جحدوا هذه الحقائق في التشريع الإسلامي للفتوح ووضعوا مطاعن كثيرة لهذه الفتوح حيث قالوا :
- ١ - أن الإسلام فكرة اقتصادية واجتماعية أُنشِئَ منه فكرة دينية وأنه لم يكن دينياً إلا في الظاهر أما الجوهر فكان سياسياً واقتصادياً .
 - ٢ - وأن من مظاهر عبقرية مؤسس الإسلام أنه سخر الحركة الاقتصادية بأكملها لأغراضه السامية دينية كانت أو اجتماعية .
 - ٣ - أن القبائل العربية وسكان مكة والمدينة أقبلوا على الإسلام ونخلوا فيه لأسباب غير دينية .
 - ٤ - أن صاحب الدعوة استعمل الدين واسطة للوصول إلى أغراضه ولا علاقة بالدين أصلاً .
 - ٥ - أن اشتغال العرب بالفتوحات الواسعة ، وما تبع ذلك من تدفق

الأموال المغتصبة الهتهم عن التفكير في السائل الاجتماعية .

٦ - ان العرب رحبوا بالاسلام على اعتبار أنه ذريعة لحركة الفتح هذه
التي تدعو اليها الضرورات الاقتصادية .

٧ - ان العرب كانوا جوعا في جزيرتهم فخرجوا يلتمسون الأكل اشرقحط
نزل ببلادهم ، ولم يخرجوا عن عقيدة وايمان (١) .

الفتوح الاسلامية أسبابها وأهدافها

=====

ان الحقائق التاريخية تثبت كذب وافتراء الحاقدين على الدين وتوضح الأسباب المكنمة لهذه الفتوح ، وتنزه المسلمين الفاتحين عن هذه الأغراض التي هم منها براء ، هذا إضافة الى ما تتميز به روح الفاتحين من زهد في الدنيا ، وعزوف عنها ، طالبين رضوان الله آمين في ثوابه ، راجين رحمته ، مشفقين من عذابه ، فالأسباب التي دفعت المسلمين الى الاعتراك مع أعدائهم نجمها فيما يلي :-

أولاً حماية الدعوة الاسلامية من عدوان خصومها سواء أكانوا من عرب الجزيرة نفسها ، أم من خارجها ، كالفرس والروم كما حدث في اعتداء كسرى على مبعوث الرسول عليه الصلاة والسلام ومحاولة اغتيال الرسول نفسه ببذل العطاء السخي لمن يأتيه برأس محمد ، وكما فعل (هرقل) ملك الروم حين أمر بقتل كل من أسلم من أهل الشام ولذلك جهز الرسول - صلى الله عليه وسلم - قبل وفاته جيشاً لقتال الروم جهزه بقيادة أسامة ابن زيد وأنفذه أبو بكر - رضي الله عنه - بعد تولية الخلافة ، وأصر على انفاذه ، برغم معارضة بعض الصحابة وقال لا أحل لواء عقد الرسول - صلى الله عليه وسلم -

واستطاع أبو بكر أن يخيد للإسلام هيئته ويجعله قويا عزيزا في الجزيرة العربية لتبقى هذه الدعوة مصدر الاشعاع والهدى والصلاح وتظل حصينة

على تهديد الأعداء المناوئين لها ، والمقريصين بها الدوائر ، سواء
من داخل الجزيرة أو خارجها .

ثانياً : ومن العوامل التي دعت المسلمين إلى الفتح نقض هؤلاء للعهد
المبرمة بين الفريقين ، ويد الأعداء أنفسهم بالعدوان ، وقد أثبتت
القرآن ذلك في قوله تعالى : " الا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهم
باخراج الرسول وهم بدوكم أول مرة ، أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه
ان كنتم مؤمنين " (١) .

ثالثاً : المسلمون ممنوعون من الاعتداء ، بأمر قرآنهم وحديث رسولهم وقسده
أمتنعوا فعلا عن العدوان والبغى على الغير وانما وجههم القرآن
الكريم بقوله " وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله
لا يحب المعتدين " (٢) (٣) .

(١) سورة التوبة آية ١٢ .

(٢) سورة البقرة آية ١٨٩ .

(٣) مقتربات على الاسلام ، أحمد محمد جمال ص ٦٠ - ٦١ .

وهذه بعض المطاعن التي تضررها المستشرقون على الاسلام تتضح فحسب
أقوالهم الاتية :

يقولون :

- ١ - ان القرآن قليل الرأفة بالنساء .
- ٢ - لو كان محمد نبيا لشغلته النبوة عن النساء !
- ٣ - الطلاق في الاسلام قسوة وظلم للمرأة ؟

ان هذه المزاعم ما هي الا نتيجة الدسائس والحقده على الاسلام
 فلو قرئت آيات القرآن وفهمت كما هي ، لعرف المستشرقون أى دين بها جمون ؟
 ولأى كتاب سماوى يتعرضون ، والدين الاسلامى هو الدين الوحيد الذى
 أنصف المرأة وجعل لها حقوقا وفرض عليها واجبات . قال تعالى :
 لا رتبة من الرجال ^١ والرجال ^٢ أى أن النساء مثل الرجال وطبيعتهم
 واجبات كواجبات الرجال ، ولكن الله سبحانه وتعالى جعل للقيادة والرياسة
 للرجال كما قال تعالى :
 " الرجال قوامون على النساء " (١) هذه الدرجة الواحدة يتميز بها الرجل
 عن المرأة وهى ضرورة اجتماعية لا بد منها . (٢)

ثانيا : أقوالهم عن الرسول بأنه لو كان نبيا لشغلته النبوة عن النساء :
 ان أعداء الدين يحاولون أن يصلوا الى فرية تحط من قدر الاسلام
 فطمعوا فى نبوة الرسول من حيث تعدد الزوجات وأنه لو كان حقا نبيا
 لشغلته مهام النبوة عن النساء . والرد على ذلك من قوله تعالى : " ولقد

(١) سورة البقرة آية ٢٢٢ .

(٢) سورة النساء آية ٣٢ .

(٣) مفترقات على الاسلام احمد محمد جمال ص ٨٣ .

أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية (١) .

هذا الدفاع الالهي عن النبي يتضمن أمرين :

الأول ان تعدد الزوجات عند الأنبياء لا يتعارض مع واجبات النبوة وأهدافها ، بل قد ينعين عليها ويحققها .

الثاني : ان الأنبياء الذين سبقوا محمدا صلى الله عليه وسلم - قد تزوجوا بأكثر من واحدة .

وهكذا رد القرآن الكريم على شبهة اليهود والفابرين عن تعدد زوجات الرسول - صلى الله عليه وسلم - بحجتين الأولى (عقلية) ، والأخرى (تاريخية) من سير الأنبياء قبله .

زواج النبي (صلى الله عليه وسلم)

=====

لقد اتفق خصوم الاسلام على التشويه من سمعة الرسول في أمور تعدد الزوجات ، واخراج الرسول - صلى الله عليه وسلم - في صورة معيصة لا تتفق مع شرف النبوة ولا يتصف بها بفضيلة الصدق في طلب اصلاح .
فحاولوا أن يصفوه - صلى الله عليه وسلم - بصورة الرجل الشهواني الفسارقي في لذات الجسد العازف في معيشة البيتية ورسالته عن عفاف القلب والروح !

وانهم بلا شك على خطأ جليل في هذا التصور الخاطيء لأن المسلم الحق المطلع على سيرته - صلى الله عليه وسلم - ، يدرك أن هذه فرية وأي فرية يفترى بها على نبي الأمة ، وان تعدد زوجاته خصوصية من خصوصياته لا أمور

تقتضيها الرسالة ، كأسباب دينية أو اجتماعية ولم يمد ثقتهم أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - اختار زوجة واحدة لأنها جميلة ، ولم يبن بعد راء الا العذراء التي علم قومه أنه اختارها لأنها بنت صديقه وصفيه أبي بكر الصديق رضي الله عنه - وما من زوجة تزوجها الا وكان وراء زواجه منها دافع انساني كريم ، أو مقصد اجتماعي يخدم الدعوة الاسلامية . (١) .

مزايعهم أن الطلاق في الاسلام قسوة وظلم للمرأة :

ان الاسلام أباح الطلاق عند ما تتعذر الحياة الزوجية ، ويصبح الوفاق بين الطرفين مستحيلا ، وبعد اللجوء الى جميع الحلول المناسبة ، وعند ما جعل الاسلام الطلاق في يد الرجل ما ذلك الا لحكمة رآها ، وهي بعد الرجل عن العاطفة والانفعال ، وأقدر على تحكيم عقله وضبط نفسه عند الغضب لذلك جعل الطلاق في يده ، وللرأة طلب الطلاق من زوجها

(١) حقائق الاسلام وأباطيل خصومه ، عباس العقاد ص ٢٥٣ - ٣٥٨ .

ان رأيت أنها لا تستطيع الحياة معه ، وقد أباح الاسلام هذا انصافا
للمرأة ورعاية لحقوقها وعدم اكرامها على أمر لا تريد من شأنه أن يحطم
حياتها ويقضى على مستقبلها مع رجل لا تريد . (١)

(١) مفريات على الاسلام ، أحمد محمد جمال ص ١٢٣ - ١٢٤

الاصلاح الدينى

=====

حقيقة الاصلاح الدينى فى الاسلام :

الاصلاح الدينى فى مجال الاسلام هو محاولة رد الاعتبار للقيم الدينية ورفع ما أثير حولها من شبه وشكوك قصد التخفيف من وزنها فى نفوس المسلمين ، وهذا يعنى تنبيه الشعوب الاسلامية من حالة الجمود التى توقفوا عندها حتى لا يقف المسلم المعاصر موقف المتردد الضعيف فى أمور دينه الأعزل من السلاح الدينى الذى يحميه من حالة الشك والتردد فى أى أمر من أمور دينه ، وقد تمت حركة الاصلاح الدينى من منتصف القرن التاسع عشر الميلادى الى منتصف القرن العشرين ، وكانت الظروف السائدة فى القرن التاسع عشر أن تم استعمار الغرب للشرق الاسلامى ، وانتشار الأفكار الغربية لدى المسلمين وضعف الشرق اجتماعيا وسياسيا ، كان سببا لا يقاط بعض المفكرين المسلمين وحافزا لهم على دراسة ما يجب أن يكون عليه موقف الشرق الاسلامى ازاء الاستعمارية فى بلاد الشرق ، فكانت حركة الاصلاح التى حمل لواءها الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى الجزيرة ، واقبال فى باكستان ، وكذا الأفغانى والشيخ محمد عبده فى مصر ، وان كان لهم بعض الشطحات بمعنى أن الامام ابن عبد الوهاب كان هم تصحيح العقيدة وتخليصها من شوائب الشرك ، أما الباقيون فان همهم كان محاربة المستعمرين (١)

(١) الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ، د . محمد البهي ،

الاصلاح الدينى فى نجد :

نجد هى الأرض التى انطلقت منها حركة الاصلاح الدينى التى كان يقوم بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذى ولد فى عام ١١١٥ هـ ، ونشأ نشأة دين وثقوى فى كنف والده الشيخ سليمان بن عبد الوهاب التميمى قـاض مدينة * الميينة* فتلقى عنه العلوم الدينية والعربية ، وقد تنبه الشيخ محمد ابن عبد الوهاب لحالة الجمود والانحطاط التى كان يعيش فيها سكان نجد ، وليس هذه الحالة من التأخر قاصرة على نجد بل على العرب والمسلمين جميعا ولبعد هم عن روح الدين الاسلامى ، وتمسكهم بالبدع والخرافات التى ليس لها صلة بالدين بل تؤدى بهم الى الكفر والضلال ، وقد قام الشيخ محمد بن عبد الوهاب برحلات الى بعض البلاد العربية باحثا مستطلعا ورأى رأى العين ما يتخبط فيه العالم الاسلامى من ضلال ، وما يتقلب فيه من أوزار ، وكانت لهذه الرحلات تأثير على نفسه ، ومن ثم كان لها الأثر الأكبر فى قيامه بالاصلاح والدعوة الى التوحيد وتعليم الناس اصول الدين الصحيح القائمة على عبادة الله وحده لا شريك له من أشجار يعتقد أنها تنفع أو تقرب الى الله ، فقد جاء الشيخ ووجد الناس يتردون فى الضلال فى الميينة أشجار يعظمها الناس ، ويعلقون عليها قطعاً صغيرة مما يلبسونها طلباً للبركة ، فبعث اليها الشيخ من قطعها بعد أن نقده أجراً من ماله ، وقطعت بدون مقاومة ، وتقدم الشيخ بخطوة أكبر وأوسع ، فقرر هدم القبة فوق ضريح ، زيد بن الخطاب أحد الصحابة الذين استشهدوا فى حروب أهل الردة سنة ١٢ هـ ، وتمكن الشيخ من هدم القبة التى كان الناس يعظمونها وظنوا

أنه سينزل بالشيخ بلاه ، ولكن عند ما مضت فترة ولم يصب الشيخ بأذى أصبح له مكانة عالية عند العامة ، وعظم أمره وكثر عدد الموالين له ثم انتقل الشيخ الى الدرعية وقابل الأمير محمد بن سعود أمير الدرعية ، وتم بينهما اجتماع فقال الأمير محمد بن سعود : أيها الشيخ ان هذا الدين دين الله ودين رسوله بلا شك فيه ، فابشر بالنصرة لما أمرت به وبالجهاد فيمن يخالفك .

وهكذا تم الاتفاق بينهما على الجهاد في سبيل الله ، واعلاء كلمة التوحيد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وما من اتفاق تقوم دعائمه على نصرة الاسلام والدين الا يؤيدها الله بنصره ، ويجعلها خيرا عيما على الأمة الاسلامية وغيثا منهمرا على قلوب أجد بها الجهل وأصابها القحط ، فارتوت من نعيمه ، واستقامت على دعوته ، واذا استقامت حياة الأفراد واستقرت أيضا حياة الأمم والدول (١) وكانت السعودية أول المستجيبين لهذه الدعوة والعاملين بها والقائمين عليها ، فبدل الله تعالى خوفهم أمنا وعسرا يسرا ، وجعل لها مكانة مرموقة بين دول العالم .

هذا ما كان من أمر الإصلاح في نجد والحجاز ، أما في اواسط آسيا فقد ظهر محمد اقبال بحركته الإصلاحية أيضا وكان لها أثر كبير في تصحيح المسار الديني في هذه البلاد .

(١) تاريخ الدولة السعودية - المجلد الاول من محمد بن سعود الى عبد الرحمن الفيصل سنة ١١٥٨ - ١٣٠٧ تأليف أمين سعيد ، توزيع دار الكاتب العربي

محمد اقبال وحركته الاصلاحية

أيقظ الاستعمار الغربي بعض المفكرين ، وجعلهم دعاة مخلصين ، وظهر

من هؤلاء المخلصين شخصية آرية مندية هي شخصية محمد اقبال .

مولده ونشأته :

ولد محمد اقبال في سيالكوت بالبنجاب عام ١٨٧٣ م في عائلة

تميش على الزراعة ، ونح جدهما الأكبر عن كشمير ، وتلقى اقبال تعليمه

في طفولته على أبيه ، ثم أدخل مكتباً ليتعلم القرآن ، ثم التحق الصبي

بمدرسة البعثة بالاسكتلنديه في سيالكوت في رعاية صديق أبيه يدرس فيها ،

وبعد أن حصل على شهادة الكلية الاسكتلندية بدرجة ممتاز ، التحق بكلية

الحكومة " بلامور " (١) وتقلب في عدة مناصب .

دوافع الاصلاح :

=====

المسلم الحقيقي الذي يخشى على دينه ما يتعرض له ، يحاول محاولة

جادة للاصلاح ، وما دفع اقبال لحركته الاصلاحية تخلف المسلمون عن المشاركة

في السيطرة على الطبيعة والواقع ، وفهم المسلمين للاسلام فهما خاطئاً

لا تصالهم واختلاطهم بغير المسلمين ، واستطاع أن يتمكن منهم الفهم الخاطئ ،

بسبب التأخر الذي وصل اليه حال العالم الاسلامي ، من فهم لهم بأن

(١) الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، د . محمد البهي ،

العالم الطبيعي الذي يمشون فيه يجب أن يحصروا عنه وأن المادة يجب تجنبها ، ومن ذلك " الصوفية الإيرانية " هي التي أبعدت المسلمين عن حياة الانسان المسيطر على الطبيعة والواقع ، واقبال يريد من المسلم الحقيقي أن يكون عاملا غير متواكل ، قريبا من الله لا بعيدا عن ذاته ومقدساته محتفظا بشخصيته هذه العوامل هي التي دفعت اقبال الى تفكيره الاصلاحى (١)

المسلم المعاصر :

يتحدث اقبال عن ظروف المسلم المعاصر ، كدافع من الدوافع التي حملته على الاصلاح ، وهي ظروف الانسان الذي يعيش مرددا بين قديم أصيل خصب ، لم يستطع يوضعه الحالى أن ينقله الى الحياة كما يعيشها عصره ، من الانخداع وراء الجديد البراق دون النظر الحقيقي الى الجوهر هذه النظرة السطحية هي سبب ركود التفكير لدى المسلمين ، يقول اقبال :

" ظل التفكير الدينى فى الاسلام راكدا خلال القرون الخمسة الأخيرة وقد أتى على الفكر الأوروبى زمن تلقى فيه وحي النهضة الاسلامية . ومع هذا فان أبرز مظاهره فى التاريخ الحديث هي السرعة الكبيرة التى ينزع بهها المسلمون فى حياتهم الروحية نحو الغرب . ولا غبار على هذا المنزع ، فان الثقافة الأوربية فى جانبها العقلى ليست الا ازدهارا لبعض الجوانب الهامة فى ثقافة الاسلام ، وكل الذى نخشاه هو أن المظهر الخارجى البراق للثقافة

(١) الفكر الاسلامى وصلته بالاستعمار الغربى الحديث ، د . محمد البهسى ،

الأوربية قد يشل تقدمنا فنصجز عن بلوغ كنهها" (١)

هذا هو موقف اقبال من الثقافة الأوربية ولغت النظر الى خيرها وشرها وهذا هو دوره في الاصلاح ودعوته التي كرس لها حياته ، وهذا موقفه الواعى ، من الثقافة الأوربية بخيرها وشرها وأزهارها وأشواكها ، فأثنى عليها وحذر منها ، فلا تقبل عليها من غير وعى ، ولا نتركها من غير سبب .

اصلاح الفكر الدينى :-

ان اقبال استطاع أن يسير في طريق الاصلاح الذى رسمه لنفسه ، نابعا من عقيدته الاسلامية ، ناظرا الى ما وصل اليه حال العالم الاسلامى ، وحاجتهم الى الاصلاح لذلك عبر عن حركته الفكرية بـ " اعادة بناء الفكر الدينى فى الاسلام " دون التعبير بالاصلاح الدينى ، لأن أى محاولة انسانية تدور فى محيط الاسلام ، لا تتعلق بتعديل مبادئه ، طالما أن مصدره هو القرآن الكريم له صفة الجزم والتأكيد والأبدية وأية حركة " اصلاحية " فى الاسلام ، بعد ذلك ، هو اذن فى دائرة الفكر الاسلامى حوله ، وفى دائرة اتهام المسلمين لمبادئه ، وأى تطور للاسلام يجب أن يكون بها المعنى فى دائرة اتهام المسلمين ، وتفسيرهم لتعاليمه ، وليس هناك تطور للاسلام نفسه لأن الوهى به قد انتهى على عهد الرسول — صلى الله عليه وسلم — كما

(١) الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى الحديث د . محمد الهبى

ختمت برسالته الرسالة الالهية .

واصلاح الفكر الدينى فى الاسلام " وعند اقبال " يقوم على طلب تغيير
الوضع الذى وصل اليه المسلم الآن - بسبب ضعف عقيدته الاسلامية ، و
والفكر الفكري الذى يسمى اليه أعداء الاسلام ، من الفرد الى الجماعة
الاسلاميه بسبب ضعفها وعدم وقوفها صفا واحدا فى وجه أعداء الاسلام (١) .

ومحمد

فهذه هى الحالة الدينية فى عصر الرافعى وقد رأينا موقف الامام
محمد بن عبد الوهاب منها فى نجد ، ومحمد اقبال فى الهند ترى
ماذا كان موقف الرافعى منها فى مصر وفى العالم الاسلامى بأسره : هذا
ما سنحسب عنه مفصلا ان شاء الله فى الباب الرابع من هذا البحث .

(١) الفكر الاسلامى - الحديث وصلته بالاستعمار الغربى الحد يث

د . محمد البهى ، ط ٦ - سنة ١٩٧٠ ، ص ٤٣٤ - ٤٣٥

الإبلاغ الثاني

حياة الرافعي

الفصل الأول:

أسرته ومولده

الفصل الثاني:

نشأته العلمية

الفصل الأول

أسرته و مولده

الموطن الأول للأسرة في طرابلس الشام ، وانتقالها الى مصر في أواخر القرن الماضي ، وتوليها مناصب القضاء :

مصطفى صادق الرافعي سوري الأصل ، مصري المولد ، اسلامي الوطن ، فأسرته من طرابلس الشام ، يعيش على أرضها أهله ونوعه ورأس الأسرة هو المرحوم الشيخ عبد القادر الرافعي الكبير المتوفى سنة ١٢٣٠ هـ بطرابلس الشام ، ويتصل نسبه بعمربن عبد الله بن عمر بن الخطاب أمير المؤمنين - رضى الله عنه - وأول وافد من هذه الأسرة الى مصر هو المرحوم الشيخ محمد الطاهر الرافعي ، وقد مها في سنة ١٢٤٣ هـ (قريبا من سنة ١٨٢٧ م) ليتولى قضاء الحنفية في مصر بأمر من السلطان العثماني في الأستانة وقد أنجب الشيخ محمد الطاهر فتاة وغلاما ، انتهى بموتها نسبه فليس في مصر أحد من ولده ، ولكنه كان فاتح الطريق لهذه الأسرة ، وبعد ذلك توافى إخوته وأبناء عموته الى مصر ، وأسرة الرافعي تعرف بالفقه في الدين ، وبذهبهم الحنفية ، وقد كثرت هذه الأسرة حتى اجتمع منهم في وقت ما أربعون قاضيا في مختلف المحاكم المصرية ، حتى أوشكت أن تكون وظائف القضاة ، مقصورة على آل الرافعي ، ولما توفى المرحوم الامام الشيخ عبد القادر الرافعي ، دعه الخديو عباس الى تولي وظيفة الافتاء ، وكان رجلا ورعا تقيًا وخشعًا على نفسه من هذا المنصب خوفا منه على دينه ومروءته ، وقد رشحه الخديو

لتولى منصب (مفتي الدولة) وهو في طريقه اليه أخذ يدعو الله أن يصرف عنه هذه الوظيفة ، في أثناء نزوله من العربة فارقت الحياة ، وأبـ والـ الأستاذ الرافعي هو المرحوم الشيخ عبد الرزاق الرافعي ، كان رئيسا للمحاكم الشرعية في كثير من الأقاليم ، وهو واحد من أحد عشر أخا اشتغلوا كلهم بالقضاء من ولد المرحوم الشيخ سعيد الرافعي وظل الشيخ عبد الرزاق رئيسا لمحكمة طنطا الى آخر أيامه وأم الرافعي كآبيه سورية الأصل ، وكان أبوها الشيخ الطوخي تاجرا يسيرا بقوافل التجارة بين مصر والشام ، وأصله من حلب وقد اتخذ مصر وطنًا له ، وعاش بها قبل أن يتصل نسبه بأسرة الرافعي وهذا وقد ولد مصطفى صادق الرافعي في قرية بهتيم من قرى مدينة القليوبية بمصر

سنه ١٨٨٠ (١) .

الفصل الثانى

=====

نشأة التعليمية ، وثقافته الخاصة (دينية ومدنية)
وأثرهما فى تكوين شخصيته الإسلامية المجاهدة

=====

نشأ مصطفى الرافعى فى أسرة مشبعة بالدين ، عريقة الجذور فى
أمور القضاء ، وتولى مناصبه ، وقد كان لهذه الأسرة اهتمام كبير بالقرآن والدين
وهما المادة الاولى فى هذه المدرسة العريقة التى تسير هذه الأسرة على —
منهاجها منذ انحدر أولهم من صلب الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
رضى الله عنه — وعلى هذه النشأة نشأ مصطفى صادق الرافعى ، فاستمع
الى أبيه أول ما استمع من تعاليم الدين ، وحفظ شيئاً من القرآن ، وفهم كثيراً
من أخبار السلف ، فلم يدخل المدرسة الا بعد ما جاوز العاشرة بسنة أو سنتين
فقط سنة فى مدرسة مشهور الابتدائية ، ثم نقل أبوه قاغيا إلى
محكمة المنصورة الأميرية ، فنال الشهادة الابتدائية وسنه يومئذ سبع عشرة
سنة أو دون ذلك بقليل ، عندها أصيب بمرض التيفوئيد ، وبعد أن شفى
هذا المرض أصيب بالصمم فى أذن واحدة ، وبعد فترة تبعثها الاخرى ، وكان

صوته أن يختفى ، ولكن رحمة الله وعنايته تداركه ، وأصبح يستطيع الكلام ولكنه لا يسمع ، وذلك انقطع عن دنيا الناس ، وعاش في دنيا الكتب التي كانت له معيناً على ما يريد من أمر الدنيا ، وتمكن من تحقيق ما تصبو اليه نفسه ، واستطاع أن يسمع الناس ما يريد يظلمه الفذ ، وأفكاره النيرة ، وذلك لم يستطع أن يكمل دراسته بعد الشهادة الابتدائية ، فانه استعاض عن تعليم المعلمين بتعليم نفسه ، وقد كان معيناً له على ذلك مكتبة أبيه الحافظة بنوادير الكتب من الفقه والدين والعربية . وكذا مكتبة الجامع الاحمدى ومكتبة القصي بطنطا وكتاتهما من المكتبات الشهيرة الزاهرة بأهيات الكتب ونقائس المخطوطات ، فأخذ يتزود منها زاده ، من العلوم والمعرفة ، وأخذ يعد عدته ، وكان له ما أراد من انفتاح عقله لا لوان من الثقافة ، وأحاط بكل ما فى المكتبة ، وقد مكنته ثقافته الواعية أن يدخل الى دنيا الناس بالقلم والفكر والوجدان ، من خلال كتاباته التي تعبّر عن القيم الاسلامية والاخلاقية والاجتماعية .

هذه هي ثقافة الرافعي الأديب العملاق الذي كان حاميا للذين
وما زالت آثاره تحمى الدين ، بما تحويه من أفكار جمة عميقة وبرهاننا
قويا ، وحجة راحنة لاعداء الدين الذين يحاولون النيل منه ، والتصدي
له ، ان ثقافة الرافعي نتيجة لجهده المتواصل في القراءة لمدة ثمانى
ساعات متواصلة لا يمل ولا ينشد الراحة لجسده وأعصابه ، ولا يقف
الامر عند قراءته الثمانى ساعات فقط بل يقرأ فى كل مكان
فى الديوان ، وفى القطار عند ما كان أول عهد
بالوظيفة كاتبا بمحكمة طلخا ، فكان يسافر كل يوم
وميمود ، فيأخذ فى الذهاب والاياب (ملازم) من أى كتاب
ليقرأها فى الطريق ، لقد كان لثقافة الرافعي
العميقة أثرها الواضح فى كتاباته ، مما جعل شخصيته تظهر
بأسلوب الكاتب الذى أسهم فى كل الفنون
الأدبية ، وكان له فيها تفوق ونمو
أظهره من فنون القول والأدب الوفي ، والفلسفة
العميقة بالجمال الفصيحة المشرقة بالأدب السامي الثرى باللغة والبيان والفكر
الناضج . (١) .

شيوخه في الأدب

ان الرافعي كان لا يعرف لنفسه أستاذا في الأدب ولا نشأ وهو فنى بد حياته لم يكن هدفه أن يكون كاتباً ، ولكن الظروف التي أحاطت به جعلته كذلك ، وقد قرأ الرافعي كثيراً فمذهبه في الكتابة من صنع نفسه واختياره ، الذي كونه بمجهوده الشاق ودروسه المتواصلة ، فرأى أدباء العربية وكتابها ، وكانت قراءته في الأكثر لاثنين من كتاب العربية ، هما الجاحظ ، وصاحب الأغاني أبو الفرج الأصفهاني . وكان شديد الإعجاب بهما ، وكان عندما يريد الكتابة بعد أن يجمع عناصر موضوعه في فكره أو مذكرته يفتح جزءاً من الأغاني أو كتاباً من كتب الجاحظ يقرأ فيه شيئاً مما يتفق ليعيش فترة ما قبل الكتابة في جو عربي فصيح .

ويعتقد أن الرافعي قد تأثر في أول أيامه بما كان يكتب الشيخ إبراهيم اليازجي صاحب مجلتي " الضياء والبيان " ولقد أوضح اليازجي تأثره الأدبي بفكتور هوجو في أسلوبه يقول الرافعي :
" ان كلمة قرأتها ليفكتور هوجو كان لها أثر في الأسلوب الأدبي الذي اصطنعته لنفسه "

قال الاستاذ فرج أنطون مرة : ان لهوجو تعبيرا جميلا يعجب به الفرنسيون كل الاعجاب ، قوله يصف السماء ذات صباح " وأصبحت السماء صافية كأنما غسلتها الملائكة بالليل " قال الرافعي : " وأعجبتني بساطة التعبير وسهولة المعنى فكان ذلك حذوي من بعد في الانشاء " (١)

(١) حياة الرافعي ، سعيد العريان ، ص ٧٦ .

الرافعي شاعر الحسن

أحب الرافعي الشعر في أول نشأته ، فكانت رغبته أن يكون شاعرا ، من شعراء العربية ، ان لم يكن خير شعرائها ، دفعه أمله لتحقيق غايته ، ويسر له كل صعب أمامه وسعى ما وسعه السعي لتحقيق ما يريد ، وقد يكون اعتداده بنفسه وكبرياؤه ما جعله قوي الحجة ذرب اللسان فيما بعد .

ان صفات الرافعي مكنته أن يكون كما أراد من شعراء العربية وقد سار الرافعي بخطى حثيثة ثابتة للوصول الى مبتغاه ، وقد تثقف بثقافة واسعة من الأدب القديم ، واستطاع أن يعرف من تراث شعراء العربية ما مكنته من إصدار دواوينه فيما بعد . وكان يتطلع الى شاعرين من شعراء عصره هما البارودي وحافظ أما أولهما فكانت له زعامة الشعر ، وأما الثاني فكان جديدا على الشعر ، فأخذ الرافعي يقارن بينه وبين نفسه ، ولكن حافظا كان أسبق منه الى الشهرة فضلا عن منزلته عند البارودي زعيم الشعراء ، ومكانته عند الشعب ، وبدأ الرافعي يستجمع قواه ويعد العدة للمعركة والكفاح ، فأكد علاقته مع البارودي ، وعقد الصداقة بينه وبين الأستاذ الامام ، وأخذ يتحدث في المجالس وينشر في الصحف بأنه شاعر الحسن ، وأن حافظ لا يقول في الغزل والنسيب .

ورغم هذه المنافسة الا أن صلة الود بينه وبين حافظ قوية وفي هذه الاثناء التي يسعى فيها الرافعي للظهور واثبات وجوده كشاعر قدم الى مصر شاعر العراق الكبير المرحوم عبد المحسن الكاظمي ، ونشرت له الصحف قصيدة قرأها الرافعي فأعجبت ورأى فيها فنا ليس من فن الشعراء المعاصرين الذين قرأ

لهم ، فسعى الرافعى جهده للتعرف عليه حتى يقتبس من أدبه ، ولكنه عندما ذهب اليه رده ردا غير جميل اذ أن الكاظمى كانت فيه أنفة وكبرياء واصطدمت كبرياء بكبرياء وذهب الرافعى وكتب مقالة أو قصيدة على ما يقال قلل فيها من شأن الكاظمى ومكانته وما كان هذا شعور الرافعى حقيقة نحوه ولكن للفت الانتباه بقصد الانذار والتخويف ، وكان لهذه الكلمة رجع الصدى فى تقوية الصلة بين الرافعى والكاظمى ، وصفت نفسيهما ، وأصبحا صديقين حميمين ، هؤلاء الثلاثة البارودى وحافظ والكاظمى هم الشعراء الذين تأثر بهم الرافعى فى شعره .

بدأ الرافعى يقول الشعر ولما يبلغ العشرين من عمره ، ينشر فى الصحف وفى مجلات السوريين التى تصدر فى مصر وكانت المجلات الأدبية كلها الى ذلك الوقت فى أيديهم ، فمجلة الضياء والبيان ، والنشرا ، والزهراء ، والمقتطف وسركيس والهلال ، وغيرها . كان يقوم عليها كلها جماعة من أدباء سورية كالبيستاني ، واليازجى ، وصروف ، وجورج زيدان وسليم سركيس وغيرهم ، فما كانت سنة ١٩٠٣ م وعمر الرافعى يومئذ ثلاث وعشرون سنة ، نشر حافظ ابراهيم ديوانه ، وقدم له بمقدمة بليغة كانت حديث الأدباء فى حينها ، وطال حولها الجدل حتى قال بعضهم أنها للمويلحى ، ووجد ديوان حافظ حفاوة بالغة وثنا مشكورا ، ومن هنا بدأت الغيرة تتسرب الى نفس الرافعى ، وبدأ يهمل جاهدا حتى يصل بديوانه للمستوى الذى وصل اليه حافظ وصدر الجزء الأول من ديوان الرافعى بعد ديوان حافظ بقليل ، وقدم له بمقدمة رائعة فصل فيها معنى الشعر وفنونه ومذاهبه وأوليته وهى أول ما كتب الرافعى

وان كانت مقدمة ديوان حافظ قد ثار حولها من الجدل ما حمل بعضهم على نسبتها للمولحي ، فقد حطت هذه المقدمة الاديب الناقد الكبير الشيخ ابراهيم اليازجي على الشك في أن يكون كاتبها من ذلك العصر ، مما يخادع نفسه في قدرة الرافعي على كتابتها .

استطاع الرافعي أن يحقق ما تصبو اليه نفسه وذلك بعد نشر الجزء الأول من ديوانه عام ١٩٠٣ م ، واستطاع أن يلفت اليه أدباء عصره وواصل الكفاح فأصدر سنة ١٩٠٤م الجزء الثاني من الديوان ، وفي سنة ١٩٠٦ م ، أخرج الجزء الثالث في سنة ١٩٠٨م الجزء الأول من ديوان المنظرات ، وتحدث الأدباء والشعراء عن الرافعي الشاعر وبقى على مذهبه حتى سنة ١٩١١ ثم تحول من الشعر الى الكتابة وتوجه وجهة جديدة سيرد ذكرها فيما بعد . (١)

(١) حياة الرافعي ، سعيد الريان ، ص ٤٣ - ٥١ .

الإرضاء وشعراء عصره

لقد عاش الرافعي الشاعر في أول هذا القرن ، فكان حافلا بالشعراء من لم يجتمع منهم في زمان أو مكان ، ولقد تأثر الرافعي بهؤلاء الشعراء المعاصرين ، ويتضح مبلغ تأثره بهم من حديثه الذي نشره في مقالة في عدد يناير ١٩٠٥ م من مجلة " الثريا " بتوقيع (✨) نجم ولقد أخفى اسمه بهذا الرمز خوفا من التهمة ، وحتى يحصل على مكان من الدعاية لنفسه ، وقصد نظم الشعراء في طبقات ثلاث ، وجعل نفسه في الشعراء رابع الطبقة الأولى وكان ترتيبه كما يلي :

الطبقة الأولى :

الكاظمي ، والبارودي ، وحافظ ، والرافعي .

الطبقة الثانية :

صبري ، وشوقي ، وصاربان ، وداود عيون ، والبكري ، ونقولا رزق وأمين حداد ، ومحمود واصف ، وشكيب أرسلان ، ومحمد هلال ابراهيم ثم حلفي ناصف .

الطبقة الثالثة :

الكاشف ، والمنفلوطي ، ومحرم ، وامام العبد ، والعروبي ، ونسيم ثم أضاف اليهم اثنين من شعراء العراق : السيد ابراهيم ، ومحمد النجفي .

وقد افتتح الرافعي مقاله بما يأتي :

" قرأت في بعض أعداد " الثريا " كلمة عن " الأديب قديما وحديثا " فقلت : كلمة مألوفة . ولم ألبث أن رأيت جولة أخرى لأديب غيور على الشعراء ،

كان رأس الشعر بين أولها وآخرها كأنما شدخ بين حجرين ، فقلت : انسى
أنظم الشعر فأسر ، وأقرأ عنه فأسر ، فمالى لا أنفثها والقوم قد أصبحوا
يتنافسون فى أسماء الشعراء كما يتنافسون فى القاب الأمراء ، وقد استويا نفس
الزور ، فلا أكثر أولئك شاعر ولا أكثر هؤلاء أمير !

* ثم رأيت بعد أن عزم الله لى كتابة هذا المقال أن أحرره بغير توقيع ، وان
كنت أعلم أن أكثر من يقرأونه كذلك سيخرجون من خاتمة كما لو كانوا أميين لم
يقرأوا فاتحته ، فان الحكمة كلها والمعرفة بجميع طبقاتها أصبحت فى أحرف
الأسماء ، فان قيل كتاب لفلان .. قلنا : أين يباع ، وان كان من سقط المتاع
على أن اسى قد لا يكون فى غير بطاقتى وكفى الى أصحابي القليلين ، ونفى
سجل بعض الجرائد والمجلات فليظننى القارى ما ضرب على رأسه الظن ..
* وسأذكر فى هذه الأسطر كل من عرفته أو اتصل بى اسمه من الشعراء ،
وأقطع عليه رأى ، فاما وسعه فكل به ، واما أظهره كما هو فى نفسه ، لا كما
هو عند نفسه ، ولذلك فقد ضممتهم الى ثلاث طبقات ، وجاريت فى تسمية
بعضهم بالشعراء عادتنا المألوفة *

ثم كتب بعد ذلك رأى فى كل شاعر مما أثار الشعراء والأدباء عليه نفسى
الصحف والمجلات . (١)

الرافعي وأغاني الشعب

لقد وفق الرافعي في تأليف الأناشيد الوطنية ، التي تفيض حماسة بالأنشيد العربية ، وهو بذلك جرى أن يسمى " شاعر الأناشيد " وقد ولع منذ صغره بالأنشيد الوطنية ، والأغاني الشعبية يفتن في نظمها ، ويضع في أوزانها وأساليبها ، ففي سنة ١٩٠٣ م أخرج صدر الجزء الأول من ديوانه بضع قصائد وطنية ، تفيض عاطفة وتشتعل حماسة (١)

وهو في مستهل حياته الأدبية انتشرت قصائده ومقطوعاته ذات الصفة التربوية ، وانتظمت حماسة على السنة لملبة المدارس ومنها قوله : الذي جمع عناصر الفكرة القومية كلها في بيت :

" بلادى هواها في لسانى وفي دى . . يمجدها قلبى ويدعولها فنى " (٢)

وقد عرف الرافعي بتفوقه على شعراء العربية في هذا المجال ، وقد سار شوطا بعيدا في هذا المجال فأخرج ديوان أعاني الشعب " وأخرج مجموعة كبيرة في هذا المجال بعضها نشر والآخر لا يزال بين أوراقه الخاصة ومؤلفاته التي لم تنشر.

ولذا خلد اسم الرافعي وكتب له البقاء على مرور الأيام والسنين بسين شعراء العربية ، فلم يكن ذلك من أجل أنه ناظم ديوان الرافعي أو ديوان النظرات ، أو المدائح الطكية في المغفور له الطك فؤاد أو قصائد الحب ، ولكنه سيخلد لأنه شاعر الأناشيد وأشهر أناشيد " أسلمى يا مصر " و " الى العلا الى العلا بنى الوطن " و " حماة الحمى " ولكل نشيد تاريخ . (٣)

-
- (١) حياة الرافعي ، سعيد العريان ، ص ٨٣ .
 - (٢) أغاريد الرافعي ، مصطفى نعمان البدرى ، ص ١٠ ، الجمهورية العراقية وزارة الثقافة والاعلام ، دار الرشيد للنشر .
 - (٣) حياة الرافعي ، سعيد العريان ، ص ٨٣ - ٨٤ .

من الشعر الى الكتابة

استلغ الرافعى أن يحقق أمنيته ، وأن تكون له مكانة مرموقة بين الشعراء منذ أوائل هذا القرن ، وبلغ ما أراد ، وأمتد به الأمل الى اتجاه جديد ، فأخذ يروض قلمه على الانشاء لعله يصل فيه الى ما وصل فى الشعر ، فكتب بعض مقالات مصنوعة ، كانت سببا فى إعجابه بها ، وبعد هذه المقالات أصدر كتابا مدرسيا سماه ملكة الانشاء يكون نموذجا للمتأدبين وطلاب المدارس ، ووعده قراءه أن ينتظروه ، ولكن هناك أمورا جدت فيما بعد صرفته عن وجهه فبقى الوعد قائما بينه وبين قرائه حتى نسيه ونسوه .

ولم يفتقد قراء الرافعى عدم نشر الكتاب ، ويكفى الباحثين والأدباء فى التاريخ الأدبى أن يقرؤوا من هذا الكتاب الذى لم يظهر على الوجود مقالات ثلاث نشرها الرافعى فى الجزأين الثانى والثالث من ديوانه ، وفى الجزء الأول من ديوان النظرات . (١) .

(١) حياة الرافعى ، سعيد المريان ، ص ٦٤ .

فى سنة ١٩٠٧ م ، أنشئت الجامعة المصرية ، ومضى على انشائها سنتان ، ولم تستحدث جديدا يفتقر اليه الرافعى وما تحدث أساتذتها حديثا فى الأدب لا يعلمه ، وهـُـنـُـرف من يومها أن له قيمة ، فأخذ يتحين الفرص ، وطال انتظاره ، ولكن الجامعة لم تثبت له ان فيها جديدا من دروس الأدب ، فكتب مقالا فى " الجريدة " يحمل فيه على الجامعة وعلى اساتذة الجامعة ، وعلى منهج الأدب فى الجامعة ، وكان لهذا المقال أثره فى الأجواء الجامعية ، فاجتمعت اللجنة الفنية للجامعة وعرضت جائزة مقدارها مائة جنيه لتأليف كتاب فى " أدبيات اللغة العربية " وحدد موعد للكتاب مدته سبعة أشهر ، وقرأ الرافعى دعوة الجامعة ، فلم يوافق ولم تسكن نفسه ، فكتب مقالا ثانيا فى " الجريدة " ينعت فيه الجامعة ولجنة الجامعة ، ويرفض الدعوة التى دعت ، ويثبت أن الذين دعو الدعوة الى وضع الكتاب ، وحددوا مواعيد سبعة أشهر انما أعوزتهم الحاجة الى كتاب فأخذوا يبحثون عنه فى ضوء الجائزة ، وأخذ ينتقد هذه الطريقة التى اقترحتها الجامعة ، متسائلا كيف يمكن تدريس الكتاب لغير مؤلفه ، فيكون الحاضر كالفائب عنهم ، ويـُـرى أن الدراهم لا قيمة لها الا أنها مصدر التلقين ، فاذا طبع الكتاب صارت كل مكتبة فى حكم الجامعة ، لأن العلم هو الكتاب لا الذى يلقيه ، والا فما بالهم لا يعهدون بالتأليف لمن سيعهدون اليه بالتدريس ؟ ، وهل يقتصرون على أن يكون من كفاية الأستاذان القدرة على

استنباط الدرس ، واستجماع مادته حتى لا يزيد على أن يكون هو بين تلامذته التلميذ الكبير .

ثم يتساءل الرافعي ويضع اللوم على الجامعة التي نقضت يدها من قوم هم رؤساء الصداقة ، وظهر مناصبها العالية والسنة والحكم فيها ، ثم تلتبس من ضعف الافراد ما لم تؤمله في قوة الجماعة وهي تعلم أن الحمل الذي تتوزعه الالك يهون على الرقاب .

وعادت الجامعة تفكر في الأمر ثم أعادت نشر المسابقة لتأليف الكتاب ، وزادت الجائزة الى مائتين والمدة الى سنتين وتعهدت بطبع الكتاب المختار ، وأعد الرافعي العدة لتأليف الكتاب ، مثابرا ساعيا الى تحقيق ما تصبو اليه نفسه ، من مجد ورفعة بتصميم وعزيمة ، واستطاع أن ينتهي من كتابة في منتصف سنة ١٩٠٩ ، وفرغ منه واتم طبعه في سنة ١٩١١ م قبل أن يأتي الموعد المحدد الذي حددته الجامعة ، ولم يكن الرافعي طامعا في جائزة ، ولذلك لم يتقدم اليها بكتابه ، ترفعا عن قبول الحكم فيه لجماعة ليس منهم من أبصر بالمحكوم فيه ، ولعله كان يؤمل يومئذ أملا أكبر من الحصول على جائزة الجامعة ، فكان أسبق المؤلفات ظهورا الى الجامعة ، الجزء الأول من كتاب جورج زيدان ثم هذا الكتاب الذي سبقه بشهر أو شهرين سبقا مطبعيا . (١) وقد ساعد الرافعي على تأليف الكتاب وظهره بالصورة الرائعة التي أوصلته الى المجد والشهرة ، وجعلته من الأدباء المشهورين بحثه المتواصل ، وسعيه الدائم .

(١) تاريخ آداب العرب مصطفى الرافعي ج ١ ص ٦ - ٨

وقد مكّنه من جمع وسائل البحث لكتابه مكتبات ثلاث : بطنطا ، كلها ملي* بنوادير الكتب العربية ، مطبوعها ومخطوطها هي :

مكتبة الرافعى - ومكتبة الجامع الاحمدى - ومكتبة القصصى - وقد ساعده على اتمام كتابه من وسائل الطبع ، ما ساعده به مدير الغربية الاذيب المرحوم محمد محب باشا من معونات أدبية ومادية ، وقد نال هذا الكتاب قيمة أدبية عظيمة ، وكان له منزلا محمودا بين الأدباء ، ونال الثناء والتقدير ، ولم ينله بالنقد الا الاديب طه حسين الذى كان فى ذلك الوقت طالبا بالجامعة قال فى مقال نشرته الجريدة سنة ١٩١٢ " هذا الكتاب الذى نشهد الله على أننا لم نفهمه . . . ولكنه عاد فصّح رأيه سنة ١٩٢٦م ، فاعترف بأنه لم يعجبه أحد ممن الفوا فى الأدب والفنون الا الأستاذان مصطفى الرافعى ، فهو قد فطن لما يمكن أن يكون من تأثير القصص فى انتحال الشعر واضافته الى القدماء ، كما فطن لاشياء أخرى قيمة وأحاط بها احاطة جيدة فى الجزء الاول من كتابه تاريخ آداب العرب ، وقد وجد الرافعى مكانا عظيما بين أدباء عصره وشغل به العلماء وقت غير قليل ، مما يدل على قيمة الكتاب الأدبية ما قاله الأستاذ الكبير أحمد لطفى السيد فى " الجريدة " :

" قرأنا هذا الجزء ، فأما نحوه فعليه طابع الباكورة فى بابه ، يدل على أن المؤلف قد ملك موضوعه ملكا تاما ، وأخذ بعد ذلك يتصرف فيه تصرفا حسنا ، وليس من السهل أن تجتمع له الأغراض التى بسطها فى هذا الجزء الا بعد درس طويل وتعجب ممل وأما أسلوب الرافعى فى كتابه فانه سليم من الشوائب الأعجمية التى تقع لنا فى كتاباتنا نحن العرب المتأخرين ، فكأننى وأنا أقروءه أقرأ قلم المبرر فى استعماله المساواة والباس المعانى الفاظا سابعة مفصلة ، لا طويلة تتعثر فيها

ولا قصيرة عن مداها تورى ببعض أجزائها
 وكتب عنه الأمير شكيب أرسلان - وهو أشهر كتاب العربية في ذلك الوقت
 مقاله في صدر المؤيد جاء فيها :
 " لو كان هذا الكتاب خطأ محجوما في بيت حرام اخراجه للناس منه ، لا يستحق
 أن يحج إليه ، ولو عكف على غير كتاب الله في نواشى الأسفار ، لكان جديرا
 بأن يعكف عليه"
 وأسلوب الرافعى في هذا الكتاب أسلوب العالم الأديب ، يجد فيه كل طالب
 طلبته من العلم والأدب والبيان الرفيع ، وكان الرافعى يؤمن قد أتم الثلاثين .
 وفي العام الثانى ، أصدر الرافعى الجزء الثانى من " تاريخ آداب العرب "
 وموضوعه اعجاز القرآن والمبلاغة النبوية ، وقد أصدره في طبعة ثانية باسم
 " اعجاز القرآن " وبأسطه الثانى يعرفه قراء العربية وقد طبعه على نفقة المغفور
 له الملك فؤاد رحمه الله . ومات الرافعى وفي مكتبته أصول الجزء الثالث من
 تاريخ آداب العرب ، ومعها تعليقات كان ينوى اضافتها الى الجزء الأول في
 طبعته الثانية فمأجلته المنية (١) .

لقد كان تاريخ آداب العرب أول إنتاج أدبى عظيم قدمه الرافعى
 لقراء العربية وتاريخ الأدب الذى ألفه تغيير اتجاه الرافعى الشاعر
 الى المنحى الجديد في ديوان الأدب والانشاء ! وأن الرافعى لم يكن له
 خبرة في شئ من ذلك ، ولا كان يعنيه ولا توجهت اليه نيته ، ولكنه الف تاريخ
 العرب لأنه وجد ، نفسه ميل الى أن يكتب عن تاريخ آداب العرب ، وكتب

(١) حياة الرافعى ، سعيد الريان ، ص ٦٧ - ٧٠

فى اعجاز القرآن لأن اعجاز القرآن باب فى تاريخ آداب العرب ، فلما قسراً
الناس كتابيه وكان لذلك أثر عنده فيما يقول الناس ، فاذا هو فى نظرم
أديب ليس كمثله فى العربية واذا هو كاتب من الطراز الأول واذا هو صاحب
القلم الذى يكتب عن اعجاز القرآن بتقلم المسلم المثقف بثقافة القرآن المستزود
بزاده المتأثر بأسلوه ، ويكتب عن الاسلام فيعبر عن حقيقة المسلم والسروح
الاسلامية التى تفيض ايماناً عميقاً وشعوراً وضاءً بالحق والدين الذى أراد
الله لعباده أن يكون ، ومن هذه الجادى الاسلامية انطلق الرافعى نحو
تحقيق هدفه المنشود فى الدفاع عن الاسلام ولحاميته من يريد أن ينال منه
بسوء ، وأعد نفسه للعدة وتأهب للمعركة بأضى سلاح ، بسلاح الفكر والقوة ،
والعزيمة وكان لديه ما يعينه على ما يريد وبدأ يختفى الشاعر وأخذت شمسه تميل
للفروب ، لتشرق بشمس ساطعة على العالم الاسلامى بنائر جديد أضاء العالم
الاسلامى بأدب الفكرة الاسلامية العميقة الذى كان هدفه منها رعاية الدين
والحفاظ على العربية ، ورأى الناس تكتب فى الجرائد وتتحدث عامية متفاحصة
أو عجمة مستعربة تحاول أن تزاخم اللغة العربية فعرف أن اللغة العربية لن
تعود الى ماضيها المجيد حتى تعود " الجملة القرآنية " فيما يكتب الكتاب ،
ولن يكون الأدباء والكتاب حملة أقلام الا بعد أن يأخذوا من الزاد القديم فى
نظر الرافعى ، وبدأ فنى البحث والتنقيب والقراءة من جديد ، يقارن
بين ما كتب الكتاب المنشئون فى مختلف العصور العربية ، يبحث عن الأسلوب
الجميل والعبارة المنتقاة ، واللفظ العذب الجزل ، والكلمة النادرة ، فيضعها
فى قاموسه المحيط ومعجمه الوافى لتكون له مساعداً على ما يستحدث من أدب
جديد ، هذا سبب لتحول من الشعر الى الانشاء ، وهناك سبب

آخر صرح به كثيرا لمن يعرفه : ذلك أنه كان يرى في الشعر العربي قيودا لا تتيح له أن ينظم الشعر كل ما يريد أن به عن خواطر نفسه ، ونهضات قلبه انه كان يعجز أن يصب في قصيدة من الشعر ما كان يستطيع أن يكتبه ففى يسر وسهولة مقالا من مقالاته الشعرية التي يعرفها قراء العربية فيما قرأوا للرافعى ، ولكنـــــــــــــــــه أجاد فى التعبير الجميل عن خطرات الوجدان ، وهتاف الروح وأنين القلب ، وحزن النفس ولقد كان - رحمه الله - بطلا فيه من اعتداد بالنفس يكتب المقال الفنى المصنوع ، فيقيس لفظه بمعناه ويربط أوله بآخره ويجمع بين أطرافه كل ما ينبض به قلبه من معانى السرور والألم والرجاء واليأس والرغبة والحرمان ، فاذا انتهى من انشائه جلس يترنم ويعيد على سمعه الباطن ثم لا يلبث أن يلتفت الى جلسيه قائلا : أسمعتم هذا الشعر؟ رأيتم شاعرا فى العربية يطك قوة البيان ما يجمع به كل هذه المعانى من قصيدة منظومة ؟ لقد كان شعروا اأقوى من دالته ، وكانت قوالبه الشعرية تضيق عن شعوره .

ولا يعتقد أنـــــــــــــــــه كان يعنى ما يقول حين يزعم أن القيود فى الشعر العربى من أسباب الضعف فى الشعر ، فهو لم يصرح بهذا رأى وقد أنكر فى نقداة الأدبية مثل هذا القول على أديب من الأدباء وراح يتهمـــــــــــــــــه بمحاولة الغض من قدر الشعر فى العربية ، فما كان يقول ذلك الا تعبيرا عن معنى تأبى كبرياؤه الادبية أن يصرح به . لقد اتجه الرافعى الى هدفه الجديد . وأصبح يقول الشعر بين الفينة والفينة اذا وجد باعثا من بواعث النفس على قوله وقد عاد الى الشعر عندما مع شغاف قلبه الحب سنة ١٩٢٣م فدعته نفسه وعندما اتصل ببلاط الطوك فواد سنة ١٩٢٦م فدعته داعية الجماعة. (١)

الرافضى والنقد

لقد كان الرافضى ناقداً عنيفاً حديد اللسان ، ومن أجل ذلك كانت له معارك كثيرة مع بعض الأدباء ، وكان معتداً بنفسه متمسكاً بلغته العربية ، لأنه يرى أن الدين واللغة لا ينفصلان فهما كاللينا الواحد لذلك كان هجومه شديداً دون هواده أو رحمة أو ممانعة ، وعندما مات ترك وراءه صدى من الخصومات بين أدباء عصره ، وقد أحدث موته اهتزازاً فى الدول العربية ولكن خصومه لم يهزأئذتهم نياً وفاته فى الدول العربية ويكتبوا لأهله كلمة عزاء إلا رجلاً واحداً هو الدكتور طه حسين وهو بذلك أنزله الخصوم .

وأول ما عرف للرافضى فى النقد ، مقالة فى " الثريا " عن شعراء العصر سنة ١٩٠٥ ، ثم مقاله فى الرد على المرحوم المنفلوطى فى المنبر وكان نشر مقالا يمارض به رأى الرافضى فى الشعراء وينتصف لصديقه المرحوم السيد توفيق البكرى ، فكتب المرحوم حافظ يقول :

" قد وكلت أمر تأديبه اليك "

ثم كانت هناك بعض الجولات بينه وبين الجامعة المصرية عند نشأتها ١٩٠٨-١٩٠٩ ، ثم مقالات عن الجديد والقديم والعامية والفصحى فى مجلتي البيان والزهر ، ثم خصومه بينه وبين لجنة النشيد القومى فى سنة ١٩٢١ ، ثم بينه وبين الدكتور طه حول كتاب " رسائل الأحرار " فى سنة ١٩٢٤ فى السياسة الأسبوعية ، فكان هذا أول ما بينهما ثم كانت المعارك الشديدة بينه وبين العقاد ، وبينه وبين عبد الله عفيفى وبينه وبين زكى مبارك الى ما لا نهاية

له من المصاولات بينه وبين أدباء عصره .
على أن أشهر هذه الممارك شهرة هو ما كان بينه وبين طه ، وبينه وبين
العقاد ، بل لعلها أشهر وأقصى ما في العربية ، وأنها لحقا تستحق
أن يؤرخ بها في النقد . (١)

بين الرافعى وطه

فى سنة ١٩٢٢ كانت السياسة الاسبوعية هى صحيفة الادب والثقافة
وفىها كان يعمل الدكتور طه حسين فى الادب والسياسة معا ، وفى ذلك
الوقت لم يكن بين الرافعى وطه شىء فى الصدور ، حيث أن طه كان طالبا
فى الجامعة المصرية ، وكان الرافعى شاعرا ، ولم يكن من الكتاب
المشهورين الا بعد ما نشر مقالیه المشهورين " فى الجريدة " ينقد بهما
أساليب الادب فى الجامعة ، عندها توجهت اليه الأنظار ، فلما ألف كتابه
" تاريخ آداب العرب " فى سنة ١٩١١ عرف الأدباء العالم المؤرخ ، وعرف
طه حسين الطالب بالجامعة .

وفى سنة ١٩٠٨ أو ١٩٠٩ زار الرافعى ادارة " الجريدة " لبعض
شأنه ، وحيا العاطلين فى الجريدة ولم يحى طه رغم معرفته به ، فأثر ذلك فى
نفس طه وحفظها له . (٢)

هذا ما رواه سعيد العريان فى كتابه " حياة الرافعى " لكن محمد سيد كيلانى
فيقول فى كتابه (طه حسين الشاعر الكاتب) : ان بداية المعركة بين الرافعى

(١) حياة الرافعى ، سعيد العريان ص ١٤٨ - ١٤٩ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١٥١ - ١٥٢ .

وطه حسين في سنة ١٩١٢ عند ما نشر حفي ناصف خطابا موجهها الى مصطفى صادق الرافعي مقرظا فيه كتابه (حديث القمر) فذكر له حسين في مقاله له أن الرافعي الح على حفي ناصف حتى اضطره الى تقريظه بهذا الخطاب وقد بادر الرافعي الى تكذيب ذلك * (١)

من هذا المنطلق بدأت المعركة بينهما ، وساعد على ذلك ما نفخته " السياسة " من روح الحماس في الأدب ، واتخذت لها أسلوا في الدين وفي العلم وفي الأدب ، وتقسيم الأدباء الى فرق ومفسكرات وقديم وجديد ورفعت راية الجهاد ، والرافعي كان معروفا بتمسكه بالدين والقديم ، فعرف عند ما قرأ " السياسة " أنه سيكون له شأن ، وتأهب للمعركة ، وكتب كلمة الى طه يذم أسلوبه بما يشبه المدح ، ويهيب عليه التكرار وضيق الفكرة ، فنشرها طه في السياسة قبل أن يستبين مغزاها وما ترمى اليه ، عندها تهيأت أسباب الحرب للرجلين ، ونشر الرافعي كتابه " رسائل الأحرار " ثم نشر طه حسين رأيه في " رسائل الأحرار " في السياسة الأسبوعية ورفع راية العداء وأعلن الحرب ، لم يكن في الحسبان أن تصل المعركة الى ما وصلت اليه اذ أنها كانت في البداية خصومة بين مذهبين أو أسلوبين في الكتابة ، وبعد فترة أصبحت حربا ضروس يرمى فيها الفريقان بعضهما بالفاظ الكفر والالحاد والجمود والغفلة ، وانتقلت من ميدان الأدب واللغة الى ميدان الدين والقرآن ثم الى ميدان السياسة ، والحكومة والبرلمان ، ثم الى ميدان القضاء ، ومع أن الرافعي له معرفة بها ، وليس له آراء فيها يؤاخذ عليها .

(١) طه حسين الشاعر الكاتب ، تأليف محمد سيد كيلاني ط ١ سنة ١٩٦٣

ثم أخذ الدكتور طه يلقى المحاضرات على طلابه في الجامعة وبعد ذلك جمع المحاضرات في كتاب أسماه " في الشعر الجاهلي " ، وقرأ الناس رأى الدكتور طه حسين ، فقال أكثر القراء أن هذا كفر وضلال ، وقالت طائفة هو خطأ فنى الفكر واسراف في حرية الرأي ، قال الاقلون : بل هو الأسلوب الجديد لتجديد الآداب العربية وتحرير الفكر العربي ، وظل الرافعى ساكناً الى أن قرأ مقالين نشر أحدهما الأستاذ عباس فضلى القاضى فى السياسة الأسبوعية وكتب ثانيهما الأمير شكيب أرسلان فى كوكب الشرق ، فكان فيهما تنبيه للرافعى أن يعد عدته للمعركة ، وتأهب لها وكتب مقاله الأول فأرسله الى جريدة " كوكب الشرق " ، ثم مقالات ثلاث بعده ، ولم يكن قد قرأ الكتاب ولا عرف عنه الا ما نشر فى الصحف من خبره فكانت المعركة فى بدايتها :

خصومة بين مذهبين فى الأدب وفى الكتابة وفى طرائق البحث ، على أن الرافعى لم ينس أن له ثأراً عند طه فجعل الى جانب النقد الأدبى فى هذه المقالات شيئاً من أسلوبه المرفى النقد ، ذلك الأسلوب الذى لا يريد به أن يفهم أكثر مما يريد أن ينتقم ، ثم قرأ الرافعى كتاب الدكتور طه حسين ، فغضب غضباً شديداً وثار ، لقد كان شيئاً منكراً أن يزعم كاتب أن له الحق فى أن يتجرد من دينه ليحقق مسألة من مسائل العلم ، أو يناقش رأياً من الرأى فى الأدب ، لم يكن كاتب من كتاب العربية ليتجرأ ، ويجعل حقيقة من حقائق الدين فى موضع شك ، أو نصاً من نصوص القرآن فى موضع التكذيب ، ولكن طه قد كتب آراءه فى صراحة جعلته موضع سخط الساخطين من المسلمين بما قاله عن القرآن والاسلام ، وتاريخ المسلمين والرسول - صلى الله عليه وسلم - والصحابة ، وقرأ الرافعى ما قاله طه حسين فثارت ثائرتة للدين والقرآن

وتاريخ المسلمين ، ونقل المعركة من ميدان الى ميدان ، واستطاع الرافعى أن يثير صيحة كبرى حول آراء طه حسين فى كتابه ، وأثارت هذه الصيحة شيخ الأزهر ، فتأهبوا للجهاد والدفاع عن الدين والقرآن فاجتمعوا للجهاد ورأى طه حسين ما أثير من ضجة ، وأن كل شىء ضده ، فكتب الى مدير الجامعة كتابا يشهد فيه أنه يؤمن بالله ، وملائكته وكتبه ورسله ، ولكن الرافعى لم يقتنع به وسار سيرته الجادة ، وتوجه لطله حسين بالنقد اللاذع ، والحجج القوية ، والبراهين الساطعة ، وقد تحدثت عن هذه المعركة بتوضيح أكثر فى الباب الرابع .

وإزاء هذه الحملات الشديدة التى قام بها الرافعى ، جمعت الجامعة نسخ الكتاب من المؤلف ومن المكتبات لتمنع تداوله ، لعل ذلك يخفف وطأة الفتنة القائمة التى توشك أن تعصف بكل شىء حتى بالجامعة ، ولكن الرافعى لم يتوقف بل استمر فى حملته على الدكتور طه حسين ، ولا ظهر له يومئذ غير الدكتور زكى مبارك . وقد كان لهذه المقالات أثرها على الناس بما أثارته من ضجة كبرى حتى المذيين لم يكن لهم رأى فى شئون الادب ، ولكنه نوع من التعصب السياسى والدينى ، دافعا عن الدين .

وهكذا ظلت هذه الخصومة قائمة بين الرافعى وطه حسين ، وستظل كذلك لان مؤلفاتهما ما زالت حية تدرس بما تحمله من آراء ومعتقدات. (١)

(١) حياة الرافعى ، سعيد العريان ، ص ١٥٢ - ١٥٨ .

الرافعي وكليته و دمنة

ان سخرية الرافعي من خصومه قد جعلته يتجه اتجاهها جديدا ، سار فيه على نمط كليته ودمنة ، الذي ترجمه الى العربية ابن المقفع ، والذي لم يقدر أحد أن يحاكيه في أسلوبه ، الا أن جاء مصطفى الرافعي ، وكانت بداية المحاكاة مصادفة في مقال من مقالات الرافعي في طه حسين ، ان أراد أن يسخر منه على أسلوب جديد ، فلما كمل تأليفه لهذا الفصل عاد قراءته ، فاذا هو عنده شبه بأسلوب ابن المقفع ، فلا يشك أحد في صدق روايته أنه لابن المقفع لقرب الشبه ، فنشره واستمر على هذا النشر الى أن نشر منه ثمانية فصول متتعة في كتاب المعركة ، ان أنه أبدع للعربية انشا جديدا فيه لون من المتعة والطرافة ، الذي ما أن قرأه القراء حتى نال اعجابهم وثناهم ، وكان حافظا له أن يتم بعد الفصل الأول سبعة فصول تبعتها حتى أن طه حسين كان يعجب بأسلوبه رغم ما يناله فيه مما يؤلم .

وقد انتهى الرافعي من حديث كليته ودمنة بعد انتهاء هذه المعركة وظل مهملًا . سخته الخاصة " ست سنين بعد ذلك ، حتى تذكرها سنة ١٩٣٣ ، في أثناء المعركة بينه وبين المقاد حول " وهي الأربعين " فنشر الفصل التاسع منها في البلاغ بعنوان " الثور والجزار والسكين " ثم نشر في الرسالة سنة ١٩٣٥ الفصل العاشر بعنوان كفر الذبابة يعني مصطفى كمال أتاتورك وحركته الدينية (١)

(١) حياة الرافعي ، سعيد العريان ، ص ١٦٥ .

الرافعى شاعر الطك

تقدم المرحوم محمد نجيب باشا الى الرافعى أن يكون شاعر الطك ورجع الرافعى الى الشعر بعد زمن طويل ، اذ كان آخر ما نشر من الشعر هو ديوان النظرات فى سنة ١٩٠٨ ، ثم لم يقل بعده الا قصائد متفرقة فى أوقات متباعدة لصدى فى نفسه ، أو حادث يجعله يفعل ويقول الشعر ، وكان من أكثر ما قال فى الشعر فى الوجدانيات فى سنة ١٩٢٤ ، وما لبث أن لى دعوة الطك فى أن يكون شاعره ، وكانت قصائده فى مدح الطك فى مناسبات مختلفة من سنة ١٩٢٦ الى سنة ١٩٣٠ ، وكانت قصائده فى مدح الطك فؤاد نسيج وحدها فى المديح ، تقرأ القصيدة وكأنها موضوع عام من موضوعات الشعر ، ليس من شعر المدح فلولا بيتان أو أبيات قليلة من قصيدة خمسينية أو سبعينية يخصصها الطك ويحدها لما أدركت قصده ، ومن يقرأها يستطيع أن يضعها فى أى باب من أبواب الشعر ، ولعل السبب فى ذلك يرجع الى اعتراز الرافعى بنفسه ، وشخصيته القوية التى تدل على أخلاقه ومع أنه كان شاعر الطك ، فانه لم يبالغ فى المديح الذى قد يفقد القصيدة جمالها بكثرة ما فيها من مبالغات . أبت على الرافعى نفسه أن يكون من الشعراء المتكسبين بالمديح ولم ينل من هذا المنصب أجر الا الجاه والشرف وكذلك يقول قصائده فى المديح الا أن حدث بينه وبين الأبراشى باشا خلاف وعاد الى هجران الشعر ، بعد أن أشعل الخصومة بينه وبين عبدالله عفيفى . (١)

(١) حياة الرافعى ، سعيد العريان ، ص ١٦٨ .

الرافعى وعبد الله عفيفى

لقد نظم الرافعى فى الموسم قصيدته وبعث بها الى القصر ، فوضعت حروفها مشكولة فى مطبعة دار الكتب ثم بعثت بحروفها الى الجريدة المختارة ، ومعها قصيدة أخرى مرصوفة مشكولة مزخرفة ، من تأليف الأستاذ عبد الله عفيفى المحرر بديوان الملك ، ونشرت القصيدتان جنباً الى جنب فى جريدة واحدة وعلى نظام واحد ، وكلاهما فى مدح الملك ما يختلفان فى الشكل الا بتوقيع الشاعرين فى آخرهما ، وقرأ الرافعى قصيدة منافسه الجديد ، فثار ثورة عنيفة ، وعلم أن الأبراشى بهذه الطريقة يريد أن ينال منه ، وهو يرى نفسه أفضل من عبد الله عفيفى ولا يرضى أن يكون موضع مقارنة بينه وبين عبد الله عفيفى لأنه ليس من طبقتهم وعلم أنها مكيدة وتريد أن تزيعه من منصب " شاعر الملك " ومن هنا بدأت المعركة بين عبد الله عفيفى والرافعى ، وبدأ الرافعى يكتب فى مجلة " المصور " مقالات عنيفة بعنوان " على السفود " ، وكان الرافعى يعلم أن نقده لهذا الشاعر سيكون له تأثير بعيد فى آذان لا يرضيها أن تعرف أنه كاتب المقال فأخفى اسمه . على أن هذه الخصومة تختلف عن سائر الخصومات التى دارت بين الرافعى وأدباء عصره ، لأن هذه الخصومة نشأت للتزاحم على مرتبة " شاعر الملك " على أن خصومات الرافعى مع بقية الأدباء كانت دفاعاً عن الدين وحفاظاً على لفظة

القرآن ، فكان الاتهام فيها بالكفر والالحاد ، أما معركته مع عبد الله عفيفي فكانت اتهاماً بالزيف والغفلة وفساد الذوق ، غير أن هذه المعركة لم تكن شديدة مثل بقية معاركه وذلك لأن الطرف الثاني كان صامتاً لم يرد عليها ، ولم تبد منه أى بادرة للدفاع لذلك كانت معركة ايجابية من طرف واحد .

وظل عبد الله عفيفي كذلك الى أن مات شوقي أمير الشعراء في خريف سنة ١٩٣٢ كتب الرافعي عنه مقاله المشهور في مجلة المقتطف ، وذكر فيه أن شوقي لو كان مصرياً خالص المصرية لما تهيأت له الأسباب النفسية التي بلغت به مبلغه في الشعر لأن الطبيعة المصرية لا تساعد على انضاج المواهب الشعرية ، ولا تعين على إبراز الشاعرية الكامنة في كل نفس ، وأحدث هذا المقال ضجة كبرى ، وحاول خصوم الرافعي النيل منه بكتابة هذا المقال .

عندها تأهب عبد الله عفيفي للرد ، لأنه وجد الفرصة سانحة أمامه فكتب في جريدة " البلاغ " مقالات أسبوعية بعنوان " مصر الشاعرة " يذكر فيها شعراء مصريي مختلف الأجيال ما يراه رداً على دعوى الرافعي . (١)

(١) حياة الرافعي ، سعيد العمريان ١٧٣ - ١٨٠ .

بين الرافعى والعقاد

يتفق نقاد العقاد ودارسوه على أن معركته مع مصطفى صادق الرافعى كانت من أعنف المعارك التى خاضتها العقاد فى حياته بل تعتبر أعنف معركة فى ميدان الأثب بوجه عام ذلك لأن الرافعى كانت له شهرته المدوية وتاريخه فى الدفاع عن اللغة العربية وله فى مجال الشعر قصائد ودواوين ومواقف وآرا (١) . وان أقدم المعارك الأثبية بين الرافعى والعقاد فى عدد المؤيد الصادر فى ١٦ مايو سنة ١٩١٤ فيه نقد للعقاد أخذه على الرافعى كان عنوانه " فائدة من افكوهة " يدور حول اضطراب القياس عند الرافعى حينما كتب عن جهاز النطق لدى الانسان والحيوان . يومها نفى العقاد فى مقالته أن يكون نطق الكلب لبعض الألفاظ لأنها من حاجاته الطبيعية ، ويذهب فى هذا الصدد الى أن جهاز المنطق فى الحيوان مهياً للتحسن والاكتمال ، وأن الأصوات الحيوانية أصل نمت منه فروع اللغات الانسانية ويأخذ العقاد على الرافعى تناقضه بين قوله بصدور اللغة فى الحيوان عن الاحساس ، وبين كونه يتعلم حرفاً أو أحرفاً من لغة الناس . . . فيستدرك الرافعى فيكتب فى هامشه " أما الحيوان المروض المأخوذ بالمعناية والتعليم والتلقين فقد يقتبس جملة من حروف اللغة التى يعلم بها ، بذلك تأتى لبعض الالمانيين أن ينطق كلبه بالفاظ خالصة من اللغة الالمانية ، ولكنها فى الجملة ممن حاجات الكلب الطبيعية كالأكل والشرب فلا تخرج عن معنى الاحساس أيضاً " (٢)

(١) العقاد فى معاركه الادبية والفكرية ، سامح كريم ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، ص ٩٧ .

(٢) تاريخ آداب العرب ج ١ مصطفى صادق الرافعى ص ١١١ .

ويعلق العقاد في مقالته بقوله : ان مثل هذا المقياس أفكوهة ، فلم يكن من سبيل أمام الرافعي الا أن يطنب فيذكر لغة الحيوان الطبيعية الخالدة ولغة الهمج وموقف الحروف التي ينطقونها والتي لا ينطقونها .

وينهى العقاد مقالته بأن الرافعي منشئ مكهن ، يحسن اضطراب القياس لديه ، ويعمل القلم ولا يعمل الرأي ، لأنه لا يستطيع أن يضنع غير ذلك ، ومن هنا فإن كتاب الرافعي في نظر العقاد كتاب أدب لا تاريخ أدب لأن البحث في هذا الفن يتطلب من المنطق والذكاة ومعرفة المنطق الباطني ، ما يتطلبه الرافعي نفسه ولا يجده في استعدادة (١) . هذه أقدم المعارك كما ذكرها عامر العقاد ، ولكن سعيد العريان يروي قصة الخلاف بين الرافعي والعقاد فيقول :

" لم يكن بين الرافعي والعقاد قبل اصدار الطبعة الملكية من " اعجاز القرآن " غير المحبة والصفاء ، فلما صدر هذا الكتاب في طبعته الجديدة أحدث بينهما شيئاً كان هو أول الخصام .

يقول الرافعي في ذلك : " سميت الى دار المقتطف فوافقت العقاد هناك ولكنه لقيني بوجه غير الذي كان يلقاني به فاعتذرت من ذلك الى نفسي بما الهمتني نفسي ، وجلد سنا نتحدث ، وسألته الرأي في اعجاز القرآن فكأنما القيت حجراً في ماء آسن . . فمضى يتحدث في غضب وانفعال كأن ثأراً بينه وبين اعجاز القرآن ، ولو كان طعنه وتجريحه في الكتاب نفسه لهان طعنى ولكن حديثه عن الكتاب جره الى حديث آخر عن القرآن نفسه وعن اعجازه

(١) لمحات من حياة العقاد المجهولة ، عامر العقاد ، ص ٢٧٧ .

وعن ايمانه بهذا الاعجاز* (١)

وقد أورد العقاد رأيه في كتاب " اعجاز القرآن " بقوله : فليكن كتابه اذن نمونجا في البلاغة البدوية أو تسبيحا بالآيات القرآنية أو تحية يقرأها المسلم فيرتاح اليها ويقرأها غير المسلم فلا تزيده بالقرآن علما ولا تطرق من قلبه أو عقله مكان الايمان والتسليم ، ولكن لا يقل عنه انه كتاب ففى اعجاز القرآن ، وليس فيه شاهد واحد على معجزات الكلام ، ولا هونهمج فيه ذلك المنهج الذى أحسن فيه الجرجاني اياما احسان ، وأفاد به الأذاب العربية اياما افادة فانما الشناء على القرآن فى كتابه تناهز صفحاته الأربعة عشرة طيبة يكتب للرافعى أجرها وثوابها عند الله ، ولكنهم لا تكتب له فى سجل المباحث والعلوم ولا تعد من حسنات التفكير والاستقراء (٢)

ومن هنا بدأت المعركة بين الرافعى والعقاد ، فكتب الرافعى مقاله الأول من كتاب " على السفود " فى نقد العقاد وتتابعتم مقالاته من بعد فى اعداد المجلة متوالية فى كل شهر (٣) فلما انتهت نشرها الاستاذ اسماعيل مظهر فى كتاب قدم له بمقدمة امضائه يبين فيها ما دفعه الى نشر هذا الكتاب الذى لم يكتب على خلافه اسم مؤلفه ورمز اليه بكلمة " بقلم امام " من أئمة الادب العربى .

(١) حياة الرافعى ، سعيد العريان ، ص ١٨٥ .

(٢) ساعات بين الكتب ، عباس محمود العقاد ، ص ٢٧ .

(٣) حياة الرافعى ، سعيد العريان ، ص ١٨٥ .

يقول الأستاذ اسماعيل مظهر في مقدمته لكتاب السفود :

" أردنا بنشر السفود أن نرضى من أنفسنا نزعتها الى تحرير النقد من عبادة الأشخاص ، ذلك الداء المستعصي الذي كان سببا في تأخر الشرق عن لحاق الأمم الأخرى في الحضارة .

وان نحن قد منا اليوم للسفود بهذه المقدمة الوجيزة ، وقد هم أحد أدباء الناشرين بنشره ، فانما نقدم بها تعريفا لما قصدناه من اذاعة هذه المقالات الانتقادية التي اعتقد بأنه لم ينسج على منوالها في الأدب الحديث حتى الآن .

وعسى أن يكون السفود ، مدرسة تهذيب لمن أخذتهم كبرياء الوهم ومثالا يحتذى به الذين يريدون أن يحرروا بالنقد عقولهم من عبادة الأشخاص ووثنية الصحافة في عهد البائد " (١)

أما أن تكون هذه المقالات الانتقادية لم ينسج على منوالها فنعم ولكن هذه المقالات لو اقتصر على النقد العلمي لكان كما قال الأستاذ اسماعيل مظهر مثالا يحتذى به ، ولكنها تجاوزت النقد العلمي الى السباب الفاحش الذي لا يليق في مجال النقد ولا ينبغي أن يحتذى به . ومن أمثلة ذلك ما يقوله الرافعي عن العقاد :

" هذا وقد كتبنا مقالات (السفود) كما نتحدث عادة لها بالعقاد وأمثاله ان كانوا أهون علينا وعلى الحقيقة من أن نتعب فيهم تعباً أو نصنع فيهم بيانا فهم هلاهيل لا تشد أحد هم حتى يتهتك وينفتق (وينفلق) ..

(١) على السفود ، مصطفى الرافعي ، ص ٧٠

وانى ولما أضرب الكبش ضربة على رأسه تلقى اللسان من القم.

ويقول الرافعي :

والمسعود نأر لو تلقى ت . . بجاحمها حدیدا ظن شحمها

ویشوی الصخریترکه رما دا .: فکیف وقد رمیتک فیہ لحما ؟ (۱)

(١) على السفود ، مصطفى الرافعي ، ص ١١٠ .

فترة حسام

انتهت المعركة بين الرافعى والعقاد ، ثم عاد الرافعى الى نفسه وعاد الى دار كُتبه للمطالعة والثقافة والتزود بالمعرفة ، وترك الكتابة فى الصحف والمجلات أشهراً كان فى أثنائها يستعد لاتمام كتابه (أسرار الاعجاز) ويجمع فى الوقت نفسه ما نشر من المقالات فى الفترة السابقة ويرتبها ليخرجها كتاباً يسميه (قول معروف) ، وبعد ذلك خطا خطواته الأولى نحو القصة لم ينشر الرافعى فى هذه الفترة شيئاً ذا بال ، الا أحاديث كان يطيها بعض المرتزقة من كتاب الصحف الأسبوعية ، وفى هذه الفترة وكل اليه الأدب حسام الدين القدسى الوراق تصحيح كتاب " ديوان المعانى لاى هلال العسكرى " وكان قد وقع منه على نسخة خطية فطبعتها بأغلاطها وتصحيفها ، ثم بدأ له قبل أن يتم طبع الديوان أن يلجأ الى الرافعى ليصحح له أغلاطه ويتم نقصه ، على أن ينشره فى الجزء الأخير من الكتاب ثم ترك له كتابه بمعد أن أصلح له جزءاً غير قليل .

وبعد ذلك كتب السيد حسن القاياتى فى جريدة " كوكب الشرق " فى الموازنة بين قول الله تعالى " ولكم فى القصاص حياة " وقول العرب " القتل أنفى للقتل " فانزلق الى رأى ، وكان محرر الكواكب فى ذلك الوقت طه حسين وهو من هو عند الرافعى ، ثم رد عليه الرافعى بمقالة طويلة بعنوان " كلمة مؤمنة فى رد كلمة كافرة " نشرت فى البلاغ فى صفحتها الأدبية وقد أورد فيها بضعة عشر رأياً فى بيان اعجاز الآية وبلغها من البلاغة وقد جعلها بعد ذلك فصلاً من شواهد كتابه اسرار الاعجاز وفى هذه الفترة تم انشاء المجمع اللغوى وكان يريد أن يكون عضواً من اعضاءه ولكن ذلك لم يتم له لأنه لا يسمع وبعد ذلك كتب بحثاً طويلاً فى البلاغة

النبوية " أنشأه تلبية لدعوة جمعية الهداية الاسلامية بالعراق ، لنشره ففى ذكرى المولد النبوى .

وعندما انتهى الرافعى من كتابة هذا الفصل شعر بحاجة الى الراحة ، ثم جاءته رسالة من جمعية الكشاف المسلم بالشام تطلب اليه أن يعد لها موضوعا بما تنشره فى صحيفتها لمناسبة المولد النبوى كذلك ، ثم كتب مقاله (حقيقة المسلم) الذى أعاد نشره فى الرسالة بعد ذلك وجمعه الى وحي القلم وله فى هذه الفترة بضع مقالات أخرى نشرها فى مجلة " المقتطف " ثم دعت له الرسالة ليكتب لها فصلا عن الهجرة فى العدد الممتاز لسنة ١٣٥٣ هـ فكان ذلك أول عهده بالكتابة فيها ثم كانت صلته بها وبعد ذلك أهدى اليه الشاعر المهندس على محمود طه ديوانه " الملاح التائه " وكان بينه وبين الرافعى صلة صداقة قوية ، فأنشأ مقاله فى المقطم ، تحدث فيها عن الشعر حديثا يبين مذهبه وطريقته فى فهم الشعر وفى انشائه ثم أثنى على الشاعر يمدح وينتقد وينصح . وتناول المازنى ديوان (الملاح التائه) فى البلاغ بعدما تناوله الرافعى فعاب عليه أشياء كان الرافعى يمتدحها ، وكانت مقالة المازنى حافزا للرافعى على أن ينشئ مقاله للرسالة فى الرد عليه عنوانها " الصحافة لا تجنى على الأديب ولكن على فنائه " كان الرافعى معجبا بمقالاته الثلاث التى أعدها فى هذه الفترة : البلاغة النبوية ، وحقيقة المسلم ، ووحى الهجرة . وجدت ترحيبا عند القراء ، مما شجع الرافعى على الاستمرار فى هذا الباب من الأديب الدينى ، فوطد المزم

على أن يكتب السيرة النبوية كلها على هذا النسق الفلسفى ليجعلها كتابا بعنوان يتناول سيرة النبي المعظم - صلى الله عليه وسلم - على طريقة التحليل والفلسفة ، لا على نسق من الرواية ، فأنشأ بعد ذلك مقالا ن (سمو الفقر " و " الانسانية العليا " . ثم اتضح له أن هذا الفن عسر الهضم عند كثير من القراء ، فتركه الى موضوعات أخرى يعالج بها بعض مشاكل الاجتماع فى الحياة المصرية ، وبعد فترات منقطعة يعود الى المقالات النبوية . (١)

(١) حياة الرافعى ، سعيد العريان ، ص ٢٠٨ - ٢١٩ .

كيف كان يكتب ؟

إن الرافعى كان كثير القراءة ، وكانت هذه القراءة الكثيرة ، تهى له الجوالعربى الفصيح لكاتبه المواضيع التى يراها مناسبة ، فى الصحافة وكان اختيار الموضوع عاملا هاما لأنه يعمل فى الصحافة قبل اشتغاله بالرسالة ، والعمل فى الصحافة يتطلب اهتماما كبيرا من الرافعى خاصة أن الرافعى له خصوم كثيرون يترصدون به اذا وجدوا الفرصة سانحة ، لذلك لما عين بالرسالة راح يبحث عن الموضوعات التى تصلح أن يكتب فيها ، فتتبع كل حدث وكل منظر يترامى له ، وأحيانا كان يتأبى له القول فلا يجد الموضوع الا فى اللحظة الأخيرة ، وكان دائما فى جيبيه ورقات يكتب فى اهداها عنوان كل ما يخطر له من موضوعات الأدب ، ومن فضلات المعانى التى كتبها وفرغ منها كان يختار " كلمة وكلمة " التى كان ينشرها على قراء الرسالة فى فترات متباعدة ، لم تكن الكتابة عند الرافعى فكرة ومعنى وعاطفة فحسب ، بل كانت الى ذلك فنا وأسلوبا وصياغة ، والأدب العربى منذ كان الى أن يطوى الله تاريخه بين دفتين فكر وميكان يستحق الخلود . (١)

(١) حياة الرافعى ، سعيد العريان ، ص ٢٢٠

نقطة اجتماعية

لقد انقطع الرافعى عن دنيا الناس بسبب الصم الذى أصابه ولم يكن بين الرافعى وقراءه صلة الا من تربطه بهم صلات خاصة . كان يكتب اليهم ويكتبون اليه ، وعندما عمل بالرسالة ، فتحت آمامه آفاق جديدة ، ونافذة مطلقة على العالم الذى انقطع عنه ، ومن هذا المنطلق أصبح اتصال الرافعى بالعالم الذى حرم من الاختلاط به ، وصار مختلطاً به عن طريق الرسائل المتابعة التى تصله مع القراء ، وكانت نقطة اجتماعية لها الأثر الأكبر فى حياته وفكره وأدبه ، وكانت هذه التطورات الاجتماعية نقلته الى عالم جديد طوى بالصور والألوان من الفن تبعث على التأمل ، وتنبه الفكر ، وتوقظ الوجدان ، وتنير الحياة بأفكار جديدة ، اسمعته ما يدور فى دنيا الناس مستمداً مادة كتابته منهم ، بدلاً من أن يكتب فقط عما يدور فى صدره وخلجات نفسه متأثراً بعواطف خارجية ، وكان هو شاعراً بهذه القطيعة ، لذلك كان يجلس الى أصحابه القليلين ليستمع منهم ويستفيد من تجاربهم ، ويعرف الحياة وشؤونها ان كانت هذه الرسائل تمثل نماذج من المشاكل التى يتعرض لها الناس على اختلافهم .

وقد كانت الرسائل التى تأتى الى الرافعى على ثلاثة أنواع :

١ - رسائل الاعجاب والثناء .

٢ - رسائل النقد والملاحظة .

٣ - رسائل الاقتراح والاستفتاء والشكوى .

وكانت أهم هذه الرسائل هي رسائل الاقتراح والشكوى والاستفتاء .
ان وجد الرافعى فيها المادة الغزيرة التى تجعله يكتب عن الناس وللناس
بالأساليب الممتعة المؤثرة الجيدة بعد أن اقترب من الناس واختلط
بهم ، وكانت انطلاقة الى دنيا واسعة استطاع الرافعى أن يعبرف
الناس على حقيقتهم ، كانت له خير زاد بالالهام والاهتداء الى أفكار جديدة
نيرة ، ومعان عميقة بتراث أدبى يشهد له بالخلود والبقاء . (١)

وفاته

لقد عاش الرافعى حياته يجاهد لأمته ، ما لم يجاهد أديب فى العربية
منذ قرون ، يكافح من أجل الاسلام واللغة العربية ، بروح تفيض حماسة وحمية
للدين ، وحمل الراية ووقف مناضلا الى أن وافته المنية فى عام ١٩٣٧ م ،
ودفن فى مقبرة الرافعى بطنطا . (٢)

(١) حياة الرافعى ، سعيد المريان ، ص ٣٠١ - ٣٠٣ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٣٤٢ - ٣٤٣ .

الفصل الأول

=====

آثاره العلمية

=====

تاريخ آداب العرب :

يتكون تاريخ آداب العرب من ثلاثة أجزاء تم طبع الجزء الأول منه سنة ١٩١١ ، ويتضمن الحديث في موضوعات متنوعة يبدؤها بالحديث عن الأدب والمؤدبين وعلوم الأدب وكتبه ، وبلاد العرب أو اللغات العربية ، وعن الرواية والاسناد فسي الحديث .

أما الجزء الثاني منه فهو عرف حيناً باسم " اعجاز القرآن والبلاغة النبوية " وقد ألفه في العام التالي من تأليفه للجزء الأول ، وفي هذا الكتاب تظهر الروح الدينية الأصيلة والثقافة الرافعية في حديثه عن القرآن والبلاغة النبوية ، وقد افضت القول في ذلك ، في الباب الرابع كما سنرى .

أما الجزء الثالث منه لقد كتبه الرافعي في قصاصات وأوراق مبعثه في مكتبه ووافاته المنية ولم يجمع كتاب والنظمين بالتى بين أيدينا على الطبعة الثانية وقد قدم بمقدمتها سعيد المريان بمقدمة الطبعة الأولى وقد قدم فيها جهوداً عظيمة بالبحث في مكتبه بين أوراقه الخاصة عن محتويات الكتاب لمعرفة موضوعاته ونهجه وتبويبه ، ولكنه لم يهتد إلى شيء ، فالأوراق مجمعة على غير ترتيب ولا نظام ، واستطاع المريان أن يحمل العبء ويتكلف المشاق بجمع الكتاب وترتيبه مستهدياً في ذلك بالجزء الأول من تاريخ آداب العرب " لعله قد بدأه مع الجزء الأول كما يقول المريان :-

" في منتصف سنة ١٩٠٩ ثم رتبته أجزاءً وأبواباً فنشر منه ما نشر وطوى

منه ما طوى" (١)

وقد تم طبعه سنة ١٩٤٠ ، وهو يتحدث فيه عن تاريخ الشعر العربي ومذاهبه والفنون المستحدثة منه وما يلحق به ، وتنوع الشعر العربي وفنونه ، والفنون المستحدثة من الشعر ، وعن حقيقة القصائد المعلقة ودرس شعرائها ، وعن آداب الأندلس الى سقوط ومصرع المربية فيها وعن الصناعات اللفظية التي أولع بها المتأخرون في النظم والنثر وتاريخ أنواعها ، هذه الموضوعات التي وردت في الكتاب أما الأبواب التي لم تذكر في موضعها فيقول فيها سعيد المريان :

" ومقتضى هذا الترتيب أن يكون أول هذا الترتيب أن يكون أول هذا الجزء - الباب الرابع في تاريخ الخطابة والأمثال ، ولكن لم أجد فيما بين يدي من المخطوط حديثا عن هذا الباب ، الا فهرس وبحثا في أرقام صفحات في مراجع مختلفة " (١)

وقد تجاوز البابين الثامن والتاسع لان شأنهما شأن الباب الرابع .

تحت راية القرآن " المعركة بين القديم والجديد :

=====

هذا الكتاب يتضمن الخصومة بين الرافعي وأدباء عصره وكانت المصاركة حول الجديد والقديم ، وقد بدأت من عام ١٩٠٨ الى ١٩٢٦ ، مقالات متفرقة في عدد من الصحف والمجلات وبعد ذلك جمعها الرافعي في كتاب والمعركة الأكثر غفلا هي معركته مع طه حسين حول كتابه " في الشعر الجاهلي " صدر في سنة ١٩٢٦ (٢) وقد ذكرت ذلك بتوضيح أكثر في الباب الرابع من هذا البحث .

(١) تاريخ آداب العرب الجزء الثالث مصطفى الرافعي ص ١٢

(٢) حياة الرافعي سعيد المريان ص ١٦٢

الفصل الثانى

===

آثاره الادبية

====

المساكين :

=====

الف الرافعى كتابه المساكين عام ١٩١٧

وقد قدم للطبعة السابعة التى بين أيدينا بفاتحه لسميد العريان وصف فيها مشاعر الرافعى وارهاف حسه تجاه الألم الذى كان سببه استعمار الحرب العالميه مما سبب اليأس والشقاء لأفراد الشعب ، وكلما مضى الوقت تعددت ألوان البؤس والشقاء على أفراد الشعب والرافعى يرى ذلك فى نفسه وعامل الحزن يزيد الآمه وهمومه ، ثم أخذ يؤلف كتابه الذى بدأه بصفحة من كمال النبوة وأخلاق سيد المرسلين ثم صفحة الغيب يقول فيها :

" هذا كتاب المساكين فمن لم يكن مسكينا لا يقرؤه لأنه لا يفهمه ومن كان مسكينا فحسبى به قارئا والسلام " (١)

ثم صفحة من الحكمة يقول فيها :

" ينبغى أن تقدر ثروة الانسان لا بأمواله ومستغلاته بل بعدد الاشياء التى يستطيع أن يمشى غير محتاج اليها " (٢)

وكان الدافع لتأليفه الكتاب انه كان فى زيارة لأصهاره فى " منيه جناح " فلقى الشيخ على ^{عليه السلام} والشيخ على من الناس الذين ليس لهم جيوباً تساك درهما ولا جسداً يمساك ثوبا ولا داراً تؤويه ، ولا حقلاً يقتات منه ، ماذا بقى للشيخ على من الموارد ؟ لاشئ . هكذا بدأ الرافعى الفيلسوف يتخذ من الشيخ على مادة لكتابه " المساكين " من الآم اليأس والفقر . ثم قدم بمقدمة الطبعة الثانية الذى يوضح فيها أنه وضعه من احدى عشرة سنة ويقول أنه لو وضعه من احدى -

(١) المساكين - مصطفى الرافعى ص ١٢

(٢) نفس المرجع ص ١٣

عشرون لما تغير وصفه عما وصفه له ، وهو يصف البؤس أنه يولد كل يوم —
المولدين في هذه الحياة ولكنه لا يموت مع الراحلين عنها .

ثم قدم أيضا بمقدمة الطبعة الأولى الذي يقول فيها :

” هذا كتاب حاولت أن اكسو الفقر من صفحاته مرققة جديدة فقد والله بليت أثواب

هذا الفقر وانها لتتسدل على أركانه مسزقا متهدله يمشي بعضها من بعض (١)

وقد فلسف الفقر بأسلوب عميق وفلسفة بعيدة الغور مطهرا الأم الفقراء مبينا

الغرض من الكتاب بقوله :

” فاني وقد وضعت هذه الاوراق وكتبت فيها عن الفقر وما هو من باب الفقر ، لا لمحوه

ولكن للصبر عليه ، ولا من أجل البحث فيه ولكن للمراء عنه ، (٢) .

وقد جعل الشئ على نمودجا في كثير من أحاديثه عن الفقر .

(١) المساكين مصطفى الراقى ص ٢٢

(٢) “ “ “ “ ص ٢٥

وحى القلم :

=====

مجموع مقالاته فى رساله بين سنتى ١٩٣٤ ، ١٩٣٧ الى مقالات
أخرى ، طبع منه جزءان فى حياته ، اما الجزء الثالث منه فقد جمعه تلميذه سعيد
الريان من قصاصات فى مكتبه مما نشر وما لم ينشر فى الصحف والمجلات فرتبها
وتم طبعه سنة ١٩٤٢ م (١) .

وفى أول الكتاب نصر دعاء للامام محمد عبده فى أول عهد الرافعى
بالادب ، ثم تصوير لسعيد الريان الذى يقول فيه :-

" ان هذا الكتاب يجمع كل خصائص الرافعى الأدبية متميزة بوضوح فى
أسلوبه ، كذلك أقول هنا انه يجمع كل خصائصه العقلية والنفسية متميزة بوضوح
فى موضوعه ، وفيه خلقه ودينه ، وفيه شبابه وعاطفته ، وفيه تزمته ووقاره ، وفيه
فكاهته ومرحه ، وفيه غنمه وسخطه ، فمن شاء أن يعرف الرافعى عرفان الرأى والفكرة
والمعاشرة فليعرفه فى هذا الكتاب " (٢)

ثم يقول انه آخر كتاب أنشأه الرافعى ولكنه أول ما ينبغى أن يقرأ له
لان اتصاله بالصحافة جعل أسلوبه يتضح ويسهل فهمه ، ولكنه عند طائفة من قراء
الحرية أدب عسر الهضم ، وعند آخرين متكلف ، ولكنه عند أصحاب الذوق الفنى
هو أدب " الفكرة الاسلامية "

والفن الأدبى فى نظر الرافعى بالجودة والانتاج والسمو والرفعة وان

كان قليلا وفى ذلك يقول :

وربما عابوا السمو الأدبى بأنه قليل ، ولكن الخير كذلك ، وبأنه مخالف
ولكن الحق كذلك ، وبأنه محير ، ولكن الحسن كذلك ، وبأنه كثير التكاليف
ولكن الحرية كذلك " (٣)

(١) حياة الرافعى - سعيد الريان ص ٣٥١ - ٣٥٣

(٢) وحى القلم - مصطفى الرافعى ج ١ ص ١٣

(٣) " " " " " " ج ١ ص ١٧

ووحى القلم بمتاز بموضوعاته المختلفة التى تضى على القارىء لذة المتعة والشفاف
والشوق والحرفة الى قراءة المزيد من هذا الانتاج السخى الذى يفيض بالادب -
العربى من الألوان المختلفة التى جعلت الرافعى حيا على مدى الأجيال ، لان -
معطياته غنية بالادب العربى الأصيل الذى نحن بحاجة اليه ، ولنثبت أن لفتنا
تستطيع أن تكون زادا وافرا لأدب أصيل ومن الموضوعات التى تحدث فيها الرافعى
فى هذا الكتاب :

موضوعات دينية ، مثل الاشراق الالهى وفلسفة الاسلام ، حقيقة المسلم ،
الانسانية العليا وغير ذلك ، من هذه الموضوعات سيأتى ذكرها بتفصيل أكثر فى
الباب الرابع من هذا البحث .

وتحدث أيضا عن موضوعات اجتماعيه مختلفه فهو يهتم بقضايا المرأة ، وهو
دائم النصح لها أن تبتعد عن الرذائل والسقوط فى الهاويه ، وعليها أن تحتفظ
بقيمها وأخلاقيها الاسلاميه المتينه ويتضح ذلك فى مقالتي بعنوان " لحوم البحر "
و " أحدى " وكذلك يتحدث عن الآم البؤساء فيتألم لألامهم ويشقى بشقائهم ، فتبكي
سطوره بمداد قلمه ، لتصور مآسى الحياة والانسانية فى مقاله " أحلام فى الشارع "
يصور شقاء طفل مشرد وأخته رآهما نائمين على الشارع .

وكتب ايضا فى المجال السياسى عندما شعر بسيطرة الانجليز على مصر ،
وضعف المسلمين وتخاذلهم امام سيطرة المستعمر ، ويعد هم عن روح الاسلام
الأصيل ، ومن ذلك عدة مقالات منها :-

" الطماطم السياسى " و " اليك والباشا " و " الاخلاق المحاربه "

و " خضع يخضع "

وكذلك كتب عن محنة فلسطين " أيها المسلمون "

وللرافعى قصص متنوعه تدل على اطلاعه وثقافته بتاريخ العرب وفهمه

لحوادثه ، والهدف من القصه عنده العظه والحكمة والاعتبار .

ومن ذلك " القلب المسكين " و " بنت الباشا " و " عاصفة القدر "

ولأمثل على ذلك بواحدة من هذه القصص : ففي " قصة زواج وفلسفة المهــــــــــــر " يحدثنا عن الامام سعيد بن المسيب ويصفه من حيث زهده وتقشفه وحسن أخلاقه وفضائله ، ثم يتحدث عنه عندما بعث اليه الخليفة برسول ليخطب ابنته لابن الخليفة ، وقد رفض طلبه وزوج ابنته من رجل فقير معدم فضله على ابن الخليفة وقد استغرب الناس منه هذا الصنيع ولكن ابن المسيب رأى الرجل الفقير أنه أصلح زوج لابنته . لأنه يملك أقوى أسلحة الدين والفضيلة ، فهو خير من ابن الخليفة الذي تجتمع في قصره كل أقدار النفس ودنس الأيام والليالي .

ويعتبر الرافعي مجدداً في موضوعاته لأنه عرضها عرضاً جديداً ، وذلك لشافته الاسلاميه من القرآن الكريم ، وتملكه لزمام اللغة العربيه ، وقوة بيانه ، وتأمله واستنباطه ، وتحليله الدقيق الذي ساعده عليه عزله عن دنيا الناس بسبب صممه المبكر ، ولكن هذا الصم الذي أصاب أذنيه ملاً أسمع الدنيا بما لا يستطيع أن يقوم به السامعون ، واسمعهم ما لم يعرفوا من دنيا المعرفة والسحر والبيان ، وكان لقلته صوت مدوي ينفى الاسماع ولعللي لا أكون مبالغه ان قلت ان الطريقة الرافعية نسيج وحدها تضم في حناياها الحكمة والموعظة والجمال والحب والوصف والدين والحياة وحقا ان وحى القلم نابض بالحياة لمن يريد أن يكون سعيداً في الحياتين وذلك بما يستشعره القارىء كلما قرأ فيه من الفكر والعاطفة والبيان ، وتطمح اليه نفسه وتتلتمس سبيلها في الوصول الى معرفة المزيد . .

الوجدانيات عند الرافعي :-

=====

إن من طبيعة بحثنا أن لا نذكر الوجدانيات فيه لأنه بحث ديني ،
ولكني أذكرها هنا اجمالاً لأكمال دائرة كتبه التي هي من تمام التعريف به وبأدبه ،
حديث القمر :

=====

انشأ الرافعي هذا الكتاب بعد رحلة الى لبنان في سنة ١٩١٢ عرّف

فيها شاعرة من شواعر لبنان وكان بين قلبيهما حديث طويل (١) .

وهو أول ما نشر من أدب الانشاء الذي يقول فيه :

" وقد كتبت على نمط خاص من الكتابة العربية يجعل طالب الانشاء بآدمان
قراءته وتأمله منشأً إذ يرى فيه ملكة التخيل التي هي أصل البلاغة ولا بلاغة
بدونها (٢) .

وقد كتب مقدمة بين فيها غرض الكتاب ، وكان حديثه للطبيعة وهذه
المقالة في يده كأنها رسالة تعزية يحملها من الطبيعة للعالم ، وهو يأمل أن -
تكون الطبيعة قد القت في معانيها بذورا من عناصر التحول الأخلاقي تزكو
بها القلوب الحيوانية لتسمو وترتفع ، وتصل للإنسانية المنشودة ، وهو يطمح أن -
تكون الطبيعة فيها نسمة الحياة للعواطف الميتة ، ثم بين الغرض من الفاظه
ومعانيه وكتابتها فيقول :

" وأنا أرجو أن اكون قد وضعت لطلبة الانشاء المتطلعين لهذا الاسلوب أمثلة
من علم التصور الكتابي الذي توضع أمثله ولا توضع قواعده ، لأن هذه القواعد
في جملتها الهام ينتهي الى الاحساس ، واحساس ينتهي الى الذوق ، وذوق -
يفيق ، الاحساس والالهام على الكتابة جميعا ، فيترك فيها حياة الحياة الجمال -

(١) حياة الرافعي سعيد العريان ص ٧٤

(٢) حديث القمر مصطفى الرافعي مقدمة الكتاب

لا تداخل الروح حتى تستبد بها ، ولا تتصل بالقلب حتى تستحوذ عليه فتكون
له كأنها فكرة في ذاته * (١) .

لقد اتخذ القمر سميرا له يبيته شكواه وخواطره وهمومه وخلجات نفسه ،
ومشاعره الصادقة تحدث بها اليه هذا انخافه الى موضوعات أخرى يتضمنها
الكتاب فهو قد تحدث عن البكاء والدموع ، وعن الاستبداد والطفافة ، وعن الفنى
والمال ، ثم عن الشاعر الصحيح ، والزائف ، وعن الطبيعة والانسان الملحد ،
وعن المحزون . وكان حديثه عن المحزون وما يقدمه اليه من نصائحه يلسم شافيا
لكل محزون لو قرأه لاغناه عن الدواء وخفف ما به من داء .

رسائل الاحزان :

=====

أنشأ الرافعي رسائل الأحزان عام ١٩٢٤م وهي أول الرسائل العاطفية بينه وبين "مى" على أثر القطيعة التي هجرها فيها ، وقد دفعه كبرياءه لكتابة هذه الرسائل وهو يعنيهها ، وهي أول ما أنشأ فى الوجدانيات ، وقد كان يعتقد أنه يستطيع أن ييغفر من يحب وأن يثار لكرامته وكبرياءه وبذلك يتشفى وبدأ مقدمته بأنها رسائل صديق بعث بها اليه فهو يخاطب نفسه على أسلوب التجريد والكتاب تظهر فيه الشكوى والسلوان ، وما هذه الاحاديث الا حديث الرافعى يتحدث به الى نفسه ، من وحى زكرياته التى خطها بقلمه لتكون حماية لآيامه الماغية من الفناء لآيام أشرقت بها سماء العمر وقد عبر عن ذلك فى مقدمته حين قال انها عواطف ثارت وقتا ما ليحدث منها تاريخ ، وسكنت بعد ذلك ليحدث منها شعر وكتابة ، وقد قسم الكتاب الى خمسة عشر رسالة ، فجاءت عبارته لونا جديدا فى هذا المجال ، هذا الى ما فى هذه الرسائل من الفلسفة العميقة والغموض فى بعض عباراتها ، ولكنها كانت تعبيرا صادقا عن مشاعره والآمه فى تصويره ولحرارة الالم وشدة الغضب وكبرياء الحب .

السحاب الأحمر :

=====

الف الرافعى السحاب الاحمر بعد رسائل الأحزان بعدة أشهر - والطبعة التى بين أيدينا هى الطبعة السابعة ، وقد تم بمقدمة الطبعة الثانية لسعيد العمريان ، والكتاب هو الفصل الثانى من وجدانيات الرافعى الذى أوجتها اليه خواطره كلمات متلاحقة ، وهو فى حالة غضب وانفعال وكبرياء أثارته فى نفسه "مى" .

والكتاب يقوم على سبب واحد حول فلسفة البغض وطيش الحب ، ولوم المرأة . وقد تحدث فيه أحاديث متنوعة ، عن فتاة عرفها فى لبنان وعن البغض والهجر والقطيعة وفى موضوع " السجين " قام بوصف بارع فيه يدل على تمكنه من الوصف لافراد أسرته

والناس المحيطين به ثم أوضح ، أثر الحزن على هذه القلوب المجروحة ، ثم حلل
العواقب لهذه الأسرة ، وتحدث أيضا عن المناق و عن حب الأم ، وهكذا مضى
يفلسف المواطن ويجريها كلام على السنة شيوخر وأصدقائه .

أوراق الورد :

=====

يبدأ الكتاب بتصوير لسعيد محمد المريان عنه ، يذكر فيه سبب انشاء

لهذا الكتاب ويقول :

" انه انشاء بعد كتابه " رسائل الاحزان " و " السحاب الأحمر " عندما هدأت ثائرته بعد عنفوان الهجر والقطيعة التي كانت في كتابه السابقين وانتزع الرافعي الاشواق ، من نفسه ليبدأ مؤلفه أوراق الورد " في سنة ١٩٣١ . وقد تحدث فيه عن الرسائل الوجدانية في عصور مختلفة من التاريخ فنراه يقول : " اننا لا نعرف في تاريخ الأدب العربي كله رسالة كتبت عن هذا الطراز على كثرة كتاب العربية (١) " .

وقد استعرض اشهرهم في مراحل مختلفة ، وهذا يدل على سعة اطلاع وعلمه في هذا الفن .

والكتاب يصور صلته بالأديبه " مى " وفيه مجموعة من الخواطر ونبضات القلب التي توحىها الذكرى له . وما كان من هذه الذكرى الا نشرت رسائل مسن أوراق الورد ، تصف حالة من حالاته وثبتت تاريخا في فترة من عمره .

ديوان الرافعى : ثلاثة أجزاء صدرت بين سنتى ١٩٠٣ و ١٩٠٦ -
وقدم لكل جزء منها بمقدمة فى معانى الشعر تدل على مذهبه ونهجه ، وهى
مذيلة بشرح ينسب الى أخيه المرحوم محمد كامل الرافعى وهو من أنشأه
المترجم نفسه . (١)

ديوان النظرات : أنشأه بين سنتى ١٩٠٦ و ١٩٠٨ (٢)
على السفسوف : قصة الرافعى والمقاد نشرتته مجلة العصور فى عهد
منشئها الاول الاستاذ اسماعيل مظهر ولم تذكر اسم مؤلفه ورمزت اليه بكلمة :
" امام من ائمة الأدب العربى " (٣)

هذا ولا يسعنا الا أن نقرر أنه كان فى آثاره العلمية والأدبية عصاميا
كون نفسه بنفسه حيث رحل رحلة طويلة واعية فى بطون الكتب والأسفار عاد منها
بهذه العقليه التى أثرت بهذه الثمرات . .

(١) حياة الرافعى - سعيد العريان ص ٣٤٩

(٢) " " " " " "

(٣) " " " " " " ص ٣٥١

الفصل الثالث

أسلوبه وخصائصه الفنية مع التمهيد له بتطور الأساليب
وتحررها من الصنعة اللفظية التي غلبت على الأدب

في العصر العثماني

=====

النثر الأدبي بين عصريين

=====

لقد اتخذ العثمانيون القسطنطينية عاصمة الاسلام بدلا من القاهرة ،
واللغة الرسمية التركية بدلا من العربية ومن ثم أخذت هذه اللغة في الاضمحلال
وبدأ العلم ينحط حتى كان أن ينضب معينه (١) .

كذلك بلغ النثر في أخريات هذا العصر الغاية في الركاسة والضمف
فمبارته مقيدة بقيود ثقيلة من الحلي والزخارف وبقي هكذا حتى القرن التاسع
عشر وهذه بعض الأمثلة من الرسائل الأدبية في القرن التاسع عشر عن الأخوانيات
وهذه رساله الى الشيخ ناصف اليازحي كتبها سنة ١٨٤٨ أديب
بغدادى اسمه بكرزاده :

" جناب الشيخ الأجل الأمد الشيخ ناصيف اليازحي دام بقاءه سلام لا تحصيه
السنة العارفين ، وثناء متعدد اتصال الأيام بالسنين ، ودعاء انشق له جواهر
الأجابة على طور سينين ، علا فارتفع ، وأضاء فلمع ، تحمله نياق الاشتياق وتقتاده
أزله الوجد والأحترق ، من محب اندله الجوى ، واذابه الهجر والثوى . دموعه
تتبدد ، وانفاسه تتصعد ، وأحزانه تتجدد ، ونيرانه تتوقد . الخ (٢) "

ومن أمثلة التأنق السجعى أيضا ما ورد في المراسلات الاخوانيه لرسالة
بعث بها الشيخ ابراهيم الحوراني جوابا على دعوة وردت من صديق الأستاذ

(١) تاريخ الادب العربى - احمد حسن الزيات - الطبعة الخامسة والعشرون ص ٤٠٢

(٢) تطور الأساليب النثرية في الأدب العربى أنيس المقدس الطبعة السادسة

ص ٣٥٣ من مخطوطه لدى انيس المقدسى .

داود قربان لزيارة مدينة صيدا يقول فيها :

" كتابكم أم حديقة ربحان ، وكلامكم أم سلافة حان ، طوى على حب وودود ، ونشر

على نشر عود ، وأطرب الآذان بأطيب من الحان العود . . . الخ (١) "

ولقد نجد شيئا من هذا التأنق في المراسلات الأخوانية حتى أوائل

القرن العشرين وهذه رساله كتبها محمد بك المويلحي الى حفنى بك ناصف

فى ٢ مارس ١٩٠٨ قال :

" صديق الغافل حفنى بك ناصف

لولا يقال اننا بتنا نتقارض الحمد والثناء ، ونتناوب بيننا المديح

والأطراء لجعلت لك صحف الأخبار ، تغرد تغريد الأطيار ، ولصفت فيميك

ما يتألق كالنضار ، ويتأرجح كالأزهار ، وهذا لك على ما صنعت به لغة القرآن

بقوة الدليل والبرهان ، وما نطقت به من فصل الخطاب فى حسن الدفع عن معجزة

الكتاب " (٢)

(١) تطور الأساليب النثرية فى الأدب العربى أنيس المقدسى الطبعة

السادسة ص ٣٥٣ عن مجلة النشرة الاسبوعية ولم يشر الى عدد هــ

ومن يشرف عليها .

(٢) نفس المرجع ص ٣٥٦ عن الهلال (١) ص ٤٥٢

حركة تحرر وانطلاق :

ان هناك عوامل ساعدت على تطور الفكر العربي وتحرره من قيود الصنعة والتكلف التي عمت في العصر العثماني وهي :

أولا : نشوء الرأي العام وظهور فكرة الوطنية ، وشعور المصريين بحقوقهم السياسية المسلمة ، وذهاب البعثات الى أوروبا وأوا حياة سياسية تخالف حياتهم ، فالناس في فرنسا لا يحكمون بحكم الفرد المستبد ، بل يشتركون في الحكم .

ثانيا : فتح قناة السويس والاتصال بالغرب مما زود الشعور بالقومية عند المصريين .

ثالثا : ظهور حركة الترجمة . . باتصال المصريين بالغرب أخذوا يتذوقون الآداب الأوروبية ويترجمونها ، وساعد على هذه الترجمة منصر عربى من السوريين واللبنانيين الذى وفدوا فارين من اضطهاد العثمانيين وكان لهذه الترجمة فضل كبير فى ترك أسلوب السجع والبديع الذى يعوق الترجمة ويفسد الأساليب .

رابعا : ازدهار الصحافة التى تعتمد على الأسلوب السهل البسيط حتى تنتشر على مدى أوسع للجمهور . (١)

خامسا : فتح الجامعة المصرية التى أنادت الحركة الأدبية بمصر والشرق حيث أخرجت جيلا مثقافا بالآداب المصرية يجيد البحث ويقدره ، وكذلك أنصادت الجامعة الاكثار من عدد القراء الذين يقدرون الأدب وهذا بلا شك يشجع المؤلفين ودور النشر . (٢)

(١) الأدب العربى المعاصر فى مصر ، د . شوقي ضيف ، ط ٥ ص

١٧٢ - ١٧٦ .

(٢) فى الأدب الحديث ، عمر الدسوقي ، ج ٢ ، ص ١٧٣ - ١٧٤ ط ٧

سادسا : نضج الرأي الأدبي الذى أخذ يرضى الجماعة وشعورها بما تظهر من رضى وسخط على الحياة الأدبية وتحت تأثير هذا الرأي تطوّر أسلوب النشر وتحرر من أغلال السجع والبديع . (١)

سابعا : بدأ المصريون يفكرون فى دينهم وما أصابهم من ضعف واحتلال الهيب فى نفوسهم الحمية الدينية التى كانت سببا فى ارجاعهم الى مصادر الاسلام الأولى ، حتى ينقى الدين مما علق به من أوهام وخرافات وصاحب هذا الاطلاع فى الدين اطلع آخر على المصادر الأولى فى الأدب ، فان المطبعة أخذت فى نشر الكتب القديمة مثل كليلسة ود منه لابن المقفع ، فرأى المثقفون أدبا جديدا فى التعبير يختلف عما كانوا يصرفون . أدبا يبعد عن تكلف السجع والبديع وظهر فيه الأسلوب المرسل الذى يوضح المعنى فى وضوح تام مع قوة العبارة ، فدخل فى نفوسهم الشك فيما يألّفون سوا من الناحية الدينية أو الأدبية وبدأوا جادين فى البحث عن الطرق القديمة فى فن التعبير والأدب . (٢)

كل هذه العوامل ساعدت على نمو الأدب وازدهاره المتزايد وبدأ العصر الحديث بفجر نهضة أدبية استطاعت أن تخلص النشر الأدبي من قيود المحسنات اللفظية والتكلف والصنعة وكان رائد النهضة الشعرية البارودى ، أما النشر الأدبي فقد شوع الى تنوع مختلفين ، نزع الأسلوب المرسل ، ونزع الأسلوب المسجوع ، وزعيم الطائفة الأولى محمد عبده^٣ ومن تلاميذه المنفلوطى والرافعى والبشرى ، على اختلاف فى أقدارهم وطاقاتهم ، وزعيم الطائفة

(١) الأدب العربى المعاصر ، فى مصر ، د . شوقي ضيف ، ص ١٧٨ .

(٢) لايفسبيل للمرجع السابق ————— ، ص ١٧٣ - ١٧٤ .

(٣) فى الأدب الحديث عمر الدسوقي ج ١ ص ٣٠٧ .

الثانية عبد الله فكرى ومن تلاميذه حفى ناصف ومحمد المويلحى والبكرى على اختلاف فى طاقات أقدارهم أيضا وقد تمت الغلبة لدرسة محمد عبده ، لأن ضروريات الحياة الادبية ، وانفساح ميادين الكتابة وظهور الصحف اليومية حافظة بالجديد من المقالات لمعالجة شئون كل ما يجد فى الحياة ، كل أولئك لم يتسع الوقت لأساليب ذوالاسجاع بل فرض الترسل على الكاتبين ، وما أجمله اذا افصح وابان . (١)

ومن أشهر الكتاب البارزين وقادة الرأى والبيان مصطفى صادق الرافعى وكان فى هذه الفترة متأثرا بمدرستين احدهما مدرسة الأذب العربى التى كانت تحاول جاهدة انهاض اللغة من كبوتها ، والاخرى مدرسة الأذب الدخيل التى تتأثر بالآداب الاوربية وتأخذ عنها وان ضعفت أسلوبها ولا نت لفتها ولكن الرافعى كان يسير بعيدا عن المدرسة الثانية متصلا بالمدرسة الاولى آخذا من الأذب العربى القديم محافظا على اتباع أساليب اللغة الفصحى لغة القرآن ، مدافعا لها من كل من دعى الى ترك الفصحى بحجة التجديد . (٢)

وقد تتلمذ الرافعى على يد الامام محمد عبده متأثرا بأفكاره الحماسية الملتزمة تأثرا عميقا ، ووطد صلته بكل أعلام مدرسته والكاظمى وحافظ وهما من أشهر شعراء العصر .

كما تطلع الى الكواكب ، والى البارودى وقد هاد من مفاهمه ، بعد تسعة عشر عاما قضاه بعيدا عن وطنه .

(١) نشأة النشر الحديث وتطوره - عمر اليازجى ١٤٠٩ ، ١٢١ ، ١٤٠٩

(٢) دراسات فى الأذب العربى الحديث ومدارسه ، محمد عبد المنعم

خفاجى ص ٣٦٤ - ٣٦٥ .

ومن هذه المدرسة الثورية الأولى أخذ الرافعي أفكاره وفلسفته في الحياة ، وكان يقول الشعر يمدح به البارودي أو يتفجع فيه على الشرق ، الذي عصفت به الأحداث ، أو يتحدث عن أعلام الإسلام الخالدين مثل عمر والمأمون ، أو يدافع عن وطنه وعن اللغة العربية التي كان المحتل يكيدها واشتهر الرافعي كشاعر وطني مخلص لفكرته . (١) .

(١) دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه ، محمد عبد المنعم

خفاجي ، ص ٣٦٧ - ٣٦٨ .

أسلوب الرافعى

إن كتابة الرافعى تتمثل فى موضوعات شتى اسلامية ، واجتماعية وأخلاقية ووصفية ووجدانية ولكن أهم ما يميز هذه الكتابات هى الموضوعات الاسلامية والاجتماعية بيد أن الكتابة عند الرافعى لم تكن فكرة وعاطفة فحسب ، بل كانت الى ذلك فنا وأسلوبا وصناعة والأدب العربى فى نظر الرافعى فكر وبيان ، فاذا أراد الكتابة رتب موضوعه ترتيب الفصول فى الرواية ، فان آن أو ان الأداة يرجع الى كتاب من كتب العربية ، فيعيش وقتا ما قبل الكتابة فى بيئة عربية فصحة اللسان وخير ما يقرأ كتب الجاحظ وابن المقفع وكتاب الأغاني لأبى الفرج الأصفهاني ويملل ذلك بقوله :

" نحن يا بنى نعيش فى جو عامى لا يعرف العربية ، يتحدث الناس وما ينشئ كتاب الصحف فى ذلك سوا " ، واللسان العربى هنا فى هذه الكتب انها هى البادية لمن يطلب اللغة فى هذا الزمان ، بعدما فسد لسان الحضر والبادية . (١) "

وكانت هذه القراءة تهى للرافعى الجوابىانى ، لما قبل الكتابة أما حروف اللغة وأساليب البيان فلم تكن تعنيه فى شئ ، وكانت له عناية واحتفال بموسيقية القول ، حتى ليقف أحيانا عند بعض الجمل من انشائه برهة طويلة يحرك بها لسانه كي يبلغ سمعه الباطن ، فاذا لم يجد لها موقعا من نفسه ردها وما بها عيب ليستبدل بها جملة تكون أكثر رنيناً ومسيقى ، وكان له ذوق فنى خاص فى اختيار كلماته ، يحسه القارى على جملة ما يقرأ من منشآت هذا الذوق

الفنى الذى اختصر به ، هو الذى هياه الى أن يفهم القرآن ويصرف سراء جازه
فى كل آية وكل كلمة من آية وكل حرف من كلمة . (١)

وخلاصة القول ان الرافعى يؤمن بأن الأدب فن ، وأن هذا الفن
يجب أن يؤدى بأداء صحيح سامى التعبير مع الدقة والابداع فى الصورة
زائده معه الجمال ليلبس أبهى حلة ، وليبعث الغشوة فى النفس ويسمو بالذوق
الانسانى مصورا له الجمال فى جلال وجمال وصور وألوان .
يقول فى مقدمة وحى القلم يوضح هذا القول :

(وفى الكتاب الفضلاء باحثون مفكرون تأتى ألفاظهم ومعانيهم فنا عقليا
غايته صحة الأداء وسلامة النسق ، فيكون البيان فى كلامهم على ندرة كوخذ
الخضرة فى الشجرة اليابسة هنا وهنا . ولكن الفن البيانى يرتفع على ذلك بأن
غايته قوة الأداء مع الصحة ، وسمو التعبير مع الدقة ، وابداع الصورة زائدا
جمال الصورة . أولئك فى الكتابة كالطير له جناح يجدى به ويدف ولا يطير
وهؤلاء كالطير الآخر له جناح يطير به ويجدى . ولو كتب الفريقان فى معنى
واحد لرأيت المنطق فى أحد الأسلوبين وكأنه يقول : أنا هنا فى معان وألفاظ ،
وترى الإلهام فى الأسلوب الآخر يطالعك أنه هنا فى جلال وجمال وفى صور
وألوان . (٢)

وهذه أقوال من الرافعى تشهد له بمنزلته الأدبية الرفيعة وما حققه
للاسلام والمسلمين من تراث خالد على مر الأيام ولكل زمان ومكان ، وإشراقه
للفكر العربى الاسلامى يقول الاستاذ " حارث طه الراوى " بعنوان " مصطفى
صادق الرافعى " جاحظ القرن العشرين .

(١) حياة الرافعى ، سعيد العريان ، ص ٢٢٣-٢٢٦ .

(٢) وحى القلم ج ١ مصطفى صادق الرافعى ، ص ١٦٠ .

" بينه وبين الجاحظ شبه في الأسلوب من حيث البلاغة العربية العالية وشبه في المزاج من حيث التفنن في السخرية والمرح وشبه في الإلمام الواسع بعلوم العربية وشبه في الغيرة المشبهة على كل ما هو عربي وإسلامي من تراث خالد ، لقد تأثر الرافعي بأسلوب القرآن .

ما زال الأدباء يعجبون بالجاحظ ، ويخلطون على الرافعي بأعجابهم بحجة أنه محافظ أو مقلد أو معقد ومن يدلني على كتاب بلغة العرب يضاهي كتاب الحب والجمال في " أوراق الورد " و " رسائل الأُخْزان " و " السحاب الأحمر " (١) وقال الأستاذ أنيس منصور الصحفي المعروف بعنوان " طريقة الأدباء بين الحريين " وما قال

- أما صادق الرافعي فطريقته هي البيان المقطر تماما لتقطير المطر من الزهور والورود والرياحين ، والنتيجة هي جمال ليس بسيطاً . (٢)

ويقول الدكتور كمال نشأت في كتابه " مصطفى صادق الرافعي " بعنوان " والرافعي كاتباً " :

" حقق الرافعي ذاته ككاتب في لون معين من الأدب شعرا ونثرا ، وهو أديب أميل إلى روح التراث في وسائل صياغته وطريقة تمبيره بل في معجمه اللفظي وزخارفه البيانية . (٣)

(١) كتاب الهلال مصطفى صادق الرافعي ، حياته وأدبه مأدبة حسنين مخلوف ، ص ١٠٩ - ١١٠ .

(٢) نفس المرجع ص ١١٠ .

(٣) نفس المرجع ص ١١١ .

ويقول الأستاذ عمر الدسوقي عن الرافعى :

" وعلى الرغم من أن الرافعى كان يحمل لواء الدفاع عن الاسلام واللغة والأخلاق القويمة حتى اتهم من أنصار الجديد الذين يتجهون بفكرهم وعاطفتهم وثقاتهم صوب أوروبا بأنه حامل لواء القديم - على الرغم من كل هذا فالرافعى كان مجدداً فى معظم ما كتب ، مجدداً فى موضوعاته لأنه عرضها عرضاً جديداً وفهم أسرار القرآن وآيات القرآن وفسرها تفسيراً يدل على بصيرة نيرة كأنها من نفحات الوهى ، وذلك لعمق إيمانه ، وتفقهه فى اللغة وأسرار العربية ، تكشف عن اعجاز القرآن وتزيد المؤمن إيماناً ، وتفهم المكابرين .

وكان مجدداً فى صورة ، فهو وإن استوعب الثقافة القديمة ، وعرف العربية معرفة لم تتح لكاتب فى عصره بشهادة خصومه فقال عنه المازنى : " وكان الرافعى أعلم أهل العربية بالعربية . (١) "

وقال عنه العقاد قبل أن تحدث بينهما الخصومة :

" انه ليتفق لهذا الكاتب من أساليب البيان ما لا يتفق مثله لكاتب من كتاب العربية فى صدر أيامها " (٢)

ويقول الأستاذ صدر الدين شرف الدين : " أما خصائصه الفنية ..

خصائص أسلوبه الشعرى القصصى فلم تتغير كما يقول الأستاذ المريان ، وكم أصاب المريان حين جعل من " وحى القلم " مساعداً على فهم ما سبقه من طلاس ، الفن الرافعى " فالواقع أن وحى القلم " بموضوع موضوعاته ، وارتعاش الحياة فيها ، يعلم طريقة الرافعى فى التفكير ، وأسلوبه فى التعبير ، فيفسين فى غيره على شم هذا التعبير والانس بهذه الموسيقى على أن مرحلة غموضه عاملاً من عوامل بنائه وشموخه بما دلت عليه من اهتمام عصره ، وأبيه له ، اهتماماً وأبها يعبر عنها نقد خصومه قبل دفاع انصاره " . (٣)

(١) مع الرافعى الكاتب للأستاذ عمر الدسوقي ص ٤٨ ، مستخرج من حوثيات كلية دار العلوم ، العام الجامعى ١٩٦٨ ، ١٩٦٩ .

(٢) حياة الرافعى سميد المريان ص ١٨٣ .

(٣) المختار من أدب الرافعى - صدر الدين شرف الدين ، دار الكاتب العربى ص ١١١ .

الرافعى القصص:

لقد كتب الرافعى قصصا كثيرة مختلفة ومنها ما هو مستخرج من التاريخ العربى ، ونوع من نسج الخيال ، وما لقصص عند الرافعى الا مقال أو حديث يدور حول شخص أو حادثه ، والغرض منه المعظة والحكمة والاعتبار. (١) وتظهر أحاديثه التاريخيه فى " قصة زواج " ، " رؤيا السماء " ، " زوجة امام " ، " بنته الصغيرة " ، اليمامتان " ، قبح جميل " ، " الاسد "

ويكتب الرافعى فى القصص الاجتماعية التى يراها فى المجتمع بقلم السوء من المدافع عن الاسلام بواقع الحرص والغيرة لما يراه فى مصلحة الأفراد والمجتمع ومن القصص الاجتماعية " أحلام فى الشارع " ، " أحلام فى القصر " ، " حديث فطين " ، " عربة اللقطاء " و " سمو الفقير "

ويكتب فى مقالات كثيرة عن قضية المرأة . . التى يخشى عليها الانزلاق فى تهمنا الحضارة الجارف والجري وراء الوهم الذى يؤدى بها الى ضياع اسلامها وفقدانها لمقوماتها الأصلية التى تزينها وترفع قدرها الى مستوى المرأة المسلمة المترفعة فكتب الى المرأة محذرا مقالين بعنوان : " لحووم البحر " ، " احذرى " .

وان اجتماعيات الرافعى تكاد تحتل المكانة الأولى من آثاره لأثني عليه . كان يرى نفسه كاتب اجتماعيا ، رسالته الاصلاح كما كان يرى نفسه كاتباً أدبياً وهذا طبيعى فى الرافعى وفى نشأته الدينية المحافظة ومعه عن مخالطة عصره لذلك ظل محافظاً للروح الشرقية ، وهارب كل دعوة تزيد الهدم والنيل منها . (٢)

(١) الفنون الادبية واعلامها فى النهضة العربية الحديثة ، تأليف أنيس المقدس ص ٣١٩ - ٣٢٠ .

(٢) المقتبس من وحى القلم - خليل الهنداوى ، عمر الدقاق ، مصطفى صادق الرافعى ، دراسة مختارة - دار القلم - دار الشرق - الكويت بيروت ص ١٢

الرافعى المترسل :

ان أسلوب الرافعى يغلب عليه الغموض والفلسفة العميقة فان قلمه ينسج العبارات نسجا قويا باللغة الفصحى والألفاظ الجزلة ، والذي يقرأ بعض مؤلفاته يجد الصعوبة فى فهم الأسلوب ، وذلك لثقافة الرافعى الواسعة المتوقعة ، ولأن الكلام بيد وواضح فى عقله وفى نفسه ولكن عند ما يكتبه لا يستطيع كل من يقرأه أن يفهمه فأحيانا يحتاج فى قراءته الى تأمل وتفكير وتحليل لفهم المقصود وذلك يرجع الى أن هذه الصعوبة راجعة بالأكثر الى تعطله لاستجلاب المعنى الغريب وحرصه على غير المعتمد من اللفظ والتركيب .

وهناك شواهد تدل على الغموض الفلسفى تتضح فى الأقوال الآتية :

ومن أمثلة الغموض عند الرافعى : وصفه لأهل القفلة : " وقد كان يقال أنه لأحق من الغفلة فى اثنين :

الضارب فى الصحراء تلفحه شمسها ويتنفس النار من هجيرها ، فيفتسل بما يحمل من الماء ، فيترد ويستروح ويدفع عنه القيظ وقد أنسته اللذة العاجلة ما أمانه ، وعى عن الصحراء ومعاتشها ، وظن أنه قد غلبها فى راحة نفسة والترفيه من أمره . فلن يكون منها بعد أن شربت ماءه فى موضع الا أن تشرب روحه فى موضع آخر ، وغفلة الماكر الفاش يطمئن الى دحسه وغشه ، وهو يعامل فيهما أمة كاملة فيوشك أن يلقي ما لقي الرجل ذو الاقفال حين زم باقفالـه على فضحتين . فكانت اقفاله الفضيحة الثالثة" (١)

وهذا مثال آخر أيضا :

وقوله فى المناق : " لو مددت عينيك فى عينيه لرأيت يتخارص لك باحداهما ، كأنك أبيض من ثلعا الشمس وان كنت قد خرجت من مصنع التجليد الالهى فى جلد أسود" . (٢)

(١) تحت راية القرآن مصطفى الرافعى ، ص ٣٢٢-٣٢٣ .

(٢) السحاب الأحمر ، مصطفى الرافعى ، ص ٨٧ .

وهذا مثال آخر أيضا في وصفه الشيخ على :

" وكذلك أعرف" الشيخ على " فهو رجل سدت في وجهه منافذ الجهات كلها الا جهة السماء ، فكأنه في الأرض بطل خيالي يربنا من نفسه احدى خرافات الحياة ، ولكنه مع ذلك يكاد يخرج للدنيا تلك الحقيقة الالهية التي لا تغذوها مادة الأرض ولا مادة الجسم ، فهي تزدرى كل ما على الأرض من متاع وزينه وزخرف ، وكل ما ردت عليك الغبطة من بسطة في الجسم ، أو سعة في المال ، أو فضل في المنزلة ، وكل ما أنت من اقباله على طمع ومن فوتته على خوف " (١)

وكذلك نراه يصوغ آراءه في أسلوب فلسفي عميق تشعر معه بسيطرة الفكرة صعد غورها ، والاستدلال المنطقي الحاد فيقول وقد رأى أن المجتمع
يستول عن فقر الفقراء :

" ومن هنا يا بني لا تجد الفقير في أى عصر من العصور الا جهة من الخلل في نظام النفس الانسانية والفراغ الذى يجده الفقير في بيته انما هو موضع النعمة الضرورية التي بخل بها الغنى ، وهو في الحقيقة موضع التفكك أو الكسر في الآلة التي تديرها شريعة الاجتماع " (٢)

الرافعى هنا أراد أن يوضح أن الفقير لن يكون فقيرا لولا الخلل في نظام النفس الانسانية لان هذا الفقير طعامه من بيت الغنى البخيل ، ولكن ما أحدث التفكك والكسر في هذا التوازن هو عدم ادارة الآلة كما ينبغي من تعاطف الأغنياء مع الفقراء بالتصدق عليهم ومن هنا حدث التفكك والكسر .

(١) كتاب المساكين ، مصطفى صادق الرافعى ، ص ٤٣-٤٤ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٧٣-٧٤ .

وهذا مثال آخر على سوق الآراء في أسلوب فلسفى عميق يقول فيه :
 " تر فعنا الهموم والآلام ، لأن عواطف الحزن والشقاء لا تكون إلا من سمو ،
 وهى لا بد أن تكون لأنها وحدها الحارسة فينا لأنسانيتنا ، إن تخلق مع حياة
 الجسم المادية حياة معنوية للقلب ، ونحسها من فقد ما فقدناه ، لأنه لا بد
 للضمير الانسانى من صوت أليم يقول له أحياناً : أنت سماوى فاترك هذا ، وكأن
 كل لوحة ألم يحسها المرء هى صرخة عاطفة جديدة ولدت فى النفس " (١)
 يفلسف الراقى معنى الهموم والآلام ، وأن معناها فى النفس لا يكون إلا من سمو ،
 وهذا السمو من هذه الآلام جعل لها معنى الحراسة ، لتكون محافظة على
 الانسانية ، والانسانية تنمو بهذه المعانى ، وصوت الألم هو الذى يقول للانسان
 اترك هذا ، اذن الآلام فى نظر الراقى نعمة طالما أنها تأتى بالفوائد من
 امتناع الانسان عن كل ما يؤذى غيره ويؤلمه ، ومن تولد العواطف الجديدة فى
 النفس .

وهذا مثال آخر على سوق الآراء في أسلوب فلسفى عميق . يقول فيه :
 " فلا بد للناس من الحدود التى تبني بين كل ضدين من أحوال الانسانية
 جداراً يعطف نفساً على نفس بالرحمة ، ويرد قوة عن قوة بالصبر ويكف عادية
 عن عادية بالتقوى ويحقق عواطف التوازن بين أسباب الاضطراب فى الجماعات
 المتصادمة ، ليقر كل مضطرب فى حيزان لم يمسه فيثبت فيه لم يفلته فيمعد و على
 سواء " (٢)

(١) أوراق الورد ، مصطفى صادق الرافعى ، ص ٦٦ .

(٢) المسالك ، مصطفى الرافعى ، ص ١٩ .

فلسف الرافعى الحدود وجعل هذا الحد هو العطف بالرحمة فالمعروف ان
الجدار فاصل ولكن الرافعى جعل هذا الحد عطفًا فان كان هناك حدود
فلتكن رحمة .

ورد القوة ليس بالقوة والحرب ولكن بالصبر ، وكف العارضة بالتقوى
كل هذه الموامل التى يستطيع الانسان أن يرد بها على كل ما يعترضه
وان لم يستطع أن يثبت على ذلك ويحقق توازنه فلا بد له من أن يثبت ويصمك .
زمام نفسه حتى لا تكون ضررا على الآخرين ان ألقت الزمام من يده .

وهذا مثال يدل على التعليل والتسلسل المنطقى فاسمعه يقول فى

وصف القلب :

" هذا القلب هو سر الجمال الانسانى لأن فيه بركة النفس وزينتها وسكنها
فالبركة تنبت من الخلق الطيب والزينة تخرج من الفكر الجميل والسكن يثبت
بالإيمان واليقين ، وما جمال النفس الانسانية الا خلق وفكرة وفضيلة" . (١)

يتضح من هذا الوصف للقلب حسن التعليل وكيف أن المعانى مرتبة متسلسلة
بعضها على بعض وكيف يكمن سر الجمال فى البركة والزينة والسكن وكيف يعطى
كل معنى من هذه المعانى شيئا جميلا يترتب عليه نتائج لا تكون الا مجتمعة
لتمطى الفضيلة المؤمنة .

(١) - فلسف الرافعى ، ص ١٠٠ .

(١) رسائل الأُحزان ، مصطفى الرافعى ، ص ٩٠ .

وهذا مثال على براعة التعليل عند الرافعى فاسمعه يقول :
أَضْرَ

" النوم والقدر والموت كالشيء الواحد أو ثلاثتها أجزاء لشيء واحد ،
فالنوم غفلة تخرجه من الحياة كلها الى حالة أخرى ، والقدر بين المنزلتين يقع
هنا على أهل السعادة بأسلوب النوم ، ويحى لاهل الشقاء عنيقا فى أسلوب
الموت ، ولن يجلب شيئا أو يدفع عن نفسه شيئا من هذه الثلاثة الا الذى لم
يخلق على الأرض ذلك الذى يستطيع أن يفتح عينيه على الليل والنهار فلا
ينام ، أو يخطف نفسه على الصغر والكبر فلا يموت ، أو يضرب بيديه على صدر
الفلك فيمسكه ما شاء أو يرسله " (١)

لقد وصف الرافعى النوم والقدر والموت شيئا واحدا ، وظل لذلك بأبرع
تعليل كيف أن النوم غفلة ، والموت غفلة والقدر بين المنزلتين وكيف يقع هذا
القدر على أهل السعادة وأهل الشقاء . . . وهذه الثلاثة حتمية تقع على كل
انسان ولا فرار لانسان منها الا الذى لا ينام أولا يكبر وهذا مستحيل ، ونفى
هذا يتضح عمق الفلسفة الرافعية وسوق الأمثلة ومعد غورها ومراعتها .

(١) رسائل الأحزان ، مصطفى الرافعى ، ص ٩٠

نقول والشئ بالشئ * يذكر ان الرافعى كثيرا ما كان يصوغ آرائه الدينيـة وافكاره الفلسفية فى مثل هذا الأسلوب الدقيق استمع اليه يقول فى مقاله

"الانتحار" يصف الايمان :

=====

"والايمان الصحيح هو بشاشة الروح ، واعطاء الله الرضى من القلب ثقة بوعده ورجاة لما عنده ، ومن مدين يكون الاطمئنان ، وبالبشاشة والرضى والثقة والرجاء ، يصبح الايمان عقلا ثانيا مع العقل ، فاذا ابتلى المؤمن بما يذهب معه الصبر ويطيـش له العقل ، وصار من أمره فى مثل الجنون - برز فى هذه الحالة عقله الروحانى وتولى سياسة جسمه حتى يفيق العقل الأول ، ويجىء الخوف من عذاب الله ونقمته فى الآخرة ، فيغمر به خوف النفس من الفقر أو المرض أو غيرهما فيقتل أقواهما الاضعف ويخرج الاعز منها الأذل .

فالاطمئنان بالايمان هو قتل الخوف الدنيوى بالتسليم والرضى ، او تحويله عن معناه يجعل البلاء ثوابا وحسنات ، أو تجريده من أوعاه باعتبار الحياة سائرة " بكل ما فيها الى الموت ، وهو بهذا عقل روحانى له شأن عظيم فى تصريف الدنيا ، يترك النفس راضية مرضية ، تقول لمصائبها وعى مطمئنة : نعم وتقول لشهواتها وعى مطمئنة : لا .

وما الانسان فى هذا الكون ؟ وما خيره وما شره ؟

وما سخطه ورضاه ، ان كل ذلك ، الا كما ترى قبضة من التراب تكبر وقد نسيت أنه سيأتى من يكسها ! " (١)

ان الرافعى بلا شك وضع أسس الطمأنينة التى تغمر قلب المؤمن ، عند ما ينعم الله عليه بنعمة ثانية هى بمثابة عقلا ثانيا تصغر عنده الكوارث وعند ما يتم التسليم بالقضاء والقدر خيره وشره ويعلم المسلم علم القين ان هذه المصائب التى أصابته يثاب عليها حسنات هذا الشعور يجعل الامن ينبعث من داخله فيسير فى حياته مطمئنا راضيا .

والرافعى فى قوله "وما سخطه ورضاه ، ان كل ذلك ، الا كما ترى قبضة من التراب تكبر وقد نسيت أنه سيأتى من يكسها ! " يعنى : ان كل ما نرى من الخير والشر فى الدنيا هو كقبضة من التراب ، وسخطه ورضاه ، ان كل ذلك ، الا كما ترى قبضة من التراب تكبر وقد نسيت أنه سيأتى من يكسها !

- ١ - استجنحى
 - ٢ - ذئاب الاغاصير ، ونمور السحاب
 - ٣ - اما قبل
- فاسمعه يقول فى مقاله (أجنحة المدافع المصرى)
- ١ - " استجنحى يا مدافع مصر وظيرى ، ان المجد يطلب منا انسانه البرقى
لقد مدت لغة القوة فى هذا العصر مدعا حتى أصبح الطيران بعض
معانى المشى ، ولم يعد العالم يدرى كيف تكون الصورة الاخيرة
التي يستقر فيها معنى الانسانية ((١))
استعمل الرافعى كلمة " استجنحى " وكما يقول لم تأت الكلمة فى اللغة
بهذا المعنى ولكنه استعملها قياسا على كلامهم ، فالكلمة جاءت موسيقية
اللفظة قوية فى استعمال الاجنحة ليخلق بها المدافع المصرى ويطير .
 - ٢ - ومن العبارات النادرة أيضا قوله فى مقالة (فاتح الجو المصرى) يصف
طائرة يقول :-
" وان انت بين صفق الرياح الهوج ، تحت السماء المدججة فى كبة
الشتاء ، كأنك مناظرة تجرى بين العزيمة فى الإنسان والعزيمة فى
الطبيعة وان أنت بين ذئاب الاغاصير ، ونمور السحاب ، وسباع الغيم
ذوات اللبدة الكثيفة المتشعبة ، كأنك بصوتك ، وأزيزك تطلقين على
وحوش الجو مدفا رشاشا يتركها صرعى " (٢)
ثم يوضح عبارة (ذئاب الاغاصير) وعبارة (نمور السحاب) كيف تأتى
فى اللغة وكيف استعملها هو فيقول :-
" يقال : ريح متذئبة ، اذا كانت تجى من هنا مرة ومن هنا مرة كما
يساور الذئب ، فوضعنا من هنا كلمة ذئاب الرياح ، والنمر من السحاب ،
قطع متدان بعضها من بعض تشبيها بجلد النمر ، فوضعنا منها نمور
السحاب " (٣)

(١) وحى القلم مصطفى الرافعى ج ٢ ص ٢٥٨

(٢) وحى القلم - مصطفى الرافعى ج ٢ ص ٢٥٥

(٣) نفس المرجع

٣- ومن العبارات النادرة ايضا التى لم يسبقه احد اليها (أما قبل) :

استحدث الرافعى هذا التعبير فى اللغة الذى يقول انه لم يقوله احد فى اللغة قط ولم تخطلا حد قط ، ان هذه العبارة او حتها اليه مشاعره وأحاسيسه وكانت لها صدى فى نفسه يقول فى ذلك : -
" قالوا (أما بعد) وسموفا فصل الخطاب وأنا أقول (أما قبل) وأسميها وصل الماضى ، وبها نجعل لما فاتنا مما نحبه أو نؤثره لسانا ، ونعيد اليه الصوت ، ونفتح له باب الساعة التى نكون فيها ، ونخترع للمحبين لفظا سحرى لم تستطع حوا* بجنة خلد أن توحيه لآدم ، وأوحيه أنت لى بمجلس حباك فى لحظة .

انها كلمة حنانة ، فيها الحب والذكرى ، وفيها من نفس ومن اللغة ومنك ومى غريبة باللغة الغريبة لأنى صنعتها صنعة قلب لا صنعة لسان ، ففيها الفن أى سر الحسن ، أى حروف التصوير ، أى المجلس الذى كان لنا أمس (١) .

ثم يوضح الرافعى معنى هذه العبارة فيقول :

" للعلماء كلام كثير فى معنى (أما بعد) واعرابها وتوجيهها يبلغ من التحذلق أحيانا أن يكون مضحكا . و (أما) عند بعضهم اسم ، وعند بعضهم حرف ، وإذا قيل (وبعد) قالوا و ، عند بعضهم نائبة عن (أما) وهو المشهور = وعند بعضهم للاستئناف ، وعند آخرين للعطف و (أما) فى (أما بعد) حرف تفصيل ولكنها فى (أما قبل) حرف توصيل ولا يجوز عندنا أن تستعمل (أما قبل) الا فى الحب أو البغض ، فهى خاصة بالثقات النفس للذة أو ألم كمالا يجوز عندنا أن يقال منها (وقبل) كما قالوا (وبعد) لأنها حينئذ لا تكون كلمة مخترعة ، ولا تدل على أكثر من الطرفية ، وانما الاختراع وتام الإشارة وتام الطرف ، فى التركيب الذى وضعناه ، فليذكر كذلك فى اللغة ، وليكن ضمنا جديدا من أوضاعها لخصوص ما يحب ويكره دون غيرهما ويجوز أن تقول (أما قبلا) بالنصب والتنوين ، و (أما قبل) بالرفع والتنوين ، قياسا على ما أجازه القراء فى : أما بعد ، ولكن ذلك فى كلمتنا يكون ظريفا الى غاية الطرف بين الحبيبين .

وقال سيبويه فى (أما بعد) : ان معناها (مهما يكن من شىء) ونقلوا نحن فى (أما قبل) ان معناها (لقد كان ما كان) وأختلفوا فى أول من قال : أما بعد ، ف قيل انه كعب بن لؤى وقيل بل قصى بن ساعدة الخطيب وهو الأقرب .

ولا أختلاف في أول من قال : أما قيل (٢)

نرى الرافعى كعادته في ثقته بنفسه وفي مستواه العلمى يقول : ولا اختلاف في أول من قال : (أما قيل) هذه الثقة هى التى أمدته بقوة التعبير والابداع والتصوير بما توحى اليه نبضات قلبه وخفقات جوارحه ، وكأنه المح فى هذا القول فخرا ، وحقا له أن يفخر لانه أهلا لذلك .

الاساليب المجازية فى أدب الرافعى :
=====

ومن الأساليب المجازية التى تجلت فيها بلاغة الرافعى فى وصف معركة

فى مقاله (اجنحة المدافع المصرى) قوله :-

((واستجاب القدر لصوت المجد ، فالتجّ الظلام فى وضح الصباح ، وانطفأ سراج النهار فى قبة الفلك ، واطبقت نواحي الجواطباق ليلة تساقطت أركانها وأقبل - الضباب يعمتر ، اعتراخ جبل عائم يتذبذب فى بحر ، وأستأثر السحاب فتخلسى عن طبيعته السماوية الرقيقة ، وتدامرت العناصر على القتال يحترق بعضها بعضا وتغشت السماء بوجه الموت : كبح فاريد وانتفخ ، وتكسرت فيه الفضون كل عضن كسفة ظلام ، وعاد أوسع شىء أنيق شىء ، فكان الفضاء كصدر المحتضر : ليس معه الا عمر ساعة وأنفاسها (٣)))

تظهر المجازات الرافعية فى المعانى الجديدة بهذه الصورة الجميلة التى تأتى على أسلوب الاثارة والمفاجأة ثم يظهر ترتيب الكلمات وجزالتها وموسيقيتها فى عباراته (واستجاب القدر لصوت المجد) فانظر كيف جعل للمجد صوتا ، وكيف اظلمت الدنيا فى وضح الصباح (فالتجّ الظلام فى وضح الصباح) ولم يقف الأمر عند ظلمة الصباح بل جاوزه الى وسط النهار (وانطفأ سراج النهار فى قبة الفلك) انه ظلام كثيف فى هول معركة حامية الوطيس ، ثم يعقبه غمها فى قوله : (واقبل الضباب يعمتر ، اعتراخ جبل عائم يتذبذب فى بحر) صورة مجازية جديدة لان المعروف أن الجبل ثابت لا يتحرك وكأنى به يريد أن يقول أن هذه المعركة زالزل حرك حتى الجبل من مكانه وجعله يعوم ، ولم يعرف عن الجبل العوم ، وهكذا منى بخياله الخصب فى وصف المعركة لان ساعة المعركة هى الاحتضار .

(١) ، (٢) أوراق الورد - مصطفى الرافعى ص ١١٣ - ١١٤

(٣) وحى القلم - مصطفى الرافعى ج ٢ ص ٢٥٩

وكذلك في مقاله (عرش الورد) تتضح فيه هذه الظاهرة بأجلى معانيها

فاسمعه يقول في وصف عرس ابنته :-

((خرج الحلم السعيد من تحت النوم الى اليقظة ، وبرز من الخيال الى العيين وتمثل قصيدة بارعة جعلت كل ما في المكان يحيا حياة الشعر ، فالأنوار نساء ، والنساء أنوار ، والأزمار أنوار ونساء ، والموسيقى بين ذلك تتم من كل شيء معناه والمكان وما فيه ، وزن في وزن ، ونغم في نغم وسحر في سحر .

ورأيت كأنما سحرت قطعة من سما الليل ، فيها دارة القمر ، وفيها نشرة من النجوم الزهر ، فنزلت فحلت في الدار ، يتوهمحن ويأتلحن من الجمال والشعاع وفي حسن كل منهن مادة فجر طالع ، فكأن نساء الجلوة وعرسها (١)

يصور الرافعي أفراحه في يوم عرس ابنته بأنها كانت أحلاما في نفسه ، وإذا بالأحلام تتحقق وتصبح يقظة ماثلة أمام عينيه وتراى له الفرح مجسما أماما في الأنوار التي تزين الحفل ، وكل شيء ينبعث منه النور ، فالنساء أنوار ، والأزهار أنوار والموسيقى تتم كل معنى ناقص وهكذا جو من السحر والفتنة صدره انبعث - السرور من نفسه الفرحة المبتهجة بحلاوة ذلك العرس الذي شعر أن كل شيء في الكون شاركه فيه حتى النجوم والقمر نزلا من عليائهما فكانا فجرا ثانيا من الجمال والشعاع نزلا على نفسه عاطفة جديده بالفرح والابتهاج .

لقد استعمل الرافعي التشبيهات المبتكرة التي تزيد المعنى وضوحا كما في مقاله

"عروس تزف الى قبرعا" وفيه يقول :

"لقد وثقت أنه الموت ، فكان فكرما الالهى هو الذي يتكلم ، وكان وجهها كوجه العابد ، عليه طيف الصلاة ونورعا ، والروح الانسانية متى عبرت لا تعبر الا بالوجه" (٢) .

يشبه الرافعي وجه الفتاة وهي تموت بوجه العابد الذي يظهر عليه طيف الصلاة من النور وفي هذا التشبيه اكملت الصورة حيث أنه ذكر الفتاة وأداة التشبيه "الكاف" والمشبه به "العابد" ووجه الشبه نور الصلاة .

ويقول أيضا :

ولها ابتسامة غريبة الجمال ، ان من ابتسامة آلام أيقنت أنها موشكة أن تنتهي ابتسامة روح لها مثل فرح السجين قد رأى سجانا واقفا في يده الساعة يرقب الدقيقة والثانية ليقول له : انطلق (٣) شبه الرافعي ابتسامة الروح وهي تفادى الحياة فرحة ، بفرح السجين الذي يطلق من السجن - ن ، وكما أن

(١) وحى القلم مصطفى الرافعي ج ١ ص ٣٩

(٢) ، (٣) وحى القلم مصطفى الرافعي ج ٢ ص ١٤٩ .

الدنيا هي السجن لهذه الفتاة والموت هو الانطلاق من هذا السجن .
وما أخالني الا آراه تشبيها جديدا لاستقبال الانسان بالموت فلم نفسر
أن الذي يموت يستقبل الموت بابتسامة ، ثم يغادر بفرح من سجن هذه الدنيا
الى آخرة هي أوسع وأرحب .

ثم يقول أيضا :

" ثم استقبلت خالق الرحمة في الآباء والامهات وفي مثل اشارة وداع من مسافر
به القطار ، القت اليهم تحية من ابتسامتها وأسلمت الروح " . (١)

يشبه استقبال الفتاة للموت ، بالمسافر الذي سافر به القطار وهو يودع
بالوداع . .

وقد استعمل الرافعي بعض الاستعارات التي تؤدي المعنى في أبهى

صوره وأجمل معانيه وتأتى عفوية الخاطرة .

يقول الرافعي في موضوع " عرش الورد "

(ولا ح مزارا أن التاج يضحك ويستحي ~~و~~ ، كأنما عرف أنه وحده بين هذه

الوجوه الحسان يمثل وجه الورد) (٢)

ويقول في مقاله ((أيها المسلمون)) :

يصف قوة الاسلام :

" قوة تجعل الصوت نفسه حين يزجر ، كأنه يعلن الاشدية العزيزة الى الجهات
الاربعة " (٣)

استعارة عن قوة الاسلام .

وقد استعمل الرافعي الجناس والطباق في والاستعارة في بعض مقالاته :

(١) وحى القلم ، ج ٢ مصطفى الرافعي ص ١٥٠ .

(٢) نفس المراجع ج ٢ ص ٤٠ .

(٣) نفس المراجع ج ٢ ص ٢٤٢ .

فاسمعه يقول في مقاله " في الربيع الأزرق " :

" ما أصدق ما قالوه : ان المرئي في الرائي مرضت مدة في المصيف
فانقلبت الطبيعة العروس التي كانت تتزين كل يوم الى طبيعة عجوز تذهب كل
يوم الى الطبيب . . " (١)

فجده استعمل الجنس في قوله " المرئي - الرائي " والاستمارة في
قوله " الطبيعة العروس ، الطبيعة العجوز ، والطباق في قوله " العروس ،
العجوز " .

وقد استعمل الرافعي في بعض مقالاته الكناية التي تزيد المعنى وضوحا

وتلبسه بها ، وحلة جديدة وتجريه في معنى محسوس . يقول في مقالة أحلام

في قصر " :

" وكان أبوه من الأمراء الذين ولدوا وفي دمه شعاع السيف ، وبريق
التاج ، ونخوة الظفر ، وعز القهر والفلبة ، ولكن زمنه الحصار ضرب عليه ،
وأفضت الدولة الى غيره ، فتراجعت فيه ملكات الحرب من فتح الأرض الى شرا
الأرض " (٢)

فقله :

" وفي دمه شعاع السيف " ، كناية عن الشجاعة
" وبريق التاج " كناية عن العظمة والملك .
" وعز القهر والفلبة " كناية عن الأنفة والشجاعة .

(١) وحى القلم ج ١ مصطفى الرافعي ص ٥٠

(٢) نفس المرجع ص ٨٥

وهذا مثال آخر على الكناية في مقالة " أيها المسلمون " :
﴿أَرَادَ الْإِنْجِلِيزُ أَنْ يَطْمَعِنُوا فِي فَلَسْطِينَ إِلَى شَعْبٍ لَمْ يَتَعَوَّدَ قَطُّ أَنْ يَقُولَ
أَنَا . وَلَكِنْ لِمَاذَا كُنْتُمْ كُلُّ أُمَّةٍ مِنْ أَرْضِهَا بِمَكْنَسَةِ أَيُّهَا الْيَهُودُ﴾ (١)
كناية عن الطرد .

ويقول أيضا :

" ولئن كانت الحوافر تهى * مخلوقاتها ليركبها الراكب ، ان المخالب
والأنياب تهى * مخلوقاتها لمعنى آخر " كناية عن القوة .

ومن أمثلة الكناية أيضا في مقالة " السمكة " يقول على لسان الفقيه في
الموعظة :

" من دخل في مذهبنا هذا " يعنى الطريق " فليجعل على نفسه
أربع خصال من الموت : موت أبيض ، وموت أسود ، وموت أحمر ، وموت أخضر ،
فالموت الأبيض الجوع ، والموت الأسود احتمال الأذى ، والموت الأحمر مخالفة
النفس ، والموت الأخضر طرح الرقاع بعضها على بعض (يعنى لبس المرقعة
والخلق من الثياب) " (٢)

ومن أمثلة الكناية أيضا قوله : في مقالة فاتح الجوامع المصرية :
" لقد آن للشباب المصري ، فهو مخامس في ما * الصواعق . كناية عن
السحاب "

متطوح في اللغة الأزلية التي تغوص فيها الكواكب يطير بروح الشرارة
ويهبط بروح الغيث " كناية عن أجواز الفضاء "

(١) وحى القلم ج ٢ مصطفى الرافعى ص ٢٤٢ .

(٢) نفس المرجع ص ١٦٢ .

ويقول أيضا :

" وضربت باجناح مصر في الهواء ، وأعنان السماء مطوأة بالزعزع والهوجاء
والعاصف والسماء في فصلها المكفهر الذي تخلع فيه كل ساعة وتلبس وتمزق وتطوى"
كناية عن طبيعة الشتاء من الغيم والصحو وما بينهما" (١)

وتتضح أمثلة المقابلة عند الرافعى في مقالة " الانتحار "

" ولو كنت بدل ايمانك بنفسك قد آمنت بالله حق الايمان ، لسلطك الله على
نفسك ولم يسلطها عليك ، فاذا رمتك المطامع بالحاجة التي لا تقدر عليها ، رمتها
من نفسك بالاستغناء الذي تقدر عليه ، واذا جاءتك الشهوات من ناحية الرغبة
المقابلة ، جئتها من ناحية الزهد المتصرف ، واذا ساورتك كبرياء الدنيا أدلتها
بكبرياء الآخرة "

وقد يستعمل الرافعى الطباق أحيانا ولكنه يأتي عفواً والخاطف غير متكلف

مناسب للمعنى الذى وضع من أجله .

يقول :

" ما أشقى نفس الشاعر ، فانها لسموها تجهل ما هي من هذا العالم
فلا تزال تمتزج في أرضنا بكل ما يحزنها ويسرها لتعرف ما هي ، ولن يكون الشعر
العالى أبداً الا التقاء بين نفس سامية وحقيقة سامية .

ومن ثم كان الشاعر العظيم يحب ويبغض ويبضح ويبكى ويرضى ويبغض

ولا يحس من كل ذلك وما اليه الا السماء تحكم من داخله على الأرض" (٢)

(١) وحى القلم ج ٢ ، مصطفى صادق الرافعى ، ص ٢٥٤.

(٢) رسائل الأحران ، مصطفى الرافعى ، ص ٧٦ - ٧٧.

وهذا مثال يسدل على أن الجمل متساوية الفواصل وطى الطباق

فى قوله فى مقاله " وهى الروح " :

" واين كل ما صبه الشمس والكواكب من نيرانها ، وما أخرجته
فصول الأرض من وشيها وألوانها ، وما هتفت به الطير من أغاريدها وألحانها
وما تلاطمت به الدنيا من أمواج انسانها ؟ وأين ما صح وما فسد وما صدق أو
كذب ، وما ضراً ونفع ، وما علا أو نزل ؟ وفى كل لحظة تمتلئ هذه الدنيا
لتفرغ . ثم تفرغ لتمدئ ، وماضيها ومستقبلها مطرقتان يمد بينهما كل موجود
لتعطيمه " (١)

فالتباق يظهر فى قوله : فأصح - وما فسد ، وما صدق أو كذب ،
وما ضراً ونفع ، وما علا أو نزل ، تمتلئ ، تفرغ ، ماضيها ومستقبلها .

ويتضح فى أسلوب الرافعى الازدواج المتوازن . فيقول فى ذلك :
" والحياة خداع وغرور ، زيف وخطأ ، عمل وعث ، لهو ولعب ، ومهزلة وسخرية
والناس كالأرقام تخط على هذا التراب ثم يقال للعاصفة : اجمعى واطرحى
وحلى المسألة .. " (٢)

ويقول أيضا :

فى مقاله " أحلام فى الشارع "

يصف الطفلة البائسة الفقيرة وهى نائمة فى الشارع فيقول :
" نائمة فى صورة ميتة ، أو كمية فى صورة نائمة " (٣)

(١) المساكين ، مصطفى الرافعى ، ص ٥٤ .

(٢) نفس الترجمع .

(٣) وهى القلم : ج ، مصطفى الرافعى ، ص ٧٨ .

وهذا مثال - على ضرب الأمثال البارة في مقدمة المساكين . يقول

الرافعى في ذلك :

" ان من الشجرة شجرة تنبت في القفر تمتص ماءها من بين رمل وحجر ، وتمتص غذاها من لؤم الجذب ، فاذا حان ان يزهر عودها شوك فلا يكون في قده ونبرة ، الا شوك شوك ، فاذا ازدهعوها في الخصب وغضلها الماء وسأغت لها الطبيعة ، ثم حان أن يزهر عودها طسه كرم الأرض فاذا في موضع كل شوكه زهرة كأنها كلمة الحد ، وكذلك مثل الفقير بين الطحد والمؤمن ! (١)"

وهذا مثال آخر في ضرب الرافعى للأمثال المحكمة ، يقول في مقالة

" الطفولتان " عن عصمت بن الباشا الفنى المترف :

" وفي رأى " عصمت " أن أباه من علو المنزلة كأنه على جناح النسر الطائر في سبحة الى النجم ، أما آباء الأطفال من الناس فهم عنده من سقوط المنزلة على أجنحة الذباب والبصوض ! (٢)"

وقد امتاز الرافعى بالوصف الدقيق المحكم في مقاله " مسكينة مسكينة

ومن ذلك قوله يصف فتاة بائسة قد تكالبت عليها محن الحياة من ألم الفقر والجوع والبؤس وأصبحت تمشي في هذه الحياة ولا تدري الى أين المصير وما الذى تخبئه الأيام .

(١) المساكين ، مصطفى الرافعى ، ص ٢٠ .

(٢) وحى القلم ، مصطفى الرافعى ، ص ٢٠ ، ح ١

يقول فى ذلك :

" ومشت تتساقط كأن الجوع والموض يهدمان فى كل عشرة ركنا ، أو كأنه كتب على كل بائس أن يموت فى طريقه الى الموت ، وهى تنتهض من كل عشرة الى أشد منها كما تتخطى المنكبوت فى نسجها من خيط واهن يكاد ينقطع الى خيط أو هين منه ، وقد اجتمعت روحها فى عينيها فهى تسيل على نظراتها الشاردة ، وكلما امتد بها المسير قصرت مسافة النظر حتى توهمت ان الموت بادية من عينيها ، (١)"

ويقول فى الوصف أيضا :

" وكذلك أخذت سمتها الى طريق النهر ، وأضحت نيتها على الموت غرقا ، لتموت نظيفة ، وتكون لنفسها غاسلة وترسل روحها المتألمة فى دموع السماء (٢)"

ولا يعتمد الرافعى السجع فى أسلوبه الا نادرا ولكنه موافق للمعنى غير

متكلف .

يقول مخاطبا شباب مصر المتعلم فى أوروبا والمتعلق بالمدينة :

" الا ليتكم جئتم للبلاد من أوروبا بمحارث بدلا من هذه الموارث ، وجئتم بالسما بدلا من هذا الوساد . والبهايم للسواقى ، لا بالحلائل والخوانى ، وبليتكم اذا كنتم رجالا لم تغلبكم نساؤهم ، وان كنتم سيوفنا ، لم تأسرهم دماؤهم . وبليتكم لم تنعموا وتتأنثوا ، فكانت البلاد بخد متكم أهل البأس ولم تتعلموا وتتخنثوا ، فكانت الأرض على الأقل تعرف منكم أهل الفأس (٣)"

(١) المساكين - مصطفى الرافعى ص ٨٧

(٢) نفس المرجع ص ٨٦

(٣) السحاب الاحمر - مصطفى الرافعى ص ٦٧

ومن أمثلته على السجع أيضا قوله يصف فتاة يائسة :

في مقاله " مسكينة مسكينة " :

" وخرجت يوما على الناس ، وكأنها لقذارتها قطعة من الحياة البالية
مدرجة في بعض الأطمار ، وأروح من الهواء تمشى ساكنة في أردية من الغبار ،
وما تحصى الممين تلك البقع المنتشرة في ثيابها ، كأنها أرقام للفقر يعد بها
ليالي عذابها وهي - علم الله - بقع أشأم منها أنها رقع ، وقد أغبر شعرها
الفاحم وتلبد ، فكأنه بعض ما وقع على رأسها من حظها الأسود ، ولا ح من تحته
وجه كالدينار الزائف في صفته ورده ، وكالقمر المحروق في استطالته تحست
الظلام ومده . وهي فتاة طيلة قد أخذ السقام من حجمها ، كما أطفأت الأقدار
من نجمها ، وخفى من المرض في صدرها أكثر مما خفى بين الناس من قدرها
وما تعرف من اسماء الأموات والأحياء غير أسماء أهلها ، ولا تطك من الأرض كلها
أكثر من غبار نعلها ، وقد خرجت تتحامل فكما خافت في مشيها قليلا خافت
المثار ، فاستندت الى جدار فاذا رأيت ثم رأيت صورة البؤس ولكن غي غير
الطار (١) "

ومن أمثلة اقتباس الرافعي من القرآن قوله :

" انه ليجوع ويظلم وييمر ، ولكن كما يجوع الابر وتظلم الأرض وييمر

الشجر " (٢)

" قال تعالى :

" ان لك الا تجوع فيها ولا تمرى ، وانك لا تظموها فيها ولا تضحي " (٣)

(١) المساكين مصطفى الرافعي ، ص ٨٤ .

(٢) نفس المرجع ص ٤٨ .

(٣) سورة طه الآية ١١٨-١١٩ .

ومن أمثلة الاقتباس أيضا قوله :

في مقالة فاتح الجو المصرى :

" سلا ما يفتح الجو المصرى • لقد أجالت الأيام قداحها فخرجت

القرعة عليك ، وأوحى اليك آية x : بسم الله مصعدها ومجراها • " (١)

من قوله تعالى :

" وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها ان ربي لغفور رحيم " (٢)

ومن أمثلة الاقتباس أيضا قوله :

" ثم كانت عداوة بنى آدم ان قريا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل

من الآخر " (٣)

في قوله تعالى : " واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق ان قريا قربانا

فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لا قلنك قال انما يتقبل الله من

المتقين " (٤)

وكذلك قوله :

" أولسنا نرى الذين يكون كثيرا من الحكماء والجهال على السواء

يوملون أن يدركوا من أسرار الروح كثيرا ان يرون تلك الخنادق قد أخذت تمتع

فيها بالما قد فمضى وكأنهم بالامر قد قضى " (٥)

(١) وحى القلم ، ج ٢ ، مصطفى الرافعى ص ٢٥٦ •

(٢) سورة هود آية رقم ٤١ •

(٣) المساكين ، مصطفى الرافعى ص ٢٥ •

(٤) سورة المائدة آية ٢٧ •

(٥) حديث القمر ، مصطفى الرافعى ، ص ١٣ •

نفى قوله تعالى :

" وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين " (١)

ومن أمثلة الاقتباس من الحديث قول الرافعي :

" وماذا في السعادة أهنأ من أن توفى شر هذه السعادة فلا تتطلع نفسك اليها ولا ينالك الا ما تحب أن ينالك ، فأنت بعد وادع فأد آمن فسي سريك معافى في بدنك ، خارج من سلطان ما بينك وبين الناس ، من خلق مستبد أو رغبة ظالمة ، أو صلة عاتية " (٢)

عن سلمة بن عبد الله بن محصن الخطمي عن أبيه وكانت له صحبة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : من أصبح آمنا في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا " (٣)

ويظهر الاقتباس من خطبة للرسول في مقاله " لو لمال ووهم التعاسة " في قوله :

وأشقى الناس من يتوقع الشقاء وهو لا يعلم من حاضره فالله صانع به ولا من مستقبله فالله قاض فيه " (٤)

خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم :

" أيها الناس : ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم ، وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم ، فان العبد بين مخافتين ، بين عاجل قد مضى لا يدري والله صانع به وبين آجل قد بقى لا يدري ماله قاض فيه " (٥)

-
- (١) سورة هود آية ٤٤ . مسطفي صادق الرافعي ، ص ٤٢ .
 (٢) الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة المجلد الرابع - الباب (٣٤) ص ٥٧٤ تحقيق ابراهيم عطاوة عوض .
 (٣) المساكين ، مسطفي صادق الرافعي ، ص ١١٣ .
 (٤) البيان والتبيين الملاحظ تحقيق حسن الصندوقي عهد السلام هارون ج ٢ ص ٢٤٣

الرمزية في أدب الرافعى

لقد كانت ثقافة الرافعى ثقافة عربية واسعة ، وقد استطاع الرافعى بقلمه الفذ أن يجدد فى الأساليب العربية بما أوتى من قوة الحسن وارهاساق التعبير وقوة الخيال الشعرى .

على أنه كان يأتى بتمبيرات على غراء الرمزية الأوروبية ومثل ذلك قوله فى مقالة " الشيخ على فى كتابه " السحاب الأحمر " (وما زالت روح هذا الرجل منى منذ عرفته كأنها نضاجة عطر تخرج رشاشها على حياتى روحا وعبيرا أو ندى " (١) .

وقوله فى أوراق الورد :

" وفى أعماق نفسى يتصاعد الشكر بخور " (٢)

وان تصوير الرافعى ليليلج بالرمزية أقصى مداها - حتى ليشرف أحيانا بما أصابها من افراط على آفاق الرمزية الأوروبية التى تنطلق فيها طاقات الكلمات فى التعبير ، لتخلق جوا من الرمز والايحاء يقيم فيه المعنى ويصير ضبابا ، وبعض تمبيراته يمثل الرمزية الغربية ، لكن سيطرة عقل الرافعى على أدبه جعلته يتحكم فى التموير . (٣)

وللرافعى لون من القصص طريف جرى فيه على نمط كليلة ود منه وقد ورد ذلك له ضمن مقالات تسع كتبها الرافعى فى الخصومة التى وقعت بينه وبين طه حسين وهى مشته فى كتاب الرافعى " تحت راية القرآن " وعناوينها

(١) السحاب الأحمر ، مصطفى الرافعى ، ص ١١٤ .

(٢) أوراق الورد ، مصطفى الرافعى ص ١٢٢ .

(٣) الرمزية فى الأدب العربى ، درويش الجندى ، ص ٤٨٠ .

- فلما أدركه الفرق ص ١٧٤ - واضرب لهم مثلاً (ص ٢٣٣) -
- وأعمالهم كرماد اشتدت به الريح (ص ٢٧٦) - وقال د منه (ص ٢٩١)
- وحرية التفكير (ص ٣٤٦) - وذو الأفتال (ص ٣٣٠) - وسلم لفظاً
- لا معنى (ص ٣٤٨) - والمجدد الجري* (ص ٣٦٩) .

ان هذه الأمثال يضربها الرافعى على سبيل التهكم بخصومه ولو جردت هذه القصص بما يتصل بها من الكلام الصريح فأنها تأخذ الشكل الرمزي الموضوعى الكامل .

على أن ذلك القصص قد تكلمت رمزيتة فى موضوع واحد أنشأه الرافعى بعنوان " كهر الذبابة" ^(١) فى وهى القلم ص ٢٢١ التى يعنى بها مصطفى كمال وحركته الدينية .

ومن أمثلة سخرية الرافعى بخصومه على لسان كليلة ود منه فى مقالته " ذو الأفتال " تظهر سخريته من طه حسين بأسلوب الرمزية وكيف أن الحوادث تنقل طه حسين من منزلة الى منزلة وهو يخف فى يدها ولا يثقل به رأى ولا يرجح له عقل ثم يقول على لسان د منه :

" غير أن نسختي " من كليلة ود منه " ليست بليدة ، فقد رجعت اليها الساعة فاذا الماكر د منه يقول : ولا يغرنك أنك على ثقة من غفلة من حولك . فانك ان لم تكن على مسافة بعيدة من عاقبة غفلتهم فأنت على مسافة دانية من عاقبة مكرك . وان القدر ان خلاك فلا يفلتك من يمينه الا لياخذك بيساره ، فلا تستتم الى مسافة ما بين القبضتين اذا كان ما من الوقوع فى أحدهما بد " ^(٢)

(١) الرمزية فى الأدب العربى ، درويش الجندى ص ٥٥٠ .

(٢) تحت راية القرآن ، مصطفى الرافعى ص ٣٢٢ .

وأسلوب الرافعى لا يفهمه من يقرأه للمرة الأولى فيزداد القارىء شغفا
وحبا ومعرفة لقراءة النص مرات ومرات وفى كل مرة يشعر القارىء بالاستمتاع ،
فالرافعى طريقته متميزة فى كتاباته ويقول الأستاذ أنيس المقدسى عنه :
" ولقد حاولت أن أقابله ببعض الكتاب الأقدمين وعثا حاولت ذلك فليست
طريقته طريقة صدر الاسلام وطريقة البساطة المحكمة الإيجاز ، ولا هو كاسن
المقنع فى أسلوبه السهل الممتنع ، أو الجاحظ فى بيانه المتوازن ، ولا هو
يجرى مجرى أهل الصنعة من المترسلين أمثال القاضى الفاضل ، بل يجمع
أطرافاً من كل ذلك ويسلك بها طريقة خاصة كل ما يمكن أن يقال فيها أنها
رافعية .

ولو سئلت أن أصف الطريقة الرافعية ، لقلت أنها أشبه برجل مصعد فى
جبل صعب المرتقى لا يكاد يبلغ غايته حتى يكون قد نضح عرقاً وشغلته وعورة
المسالك عن التمتع بجمال المناظر" (١)

ولكنى أرى أن وعورة المسالك قد تشغله حيناً عن التمتع بجمال المناظر
وعند ما يستريح تدعوه الأفكار الرافعية متحدية منادية لقراءتها مرة ومـرات
الى أن يعرف ما لم يفهمه فى المرة الأولى .

(١) الفنون الأدبية وعلامها فى النهضة الأدبية وعلامها . تأليف أنيس

والرافعى يحثل بقلمه الفذ ، وأفكاره الجيدة تراثا خالدا تظهر فيه روح
الأديب المسلم ، بالأسلوب المتميز بالثقافة الواسعة وجزالة الأسلوب والتفرد
بين أديبا عصره بالفلسفة العميقة ، وإن كان البعض يرى هذا عيبا ، ولكن
قد يكون ذلك من المحاسن لأن أسلوبه يرتفع عن أسلوب المثقف العادى .
فمن أراد أن يقرأ له عليه أن يتأبر ويصعد اليه ، عندها لن يضع اللوم على
أسلوبه الذى شرع فيه لونا من البيان بين جزالة الأسلوب وفحوله الملفظ . ومن
الوقوع على المعانى الغريبة التى تثير فى النفس عجباً ، وتشيع فيها طرباً
فكان فى بياضه نسيج وحدة ، وهو يعد بحق من أوائل من بعثوا النهضة الأدبية
فى العصر الحديث . .

الإبواب الثالث

أرب الرافعي

الفصل الأول : آثاره العامية
الفصل الثاني : آثاره الأدبية
الفصل الثالث : أحاديثه وفصائله
الفنية ، مع التمهيد له بطلوع الأرباب
وتحررها من الصناعة اللفظية
التي غلبت على الأرب في العصر
العثماني

الفصل الأول

مقالاته في الإصلاح الديني

الإشراق الإلهي وفلسفة الإسلام

تناول الرافعي هذا الجانب بمبقرته الفلسفية ، وقد أسدى خدمة عظيمة للدين الحنيف ، بمقالاته الإسلامية التي تفيض إيماناً عميقاً ، وعقيدة صادقة ، وذلك بما أوضحه من إشراق الإسلام المضيئة ، ونبعه الصافي ، وإن سمو أدب الرافعي بلا ريب يمثل أدب الفكر الإسلامية فيلسف الإشراق الإلهي والإسلامي بقوله :

((كما تطلع الشمس بأنوارها فتفجر ينبوع الضوء المسمى بالنهار ، يولد النبي فيوجد في الإنسانية ينبوع النور المسمى بالدين وليس النهار إلا نقطة الحياة تحقق أعمالها ، وليس الدين إلا نقطة النفس تحقق فضائلها))
والشمس خلقها الله حاملة طابعه الإلهي ، في عملها للمادة تحول به وتفسير ، والنبي يرسله الله حاملاً مثل ذلك الطابع في عمله تترقى فيه وتسمو .

ورعشات الضوء من الشمس هي قصة الهداية للكون في كلام من النور ، وأشعة الوحي في النبي هي قصة الهداية لإنسان الكون في نور من الكون والعامل الإلهي يعمل في نظام النفس والأرض بأداتين متشابهتين :

أجرام النور من الشمس والكواكب ، وأجرام العقل من الرسل والأنبياء (((١) .

((وحين أنطفت شمس التوحيد في مشارق الأرض ومغاربها ، وأوشك الظلام الكثيف أن يطبق على العقل ، ولم يمد هناك غير قلة قليلة من الغرباء

للموحدين ، شاءت رحمة الله تعالى أن تبعث بآخر رسالات السماء النبي
الأرضى ووسط كآبة الحياة وليلها الموحش - جاء شمس الانبياء محمد
صلى الله عليه وسلم (((١) ،

جاء ليوقظ أبصار قوم عن المجد نوم ، بعد ليل مطبق بالجهل جاءت
هذه الرسالة تحمل معها النور والهداية والأستقرار للأمة ، وهذه الرسالة
ما هي الا رحمة للعالمين كما قال تعالى :-

((وما أرسلناك الا رحمة للعالمين)) (٢) .

رحمة من السماء تطرخيرا على أمة مجدبة أهلكتها الجهل وضعفها التشرد
أمة بلا وجدان تمشي بلا دليل ولا هدى ولا غاية ، ولكن ما أن جاء هذا النبي
للإنسانية الا ليحقق فضائلها ، وقد سما بالبشرية نحو الأفضل ، بدين الاسلام .

هذا هو الرافعي المسلم الذي يكتب عن الاسلام ويجعل كل مبهم
على المسلمين نهارا للإنسانية ، يملأها نورا وعدلا ويقظة وحياة تحقق أهداف
الانسانية وفضائلها عن طريق الرسول - صلى الله عليه وسلم - أمين بعثه
الله في الأمة الإسلامية لهدايتها وارشادها عندما كادت الدنيا تموت عطشا
الى الحب والرحمة والعدالة فما أعذب هذا المنهل العذب الصافي الذي تركه
صادق الرافعي على مر الاجيال هداية وارشادا لمن أراد أن يضع غطاء الاشراق
الالهى الذى عم الكون ودخل النفوس فأنارها وبدد ظلماتها بشمس معتدة من
السماء لتستمد ضوءها من نور السموات من الله جل جلاله ومن الانبياء والرسل .
وبعد ذلك يتحدث الرافعي عن بلاغة النبي - صلى الله عليه وسلم -

(١) انبياء الله أحمد بهجت ط ٣ ص ٣٧٠

(٢) سورة الانبياء الاية (١٠٧) .

وفته البلياني ، وكيف أن هذا الرسول هو الشخص المفسر إذا تصسف الناس الحياة ولا يدرون الى أين يتجهون ولا كيف يهتدون فيحدث الاضطراب في البشرية والتهالك على أطماع الدنيا .

فتظهر الآداب العالمية في هذا النبي أبلغ وأعلق لتسيير هذا الكون المضطرب بنظام دقيق ، وفق قوانين الطبيعة وأحوالها المتجددة أن أن هذه حقيقة الاسلام في أخص معانيه لا يغنى عنه دين آخر فهو دين المساواة والحرية والفضيلة للنهوض بمجتمع قوى كريم يقوم على التعاطف والتراحم والتواد ——— ضرورة وجود القوة بهذا الأسلوب القوى الجزل الرصين يقول الرافعي : —

" وهو دين يعلو بالقوة ويدعو اليها ، ويريد اخضاع الدنيا وحكم العالم ويستفرغ همه في ذلك ، لا لأعزاز الأقوى وانزال الاضعف ولكن للارتفاع بالأضعف الى الأقوى ، وفرق ما بين شريعته وشريعة القوة ، ان هذه انما هي قوة سيادة الطبيعة وتحكمها أما هو فقوة سيادة الفضيلة وتغلبها ، وتلك تعمل للتفريق وهو يعمل للمساواة ، وسيادة الطبيعة وعملها للتفريق هما اساس العبودية ، وظلة الفضيلة وعملها للمساواة هما أعظم وسائل الحرية " (١)

ان الرافعي يصف هذا الدين بالعلو والقوة التي يدعو اليها ولا يخضع هذه الدنيا وتخليصها من الفوضى والاضطرابات التي يعيشها وانصافا لكل مظلوم والأخذ بيده لجعله قويا وجعل الناس سواسية أمام أحكام الله وهذا هو الفرق بين شريعة الطبيعة السائدة قبله وتحكمها للعبودية والاضغاع والانزال بين شريعة الاسلام وسيادته للمساواة والفضيلة التي تأتي عن طريق الترغيب للمؤمن وجعل الضمير الإنساني في بقطة مستمرة وأن المسلم يعلم علم اليقين أنه بيمين قبضتي الله عز وجل وأنه سبحانه أقرب اليه من الوريد ولقد دار الرافعي في هذا الفلك من هذه المعاني .

وفي ذلك يقول :

” ومن هنا كان طبيعيا في الاسلام ما جاء به من أنه لا فضيلة الا وهو يطبع عليها صورة للجنة ونعيمها الخالد ، ولا رذيلة الا وهو يضع عليها صورة النار الابدية وقودها الناس والحجارة ، فلا تنظر العين المسلمة الى أسباب الحياة نظرة الفكر المنازع ، يحرص على ما يكون له وما يشره الى ما ليس له وبمكر الحيلة ، ويبدع وسائل الخداع ، ويزيد بكل ذلك في تعميق الدنيا الى نظرة القلب السالسم يخلق الدنيا ويسخر بكل مضمون فيها فيعف عن كثير ويعرف الإنسانية ويطمع في غاياتها العليا فيعفو عن كثير ويدرك أن الحلال وإن حل وراى حسابـــــــــــــــــه وأن الحرام وإن غر ليس الا تعلل ساعة ذاهبة ثم من وراءه عقاب الابد^(١) . فمن طريق الترغيب في الحلال والاسراع اليه ، والابتعاد عن الحرام وتجنبه ، يتحدث الرافعي عن الملوك للذين يكتبان أعمال الإنسان بخيرها وشرها ، فالإنسان إن لم يحس حرا يفعل كما يشاء لان الله وضع له قيودا وملائكة تحصى عليه أعماله ، وتسجلها عليه حتى يكون كل ما في الإنسان يريد أن يحارب الضلال بكل ما فيه حتى تتجنب النفس البشرية كل طريق يؤدي الى الشهوات التي تؤدي بالبشرـــــــــــــــــه في طريق الهاوية .

ويقوم الرافعي بقلبه دور المصلح الاجتماعي الذي يقرر حقيقة اجتماعية وهي أنه لن يعم السلام في روح الاسلام بصفاتها وقوتها على العالم الذي يعاني من المصائب التي تجعل البشرية في خطر دائم وهم ثقيل ، وحزن متواصل وفي ذلك يقول :

” فليس يعم السلام الا اذا عم هذا الدين بأخلاقه فشم الأرض أو أكثرها فان قانون العالم حينئذ يصبح منتزعا من طبيعة التراحم فاما انتسخ به قانون التنازع الطبيعي ، واما كسر من شرته ، ويولد المولود يومئذ وتولد معه الاخلاق

الإنسانية ، والا سلام يحرض أشد الحرص وأبلغه على تقرير ذلك المعنى الالهي العظيم لا بالمنطق ، ولكن بالعمل ، ثم في النفس وعواطفها لا في العقل وآرائه ثم على وجه التعميم ، دون الاستثناء والخصوص ، وذلك هو سر مشقته على النفس بما يفرضه عليها ، فان فلسفته أن هذه النفس هي أساس العالم وأن العمل هو أساس النظام ، وأن روح العمل الدائم تكون فيما يشق بعض المشقة ولا يبلغ العسر والحرَج كما تكون فيما يسهل بعض السهولة ولا يبلغ الكسل والاهمال (١)

ثم يكتب عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومكانته التي حباها الله بها بين سائر البشر فيظهر حب الرافعي المسلم العميق للرسول - صلى الله عليه وسلم - ويناجيه بأسلوب جميل ويبين هذه المكانة في ذكره في الصلوات خمس مرات في اليوم حتى لا ينقطع المسلمون عن نبينهم يردون ذكره وبتريده ذكره كأن الاسلام ما زال في أول اشراقه هذا الاشراق يضيء في نفس كل مؤمن حتى كأنه المسلم الأول في صدر اسلامه ، وشتان بينه وبين مسلم اليوم انه مسلم ضعيف تكالبت عليه قوى الشر ، واتباع الشيطان وقلق النفس وحيرتها لذلك وجدت قوى الشر مستنقما خصبا في نفسه لتضع أوزارها ، وتنمو هذه الأوزار ولا تجد من يبيدها ، ويظهرها ما يعلق بها فلو أتبع الناس ما ينصح به الرافعي لاستطاعوا أن يقاوموا قوى الشر فهذا نداء الرافعي المسلم يقول :

" ايها المسلم !

لا تنقطع عن نبيك العظيم ، وعش فيه ابدا ، واجعله مثلك الأعلى وحين تذكره في كل وقت فكن بين يديه ، كن دائما المسلم الأول ، كن دائما ابن المعجزة (٢) هذه النصيحة التي أختتم الرافعي بها " فلسفة الاسلام " الدعاء يطهر النفس وذكر الرسول - صلى الله عليه وسلم - يعني نمو الاعمال الصالحة وتزايدها ، وذلك يقودها الى طريق الخير والحق التي تصبوا اليه كل نفس . .

(١) وحى القلم - مصطفى الرافعي ج ٢ ص ٨-٩

(٢) نفس المرجع ج ٢ ص ١١

اليامان

في فلسفة

المغازى والفتوحات الاسلاميه

=====

لقد تناول الرافعى الفتوحات الاسلاميه ولكنه جاء بحوار قصصى استقى مادته التاريخيه من تاريخ الواقدي ودار الحوار بين شخصيات القصة أرمانوسه بنت المقوقس التي اراد أن يزوجهها الى (قسطنطين بن هرقل) واستاذتها ماريه ، والراهب شطا والقائد عمرو بن العاص فاتح مصر ذي الشخصيه العظيمه التي هي مثال لشخصية القائد الفاتح في شجاعته واخلاقه وبطولته يقول فى ذلك :

" وكان من عجائب الله أن الفتح الاسلامي جاء في عهده ، فجعل الله قلب هذا الرجل مفتاح القفل القبطي ، فلم تكن أبوابهم تدافع الا بمقدار ما تدفع تقاتل شيئا من قتال غير كبير ، أما الأبواب الروميه فبقيت مستغلقة حصينه لا تدعن للتحطيم ، وراءها نحو مائة الف رومي يقاتلون المعجزة الاسلاميه التي جاءتهم من بلاد المرب أول ما جاءت في أربعة الاف رجل ، ثم لم يزيدها آخر ما زادوا على اثني عشر الفا ، كان الروم مائة الف مقاتل بأسلحتهم ولم تكن المدافع معروفه ولكن روح الاسلام جعلت الجيش المربي كأنه اثنا عشر الف مدفع بقنابلها لا يقاتلون بقوة الانسان بل بقوة الروح الدينيه التي جعلها الاسلام مادة متفجرة تشبه الديناميت قبل أن يعرف الديناميت !

ولما نزل عمر بجيشه على بلبيس ، جرعت ماريه جزعا شديدا ، إذ كان الروم قد أرجفوا أن هؤلاء العرب قوم جياع ينفضهم الجذب على البلاد نفخ الرمال على الاعين في الريح العاصف ، وأنهم جراد انساني لا يفزوا الا لبطنه وأنهم غلاظ الأكهار كالابل التي يمتطونها ، وأن النساء عندهم كالذباب يرتبطن على

خسف ؟

وأنهم لا عهد لهم ولا وفاء ، ثقلت مطامعهم وخفت أمانتهم وأن قائدهم عمرو بن العاص كان جزارا في الجاهلية ، فما تدعه روح الجزار ولا طبيعته ، وقد جاء بأربعة آلاف من أخطا الناس وشذاذهم لا أربعة آلاف مقاتل من جيشه له نظام الجيش ! (((١)

هذه الصورة المشوهة التي كانت تدور في رؤوس الروم حين الفاتحين المسلمين ان الروم لم يسمعوا الا بالحروب فقط ولكن حقيقة هذا الدين لهم يعرفوها أجل انهم لم يعرفوها لو عرفوها لتأكدوا أن قواد المسلمين والجيش الاسلامي أنهم فوق مطامع الدنيا وشهواتها وأن اثني عشر رجلا يقفون أمام مائة مقاتل بقوة متفجرة ليهي المعجزة على قوة هذا الدين وعلى تأيد الله له ونصره الى أن تقوم الساعة .

عندما سمعت ماريه بأخلاق الفاتحين في الصورة التي صورها اعداؤهم حزنت حزنا شديدا فقالت لها ارمانوسه :

((اتت واهمه ياماريه ، أنسيت أن أبي قد أهدى الى نبيهم بنت (أنصنا) فكانت عنده في ملكة بعضها السماء وبعضها القلب ؟ لقد أخبرني أبي أنه بعث بها لتكشف له عن حقيقة هذا الدين وهذا النبي وأنها أنفذت اليه دسيسة يعلمه أن هؤلاء المسلمين هم العقل الجديد الذي سيضع في العالم تمييزه بين الحق والباطل ، وأن نبيهم أظهر من السحابة في سمائها ، وأنهم جميعا ينبعثون من حدود دينهم وفضائله ، لا من حدود انفسهم وشهواتها وإذا سلو السيف سلوه بقانون وإذا اغمدوه اغمدوه بقانون وقالت عن النساء لأن تخاف المرأة على عفتها من أبيها أقرب من أن تخاف عليها من اصحاب هذا النبي ، فانهم جميعا في واجبات القلب وواجبات العقل ويكاد الضمير الاسلامي في الرجل منهم ، يكون حاملا سلاحا يضرب صاحبه اذا هم بمخالفته .

وقال أبى : انهم لا يقيمون على الأسم ، ولا يحاربونها حرب الملك ، وانما تلك طبيعة الحركة للشريعة الجديدة ، تتقدم فى الدنيا حاملة السلاح والاخلاق قوية فى ظاهرها وباطنها ، وفى وراء أسلحتهم أخلاقهم ، وبذلك تكون أسلحتهم نفسها ذات أخلاق !

وقال أبى : لها ان هذا الدين سيندفع بأخلاقه فى العالم اندفاع العصاة الحية فى الشجرة الجرداء ، طبيعة تعمل فى طبيعة ، فليس يمضى غير بصيد حتى تخضر الدنيا وترمى ظلالها ، وهو بذلك فوق السياسات التى تشبه فى عملها الطاهر المطلق ما يمد كطلاء الشجرة الميتة الجرداء بلون أخضر . . شتان بين عمل وعمل ، وان كان لونه يشبه لونا (١) .

قد أبدع الرافعى فى الحوار بين ماريه وارمانوسه بأسلوب أدبى ومعانى جميلة صور بها هذا الدين بما يستحقه من تقدير واجلال ان صور المسلميهم بأنهم العقل الجديد الذى يفرق بين الحق والباطل صورة رائعة فى ثوب جميل يبقى أهدالدهر من حيث انبعث المسلمين على الفضائل واشهار سيوف الحق من غمدها فى وجوه أعداء الحق ولتدمر الباطل والظلمة وفوضى الحياة وهمجتها بسلاح فى ظاهره سلاح ولكن فى باطنه أخلاق لتغير عقول ونفوس تعيش فى وهم الباطل والفساد وما حملت الاسلحة الا لاجل الحق مكان الباطل ولو استجابوا أعداء الدين للدين لما استعمل المسلمون السلاح ولكن عندما تقف قوة من الباطل أمام الحق تنازله ليس هناك سد من الحرب .

وما اجمل الرافعى الذى يصور لنا الدين كأنه عصاره فى شجرة جرداء هذه الشجرة كبره ممتدة الفروع تظلل العالم الذى تنتشر فيه بثمارها وخيرها العميم .

ويسترسل فى حوار مصورا حقيقة التكبير فى نفوس القبط فيقول :

((ورجعت بنت المقوقس الى أبيها فى صحبة (قيس) فلما كانوا فى الطريق وجبت الظهر ، فنزل قيس يصلى بمن معه والفضاتان تنظران ، فلما صاحوا " الله أكبر ")

ارتعش قلب ماريه ، وسألت الراهب (شطا) ماذا يقولون ؟
 قال : ان هذه الكلمة يدخلون بها صلاتهم ، كأننا يخاطبون بها الزمن أنهم
 الساعة في وقت ليس منه ولا من دنياهم ، وكأنهم يعلنون أنهم بين يدي من هو
 أكبر من الوجود ، فإذا أعلنوا انصرافهم عن الوقت ونزاع الوقت وشهوات الوقت
 فذلك هو دخولهم في الصلاة ، كأنهم يحسون الدنيا من النفس ساعة أو بمسح
 ساعة ، ومحوها من أنفسهم هو ارتفاعهم بأنفسهم عليها ، انظري ، الا ترين هذه
 الكلمة قد سحرتهم سحرا فهم لا يلتفتون في صلاتهم الى شيء ، وقد شطبتهم
 السكينة ، ورجعوا غير من كانوا ، وخشعوا خشوع أعظم الفلاسفة في تأملهم ؟ (١)
 ما أبدع تصوير الراهب لبدن المسلمين الصلاة ووقوفهم خاشعين بين يدي
 الله وترك الشهوات والمطامع ونسيان كل شيء في الدنيا والارتفاع بالنفس والسمو
 بها من الماديات الى الروحانيات في اتصال الانسان بخالقه وقد علمت هذه الكلمة
 التي هي ايدانا بدخولهم الى العالم الآخر عطشها في النفوس والقلوب من طمانينة
 وخشوع ثم يوضح الراهب لأرمانوسة هذه الحقيقة لهذا الدين الى أن قال : ((ولكن
 هؤلاء المسلمين متى فتحت عليهم الدنيا وفتنوا بها وانغمسوا فيها - فستكون
 هذه الصلاة بعينها ليس فيها صلاة يومئذ (((٢))

هذه حقيقة يقرها الرافعي على لسان الراهب شطا ان الدنيا فتحت بسواعد
 وقلوب وأرواح المجاهدين الفاتحين ولولا أنهم كانوا يملكون هذه الروح لمسا
 استطاعوا أن يحققوا ما حققوا ولكن ما حدث هو بعد فتح الهندال وبعد الزمن
 الطويل الذي يفصل المسلمين الاوائل عن هذا الزمن الذي نحن فيه أن المسلم
 أصبح مسلما بالاسم فقط لكن قلبه روحه كيانه وجدانه في ملذات الحياة فسي
 الماديات في الشهوات في عدم اشباع النفس ان الماديات لا تشبع النفس الشره
 الطامعه لانها كلما أفاء الله عليها من النعم زادت الى المطالب من جديد .

(١) وحي القلم - مصطفى الرافعي ج ١ ص ٢٤ - ٢٥

(٢) " " " " " " ج ١ ص ٢٥

وأصبحت الصلاة بمعيشتها ليس هي الصلاة كيومئذ المسلم اليوم ان صلى تدور فـى
رأسه مئات وآلاف الأفكار لا يدري ما يقول فى صلاته . . هذا ان صلى وعرف
واجهه تجاه خالقه ، وان لم يصل وهنا الكارثة أنشغل أكثر وأكثر .

وهذا لا ينطبق على المسلم الحقيقى كما أراد الله له فهناك الصالحون
وهناك الخاشعون كما قال تعالى :-

((الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب)) (١)

الرافعى والأحداث الإسلامية الكبرى

فوق الآدمية

الاسراء والمعراج

=====

جعل الرافعى لمعجزة الاسراء والمعراج عنوانا فوق الآدمية نعم ان —
معجزة الاسراء والمعراج معجزة الهية هي فوق الآدمية لان الآدمية لها عقل
محدود وحواس محدودة وطاقات معينة تعمل في حدود امكانياتها ومن هنا تظهر
المعجزة لانها أكبر من تصور الآدمية وتفكير وطاقاتها وهنا الاعجاز يستهمل
الرافعى مقاله في فلسفة الاسراء والمعراج بهذه البراعة الساحرة في الاستهلال
فيقول :

" وكيف يستوطى * المسلمون العجز ، وفي أول د ينهم تسخير الطبيعة ؟
كيف يستمدون الراحة ، وفي صدر تاريخهم عمل المعجزة الكبرى ؟ كيف
يركعون الى الجبل وأول أمرهم آخر غايات العلم ؟ كيف لا يحملون النور للعالم
ونبيهم هو الكائن النوراني الأعظم ؟ (١) .

ثم ذكر أن قصة الاسراء والمعراج من خصائص نبينا محمد — صلى الله
عليه وسلم — الذى جاء لهداية العالم وانقاذه من براثن الشرك والضلال ويظهر
أسلوب الرافعى المفسر اللغوى للقرآن بالأسلوب الرفيع وبصوره جديدة للادب —
القيم وفي ذلك يقول :

" وقد حار المفسرون فى حكمه ذكر " الليل " فى آية " الاسراء " من قوله
تعالى (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى
الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا " .

فان السرى فى لغة العرب لا يكون الا ليلا .

والحكمة هى الاشارة الى أن القصة قصة (النجم) الانسانى العظيم الذى تحول من انسانيته الى نوره السماوى فى هذه المعجزة ، ويتم هذه المعجزة أن آيات " المطرايح " لم تجىء الا فى سورة " والنجم " .

وعلى تأويل أن ذكر (الليل) اشارة الى قصة النجم . تكون الآية برهان نفسها ، وتكون نسقها قد جاءت معجزة من المعجزات البهائية ، فاذا قيل ان نجما دار فى السماء ، أو قطع ما تقطعه النجوم من المسافات التى تعجز الحساب ، فهل فى ذلك من عجب ؟ وهل فيه شك أو نظر أو تردد ؟ وهل هو الا من بعض ما يسبح الله بذكره ؟ وهل يكون الا آية اتصلت بالآيات التى نراها اتصال الوجود ببعضه ببعض ؟

وان ما يكاد ينقضى عجبى له من قوله تعالى : " لنرى من آياتنا " — أن الالفاظ كما ترى مكشوفة واضحة ، يخيل اليك أن ليس وراءها السر الأكبر فانها بهذه العبارة نص على اشراق النبى (صلى الله عليه وسلم) فوق الزمان والمكان يرى بغير حجاب الحواس ما مرجعه الى قدرة الله لا قدرة نفسه ، بخلاف ما لو كانت العبارة (ليرى من آياتنا) فان هذا يجعله لنفسه فى حدود قوتها وحواسها وزمانها ومكانها ، فيضطرب الكلام ، ويتطرق اليه الاعتراض ولا تكون ثم معجزة . وتحويل فعل (الرؤية) من صيغة الى صيغة كما رأيت وهو بعينه اشارة الى تحويل الراى من شكل الى شكل كما ستعرفه ، وهذه معجزة أخرى يسجد لها العقل ، فتبارك الله منزل هذا الكلام (١) .

ثم يتطرق الى الروح وكيف أنها تسو بصاحبها وترفعه الى أعلى الدرجات ويوضح أن الأنبياء لديهم روح أقسرب الى الروح الملائكية وذلك لأنهم حطة رسالة ودعاة اصلاح أتوا الى العالم ليغيروا ما به من فساد فلا بد أن تكون لديهم

قوة باطنة ولولاها ما أستطاع الانبياء أن يحتملوا هموم كاملة دون تعب أو ملل أو ضيق أو تهرم بما أوكل اليهم ثم ذكر الرافضى الاختلاف فى الأحاديث وأنها وقع فيها تخليط كثير ، فجاءت فنونا وأنواعا من طرق شتى ، وهو لا يرى فى ذلك بأسا ، طالما أن الأصل معنى واحدا وهو يمد من يمينه ويساره ، ويعتبره اجتهدا من العلماء يشدون به الرأى ويضاعفون منه اليقين ، ويزيدون المعنى نورا واشراقا ووضوحا . ما دام أن الأصل مثبت فلا حرج فى تأييد الأقوال بعضها بعضا .

ثم يذكر وش القصة وطرازها فيقول :

" ومن هذه الرموز الهدىعية قوله : فجاءنى جبريل باناء من خمز وانا من لبن ، فأخذت اللبن ، فقال جبريل : أخذت الفطرة وأنه مر على قوم يزرعون - ويحصدون فى كل يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان ، فسأل ما هذا ؟ قال جبريل : هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله ، تضاعف لهم الحسنه سبعمائه ضعف ثم أتى على قوم ترضح رؤوسهم بالصخر ، كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك فى شئ " ، فقال ما هذا ؟ قال جبريل : هؤلاء الذين تتناقل رؤوسهم عن الصلاة - ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نخبج فى قدر ، ولحم آخر نى فى قدر خبيث ، فجعلوا يأكلون من النى الخبيث ويدعون النخبج ، فقال ما هؤلاء ؟ قال جبريل : هذا الرجل تكون عنده المرأة الحلال الطيب فيأتى امرأة خبيثة ، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتأتى رجلا خبيثا . ثم أتى على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها ، فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الرجل تكون عليه أمانات الناس لا يقدر على أدائها وهو يريد أن يحمل عليها . ثم رأى نساء معلقات بثدييهن ، فسأل ، فقال جبريل : هؤلاء اللاتى ادخلن على الرجال من ليس من أولادهن " (١)

ثم يتفق الرافعى مع جمهور العلماء من أن الاسراء والمعراج كانا بالجسم والروح معا ، ويحلل آيه من سورة النجم تحليل دقيق يثبت بها أن الاسراء والمعراج كانا بالروح والجسد معا ويدل التحليل على ثقافته الدينية ومعرفته الدقيقة لتفسير آيات القرآن يقول فى ذلك :

" ونحن على رأى الذى عليه جمهور العلماء : من أن الاسراء والمعراج كانا بالجسم والروح معا على التأويل الذى سنبينه ، ويثبت ذلك قوله تعالى فى سورة (والنجم) : " ان يفش السدوة ما يفضى ، ما ذاغ البصر وما طفى " ، فلا يكون البصر يزيغ ويطفئ الا فى الجسم ، ولا ينتفى عنه ذلك الا وهو فى الجسم ولم يتنبه أحد من المفسرين الى المعنى المعجز العجيب فى قوله : (وما طفى) فذلك نص على أنه كان يرى بجسم قد تحول عن الطبيعة الآدمية المحدودة فليس فيه منها شىء ، ان لا يكون طفيان البصر الا من تسلط الخيال عليه بأهـواـ الجسم التى لا يستقيم بها حكم على حقيقته ، فما زاغ البصر بكونه مقيد الحاسة ولا طفى بكونه مطلق الخيال ، بل كان كما يراه الله من آياته ، أى كان حقيقة كونية فى غير حالتها الأرضية الناقصة (١) .

ثم أوضح أقوال العلماء الذين قالوا بأن الاسراء والمعراج كانا رؤيا رآها النبى (صلى الله عليه وسلم) وفى ذلك يقول :

" والذين قالوا ان الاسراء والمعراج كانا رؤيا رآها النبى (صلى الله عليه وسلم) ؟ احتجوا لذلك بقوله تعالى : " وما جعلنا الرؤيا التى أرىناك الا فتنة للناس " وقد خلط المفسرون فى هذا أيضا ، وانما كان التعبير بلفظ " الرؤيا " وهى التى تكون مناما — لنفى تأثير الحواس على الرأى ، واثبات أن الطبيعة الآدمية بجملتها كانت فيه كالنائمة عن حياتها الأرضية بحقائقها وأخيلتها معا ، فليس

نائما كالنائم ، ولا مستيقظا كالسقيط وفي أساس القصة جبريل والبراق ، وهما
القوة الملائكية والقوة الطبيعية ، أو الروح الملائكي والروح الطبيعي ، ولم يوصف
البراق بأنه دابة الا رمزا ، ان لا يأتي للمرب أن يفهموا ما يراد منه ، وعندنا
أنه سمي البراق من البرق وما البرق الا الكهرباء ، وهذا هو المراد منه ، فذلك
قوة كهربائية متى نبضت جمعت أول العالم بآخره ، وهذه هي الحكمة في أن آية
الاسراء لم تذكر أنه كان محمولا على شيء ، ان لم يكن محمولا الا على روح الاثير (١)
في كتابة الرافعي لقصة الاسراء والمصراع تتضح ثقافته الدينية المستنيرة
على ضوء الروح المتعمقة فيها الاصاله الدينية وتظهر شخصيته الادبية العملاقة
في موضوع اختلف فيه العلماء فوضح آرائهم واحتجاجاتهم وعلل وفسر
بالبراهين والأدلة من آيات الكتاب الكريم والاحاديث النبوية الشريفة .

وحى الهجرة

=====

تحدث الرافعى فى هذا المقال عن نشأة الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى مكة وأنه أنزل عليه الوحي وعمره أربعون سنة ، وكانت بداية الاسلام بثلاثة بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وزوجته خديجة ، وابن عمه على بن أبى طالب ثم بدأ النبو فى الاسلام ~~بمكة~~ الحرا بوبكر الصديق والعبد يستلال ثم بدأ الاسلام ينتشر ببطنى ، وكان التاريخ واقف فى مكانه .

وعندما هاجر الرسول - صلى الله عليه وسلم - كانت الخطوة الأولى فى سبيل نشر الدعوة ، وقد أرخ عمر بن الخطاب بأول خروج فى سبيل الله ومنها بدأ التاريخ الهجرى وبها بدأت الدنيا تتحرك وكانت خطوة ايجابية فى الاسلام خطاها على الأرض ولكن معانيها أعمق ان خطت فى التاريخ على مر السنين والاعوام وكانت سجلا خالدا فى الاسلام ولم تكن المسافة بين مكة والمدينة فقط ولكنها كانت بعد لك الى المشرق والمغرب .

ثم يصور الرافعى موقف الرسول صلى الله عليه وسلم عندما دعا العرب الى الاسلام فيقول :

((لقد كان فى مكة يعرض الاسلام على العرب كما يعرض الذهب على المتوحشين ، يرونه طريقا وشعاعا ثم لا قيمة له ، وما بهم حاجة اليه ! وهو حاجة بنى آدم الا المتوحشين ، وكانوا فى المحادة والمخالفة الحمقاء والبلوغ بدعوت مبلغ الاوهسام والأساطير - كما يكون العريى بذات صدره مع الذى يدعوه فى ليلة قارة الى مداومة جسمة بأشعة الكوكب - ، وكانت مكة هذه صخرا جغرافيا يتحطم ولا يلين ، وكان الشيطان نفسه وضع هذا الصخر فى مجرى الزمن ليصد به التاريخ الاسلامى عن الدنيا وأهلها) (١)

ثم تحدث عن أذى قريش للرسول (صلى الله عليه وسلم) وكيف أنه كذب

وتعذب ، وابتعد الناس عنه الا فئة قليلة ممن آمنتم به ، فأصيب باليتم مرتين —
مرة صغيرا في فقد أبويه ومرة كبيرا من قومه .

وكان الرسول — صلى الله عليه وسلم — عندما يسمع بقادم من أشكاف
العرب يذهب اليه ويدعوه للإسلام ، ورغم ذلك ، فإن الدعوة أحيانا تظهر وأحيانا
تختفى .

ومكث النبي (صلى الله عليه وسلم) يدعو في قومه ثلاث عشرة سنة وقومه
يضمرون له الشر والحقد ولكنه مع ذلك هو سائر في طريقه يعمل ولا يجد ويمرغى
ثم لا يقبل منه ، ويخفق ثم لا يعتره اليأس ، ويجهد ثم لا يتخونه المل و يستمر
ماضيا ثم لا ينحرف ، ومعتزما لا يتحول .
كل هذا الصدود من قومه لم يغير فيه شئ * ولم يتطرق اليأس الى نفسه
انها أسى معانى الأنسانية وضعها الله في نبيه وكانت الثلاثة عشر في هذا العمر
كانها عمر طفل ولد ونشأ وأحكم تهذيبه بالحوادث .

ان هذا ، يجب أن يتعلل بالمسلم وينشأ عليه ، الفنى فى القلب والقوة
فى الايمان ، ودوره فى الحياة دور النافع قبل المنتفع والمصلح ، ونفسه
مليئة بالقوة والحياة .

ثم يتحدث عن العوامل الأخلاقية فيقول :

((ثم ليست تلك العوامل الأخلاقية هي التى القيت فى منبع التاريخ
الاسلامى ليصب منها تياره ، فتدفقه فى مجراه بين الأمم ، وتجعل من أخص
الخصائص الاسلاميه فى هذه الدنيا — الثبات على الخطوة المتقدمة ، وان لم يتقدم
على الحق وان لم يتحقق ؟ والتبرؤ من الاثرة وأن شجت عليها النفس واحتقار
الضعف وان حكم وتسلط ، ومقاومة الباطل وان ساد وغلب وحمل الناس على محض
الخير وان ردوا بالشر ، والعمل للعمل وان ولم يأت بشئ * والواجب للواجب ان لم
يكن فيه كبير فائدة ، وبقا* الرجل رجلا وان حطه كل ما حوله ؟ (((٢)) .

ثم كتب عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعنه أبى طالب عندما طلبت منه قريش أن يقول لابن أخيه بترك هذا الدين فقال صلى الله عليه وسلم : (يا عماء لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته . ثم استعبر (صلى الله عليه وسلم) فبكى (٤) .

ان دموع النبوة أثبتت أن هذا النبي عظيم وأنه لا شيء يجعله يترك هذه الدعوة مهما كان ثمنه عظيماً - نعم لا شيء من مغريات الدنيا الفانية .

وبدأ الرسول (صلى الله عليه وسلم) يتسرع من حدوده الضيقة وكان - شمس النبوة قبل أن ينبأ بها ممثلة بها نفسه . ومعه أيضا برهان رسالة الله الى أن نزل قوله تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) (٤) بهجرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - الى المدينة بدأ التاريخ الاسلامي المجيد الذي انطلق انطلاقاً السهم الى البلاد الاسلامية التي فتحت وانتشر الاسلام ، وانتصر الحق وزهق الباطل وارتفع لواء الاسلام خفاقاً في البلاد الاسلامية .

حقيقة المسلم

=====

بدأ الرافعى الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم وكيف جاء الى الدنيا بهذا الدين الجديد الذى وجد الدنيا فى عطش شديد اليه وكان هذا العطش شديداً مفتقرا الى الحب والعدل والرحمة والمساواة فتحوّلت الانسانية ونمت به صلى الله عليه وسلم ان كانت قد تعبت وضعت ما ألم بها وأظلمت وتحوّلت الحياة الى كآبة وفضلال واشتدت المظالم وأصبح القوى يغلب الضعيف، وزرع الشر فى النفوس حتى أصبح هو الاقوى ، وأصبح العقل بظلامه يعبد الحجارة وتحدث ايضا عن بدأ هذا العالم بآدم حيث أن آدم فتح لها طريق المجىء من الجنة ، ومحمد صلى الله عليه وسلم فتح طريق العودة اليها - اذن كان فى آدم عليه السلام سر وجود الانسانية ، وفى محمد سر كمالها .

ثم تحدث عن الاسلام وكيف أن المسلم يسلم نفسه الى واجبها وأن المسلم ينكر ذاته فيسلمها الى الانسانية .

ثم بدأ بشرح حقيقة الاسلام وقال :

" وما الاسلام فى جملة الا هذا المبدأ انكار الذات "اسلامها" طائفة على المنشط والمكره لغرضها وواجباتها ، كلما نكصت الى منزعتها السحيوانى ، أسلمها صاحبها الى وازعها الالهى ، وهو ابدا يروضها على هذه الحركة - ما دام حيا ، فينتزعها كل يوم من أوهام دنياها ليضعها ما بين يدي حقيقتها الالهية يروضها على ذلك كل يوم وليلة خمس مرات مساة فى اللغة خمس صلوات لا يكون الاسلام اسلاما بغيرها فلا غرو كانت الصلاة بهذا المعنى كما وصفها النبى صلى الله عليه وسلم) عماد الدين (١) .

ثم وصف الصلاة وأثرها في تهذيب النفس مفتتحاً بصلاة الصبح التي تبدأ في أول اليوم وكيف تكون الجماعة المسلمة متراصة في صفوفها واحدة متحدة لأداء الفرض الإلهي ، مبعدة عن الدنيا بكل مطامعها وشهواتها تاركة كل شيء مادي فأنسى يقود إلى الشر ويحطم الروح التي هي أساس المسلم ، وأساس اعتقاده .

ولكن يتغلب روح المسلم على شهواته . يجعله بعيداً عن منزع الشر وبهذا يثبت المسلم وجود روحه وسعوها وظواهرها عن كل شيء من الآثام والمنكرات التي تضمف هذه الروح وتضلها وتزق شمل الأمة الإسلامية والنفسي الأخ أخاه في فكره ولا يعرفه لأنه بلا روح بلا وازع يردعه ويرده إلى صوابه ثم يكون انساناً بها في هذه الكلمة من معنى للإنسانيه ثم يكون وجوده الاجتماعي ليس للأخذ فقط ولكن للعطاء ، لأن قانون الأخذ هو جمع المادة ، وجمع المادة يعني حرص — الانسان على الدنيا وانتزاع الرحمة والحب للخير من نفسه ، أما قانون العمل فهو الخير نعم الخير ذاته لأنه يعني الهدل والعطاء بلا حدود لكل بائس ومحروم ومحتاج .

ثم أخذ يشرح الصلاة من بدايتها بالنية إلى نهايتها بالتسليم

يقول :

((بالانصراف إلى الصلاة وجمع النية عليها ، يستشعر المسلم أنه قد حطم الحدود الأرضية المحيطه بنفسه من الزمان والمكان ، وخرج منها إلى روحانية لا يحد فيها إلا بالله وحده . وبالقيام في الصلاة ، يحقق المسلم لذاته معنى افراغ الفكر السامي على الجسم كله ، ليمتزج بجلال الكون ووقاره ، كأنه كائن منتصب مع الكائنات يسبح بحمده .

وبالتقوى شطر القبلة في سمتها الذي لا يتغير على اختلاف أوضاع الأرض يعرف المسلم حقيقة الرمز للمركز الثابت في روحانية الحياة ، فيحمل قلبه معنى الأطمئنان والاستقرار على جاذبية الدنيا وقلقها .

وبالركوع والسجود بين يدي الله ، يشعر المسلم نفسه معنى السمو

والرفعة على كل ما عدا الخالق من وجود الكون وبالجلسة في الصلاة وقراءة التحيات الطيبات ، يكون المسلم جالسا فوق الدنيا يحمد الله ويسلم على نبيه وملائكته ويشهد ويدعو وبالشليم الذي يخرج به من الصلاة ، يقبل المسلم على الدنيا وأهلها أقبالا جديدا : من جهتي السلام والرحمة (٢) .

اذن الحكمة من الصلاة هي اللقاء مع الخالق خمس مرات في اليوم مقيدة النفس بسلاسل محبته عن الشهوات والمطامع مفرقة ظلام النفس زائلة عنها كل ما يشوبها عندها تصبح النفس صافية واذا صفت النفس رأت حقيقة الخلود فتشعر بنموها واتساعها فقد قال (صلى الله عليه وسلم) " جعلت قرة عيني في الصلاة " ثم تحدث عن الاسلام في حقيقته وأنه منظم الانسانية وآدابه هي حارسة على القلب المؤمن ومن هنا أنتقل الى الاسلام الى عمل اصلاحيا مطورا للفرية البشرية ناقلها الى مستوى الخلق الرفيع ثم ارتقى بالخلق الى الحق ثم ارتفع هذا السمو الى الخير العام .

وبدأ الاسلام ينتشر ويغزو الامم بالمعرب ويفتح البلدان بالاخلاق لهذا الدين .

ثم يصور الرافعي الرسول - صلى الله عليه وسلم - في رمال الجزيرة كأنه روح البحر ان أنه هو نقطة المد التي يتدفق منها البحر والمسلمون هم الامواج الذين غسلت بهم الدنيا . لهذا كان أثر المسلمين في نشر الاسلام متلقين أوامر الرسول (صلى الله عليه وسلم) لا كما يسمعون القول ولكن يتقبلون الحكم الناقد وكان أروع من ذلك اتصالهم بالنبى - صلى الله عليه وسلم - ليس كاتصال انسان بانسان بل اتصال الامواج بقوة المد ويكون هذا الاتصال في قوة واحدة وكأنها يد واحدة .

وتعلموا من سبهم الوجود فكانوا في غنى عن زخارف الدنيا وأباطيلها
وبذلك استطاعوا أن يسودوا العالم ويصبح علماء الأخلاق لكل زمان مهما تباعدت
السنافة ومهما غطا الزمن إلى الأمام فهم الأصل لا من كذب وفلسفه ولكن من قلب
النبي وحده .

لقد عرفوا في محمد صلى الله عليه وسلم تمام الرجولة والأخلاق التي تقوده
إلى الجنة دون انحراف أو ميل عن الطريق فلا شر ولا رد بل بل هناك قلب فهمم
بالسرور نفس مليئة بالغنى والكمال روح قوية تتصرف بحكمة وتدفع كل شيء مادي
مهما كانت مغرياتة ثم يصور تأثير ضربات السيف على المسلم ودونما يشعر بألم
الدماء تنزف منه وهو سائر في طريقه إلى الجهاد وكأنه يرى الجنة ماثلة أمام
عينه .

يقول وفي ذلك يقول :

((ولقد كان المسلم يضرب بالسيف في سبيل الله ، فتقع ضربات السيوف
على جسمه فتمزقه ، فما يحسها إلا كأنها قبل أصدقاؤه من الملائكة يلقونه ويمانقونه (٤)))

والحقيقة التي عرفها بها النبي - صلى الله عليه وسلم - وجعلها مثلهم
الأعلى وثبتها في أنفسهم بجميع أخلاقه وأعماله - يجب على المسلم أن يتمسك
بأفضائل نفسه ، وكذلك هي واجبة لكل مسلم على غيره فالأمة الإسلامية أهدافها
واحدة متعاونون كما قال تعالى :

(وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان) (٤) ولا يصدق تعاون
الأمة المسلمة إلا إذا تعاون الفرد مع المجتمع وجعل المنافع عامة للناس وليس
خاصة به في صدق تعامله الاجتماعي مع الناس .

(٤) وحى القلم - مصطفى صادق الرافعي ج ٢ ص ١٦

(٤) سورة المائدة الآية (٤)

ثم يتحدث عن الاسلام وليرىكون المسلم مسلما الا اذا كانت اخلاق نبيه
هى هداة فى طريقه الى جميع أعماله . ثم يتحدث عن أثر الدين فى نفسية المسلم
فيقول :

((لا يضطرب من شىء ، وكيف يضطرب ومعه الاستقرار ؟ لا يخاف من شىء ،
وكيف يخاف ومعه المطمئنة ؟ لا يخشى مخلوقا ، وكيف يخشى ومعه الله ؟ أيها
الاسد ، هل أنت فى جملتك الاخي طبيعة مخالبك وانيابك ؟ (١) .

ما اعظم الامه الاسلامية وأجنحة الاستقرار والطمأنينة تظللها ، فلاذل
ولا خوف وكل مؤمن متأكد أن الله معه وهذا سر عظمته فى قوته المستمدة من ايمانه
بخالقه الذى هداة لهذا الدين .

سـمـو الفـقـر

فـي المـصـلـح الاجـتـمـاعـي الاعـظـم

الرافعي الاديب المسلم قد أحب الرسول - صلى الله عليه وسلم - حبا جما وكتب عن فقره - صلى الله عليه وسلم - وفلسف معاني الفقر في المصلح الاجتماعي الاكبر وعرف أن الفقر الحقيقي هو فقر الضائير من الخير وأن الاستغناء الحقيقي في الروح بما تملكه من قوة للعطاء الخبير المتدفق النبيل ، ها هو محمد - صلى الله عليه وسلم - يفتقر من الطعام واللباس ومتاع الحياة ولكنه غني بروحه واخلاقه طامع في ربه زاهدا عن الدنيا يقول في ذلك :

" كان النبي - صلى الله عليه وسلم - على ما يصف التاريخ من الفقر

والقلة ولكنه كان بطبيعته فوق الاستغناء " (١)

ما أعظم فقر محمد (صلى الله عليه وسلم) الذي يلقي على الدنيا دروسا في الاخلاق التي تبحث عن حقيقة النفس المسلمة المؤمنة ان أن الاصلاح يقتصر على الكتب والفكر ، ولكن على الاخلاق والعمل والسيره التي تحيا في انسان العظيم ، الذي تحيا فيه الفكر العظيم ، وكأنها تبحث عنه حتى اذا وجدت استقرت فيه ، لأنه مستقرها الذي سينفذها الى العالم لتكون تاريخا عظيما وما محمد (صلى الله عليه وسلم) الا كذلك انه المعاني الالهيه يقول الرافعي :

" وما كان محمد (صلى الله عليه وسلم) الا عمرا ذهني محضا ، تعرفه المعاني الالهيه لتظهر للناس الهيه مفسرة وكل حياته (صلى الله عليه وسلم) دروس مفننة مختلفة المعاني ، ولكنها في جملتها تخاطب الانسان على الدهر بهذه الجملة أيها الحي ، اذا كانت الحياة هنا فلا تكن أنت هناك : أي اذا كانت الحياة في الحقيقة فلا تكن أنت في الكذب واذا كانت في الرجولة البصيرة فلا تكن أنت

في الطفولة النزقة ، وإيثاره كل عاجل وان قل ، وعمله أن تكون حياته النفسية الضئيلة في مثل توثب أعضاء جسمه ، حتى كأنه أبدا يلعب بظاهره وبباطنه معا (١)
 ان الفقر ساميا وعظيم في نفس محمد — صلى الله عليه وسلم لم لا يكون كذلك ومحمد (صلى الله عليه وسلم) ينظر الى الماديات على أنها تنتهي في لحظة نظرتهم اليها أنها لا قيمة لها ، جعلت صغيرة في عينيه ، لان نظرتهم للعالم الآخر لما ينتظره من نصيب خالد أبدى ، جعلته ساميا في روحه كبيرا في تفكيره فوق — الشهوات والنطامع والمتاع الزائل * قالت عائشة = رضى الله عنها — : لم يمتلئ جوف النبي (صلى الله عليه وسلم) شيئا قط ، وانه كان في أهله لا يسألهم طعاما ولا يشتها ، ان اطعموه قبل ، وما سقوه شرب * (٢) . محمد (صلى الله عليه وسلم) صورة صادقة حية يضرب بها المثل الاعلى في الزهد ليرى الناس الذين يتسابقون لجمع المال أن الفنى الحقيقى فى النفس العظيمة ، وما تحمله من المعانى السامية فى الفنى والاستغناء عن كل متاع زائل والعمل لما وراء الدنيا لأنه الاصلح والابقى . .

(١) وحى القلم — مصطفى الرافعى ص ٤٨ — ٤٩

(٢) نفس المرجع ص ٢ ص ٥٢

الأنسانية العليا

بدأ الرافعى مقاله هذا عن صفات الرسول - صلى الله عليه وسلم -
وهى صفات الأنسانية التى أجمعت فيه ، والتى هياها الله وأعدده ليكون نبي الأمة
الذى يكون قدوة فى سمو الأنسانية العليا وعظمتها ، ومثالا يحتذى به ، وقوة أخلاقه
تنتشر سيرتها على الدنيا لتكون هى الأنسانية العليا .

وقد أوضح صفات الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأنها صفات الكمال
الأنسانى بحيث لا يجد النقص البشرى البهاطوريا ، لان فيها المعنى التام -
للأنسانية والحق ، وكذلك المعنى التام للإيمان ، وهى بذلك برهان على
نبوته ورسالته وقد أجمعت هذه الصفات ، لان الله سبحانه وتعالى خص نبيه
بها ، وأعدده لرسالته ، وهذا معنى قوله - صلى الله عليه وسلم - "أدبى
ربى فأحسن تأديبى" .

يقول : فى مجموع صفات الرسول - صلى الله عليه وسلم : "وهل ينبئك
مجموع صفاته (صلى الله عليه وسلم) الا أنه يعيش مبعث القلب اذا اختلف ما
حوله وفجأت بفتات الوجود فتجاوز أن يكون مبعث للحياة الا أن يكون حافظا
للحياة فى منبها ؟ وتلك الحالة - كما مريك - تجعل وجود الانسان هو
وجود ارادته وعقله ، لا وجود شهواته وغرائزه ، وكذلك عاشر نبينا (صلى الله
عليه وسلم) ، فهو مدة حياته فى وجود ارادته لاغيرها ، حتى ليس عليه سبيل
للميزة أو لائمة ، كأنه خلق تشده نية مستيقظة قد نبهها ما ينبه النفس من
الفرر والخطر ، ولعل هذا الشعور فى نفسه (صلى الله عليه وسلم) هو التفسير
لقوله : "نية المؤمن خير من عمله (١)"

ويوضح أب نية المسلم تنطوى على الخير ، وأن العمل أحيانا يخالف
النية لذلك ، فان النيات الحسنة تخالف الأعمال الشريرة التى يقوم بها الانسان .

ويستطرد في بيان أثر النية على الإنسان ، وكيف أنها تحرس العمل ، ويكون الإنسان في صراع بين قوتين قوة النية الخيرة ، وقوة العمل الشرير ، وكل إنسان ينتقل بحسب قوة إرادته ، فإن غلبت النية كانت أعماله خيرة وإن لم تغلب كانت أعماله شريرة .

لقد ركز الرافعي حديثه على النية وجعلها أم الصفات البشرية التي عليها المصول فاصلاح أعمال الانسان وفسادها وهي القائد لهذا الانسان وسببها كان الانسان يقوم بأعمال شريرة قبيحة دائما حسنة ولكنه يخالفها ولذا ينتج منه الشر وتقدر على ذلك حسناته وسيئاته وفي ذلك يقول :

((فأول النفس النية العاملة لا خريتها ، وآخر النفس ما تؤدي اليه أعمال هذه النية ، فليس في انسان الدنيا الا انسان العالم الآخر ، وبهذا يقدر صمصمه وكلامه ، وحركته وسكونه ، وما يأتي وما يدع ، وما يجب وما يكره ، ان كل شئ منه على ذلك الاعتبار انما هو صورة الحقيقة العاملة فيه ((١))

ثم يتحدث عن صفات الحزن في الرسول - صلى الله عليه وسلم - ويقول : انه متواصل الاحزان ولكن ما هذه الاحزان الا هي أحزان النبوة التي تكسو الحياة بفرح النفس الكبيرة وهو فرح كله حزن وتأمل ، ما أعظم الفرح وهو في هذه الصورة يقترب بالحزن والتأمل ، في نفس محمد العظيمة ، وما هذا الحزن الا التأمل ، وما التأمل الا سبيلا للفكره ، وما الفكرة الا الخشوع والطهر والفضيلة وكان هذا الفكر والتأمل لتنقيح الانسان الجديد وفي ذلك يقول " وكان دائم الفكره ليست له راحة . ان هو مكلف أن يصنع الانسان الجديد ، وينقح الآدميه فيه . وفكرة النبي هي معيشته بنفسه مع الحقائق العليا ، ان لا يرى لذكرها تميش في الناس ، وهن الفردية واستقلالها وسموها ، لانها اطاقه النفس الكبيرة لوحدتها ، بخلاف الانفس الضعيفة التي لا تطيقها فدأبها أبدا أن تبحث عما تستعبد له ، أو تنسى ذاتها فيه ، أو تستريح اليه من ذاتها . ومتى كانت

النفس فارغة كان تفكيرها مضاعفة لغراغها ، فهي تفر منه الى ما يليها عنه ، ولكن العظيم يمشي في امتلاء نفسه ، وعالمه الداخلى تسميه اللغة أحيانا : الفكرة ، وتسميه أحيانا : الصمت)) (١)

ثم وصف صمت الرسول (صلى الله عليه وسلم) فقال :
 ((طويل السكت لا يتكلم في غير حاجه)) ثم أخذ يتفلسف في أسلوب جميل رائج لهؤلاء معنى الصمت وقال انه أحيانا يكون طريق من طرائق الفهم ، وأحيانا يكون علاقه على رهبة السر الذى فى نفسه العظيمة وأحيانا يكون طريقة من طرق الحكم على صمت الناس وكلامهم ، وأحيانا يكون فصل بين أعمال الجسد وبين الروح فى ساعة أعمالها ونوع آخر يكون صمتا على دوى تحية يشبه نوما ساكنا على أحلام جميلة تتحرك (٢) .

فما أروع الصمت فى نفس محمد وما أروع فى تعبير الرافعى صمت جميل يدل على حكمه بالغة تقتضى الالتزام به ان كان يمثل هذه الروعة البالغة فى النفوس ليقودها الى الكمال الانسانى اقتداءً بعظمة محمد (صلى الله عليه وسلم) . وعلى ذلك يجب أن تفسر كل أوصافه صلى الله عليه وسلم على أنها هى - بمجموعها طابع الهى على حياته الشريفه ، يثبت للدنيا بكل برهانات الملمس والفلسفه أنه الانسان الافضل ، وأنه الاقدر ، وأنه الاقوى هذه هى صفات الكمال الانسانى لمحمد - صلى الله عليه وسلم - محمد الأسمى الذى استطاع بما أعطاه الله من صفات أن يكون قائد الأمة الاسلاميه ، ويكون انسانها الافضل والاقدرو والاقوى .

(١) وحى القلم - مصطفى الرافعى ج ٢ ص ٤٥

(٢) " " " " " " ج ٢ ص ٤٥

الله أكبر

الله أكبر نشيد انطلق منذ عهد النبوة بكلمات تنساب حرارة وخشوع لكل قلب طهرهم بذكر الله فلا يسمعه مؤمن الا ويخشع قلبه ويستجيب لهذا النداء تاركا كل ما يشغله عن دينه ملجأ لهذا النداء خمس مرات في اليوم .

((الله أكبر)) ما أعظم هذا النداء وما أجمل المعاني التي جاء بها

مصطفى صادق الرافعي بدأ موضوعه بحوار قصصى لفتاة كادت أن تتردى فى الهاوية وتقع فيها بسبب غواية فتى لها فعندما أوشكت الفتاة أن تقع فى المحذور وإذا بها تسمع (الله أكبر) صوت رهيب دخل قلبها ونفسها وإذا بها تستجيب لنداء الله وتحلق فى السماء تاركة الأرض واسفافها وغوايتها ومنقذة نفسها مما كادت أن تقع فيه كل هذا لأنها استشعرت معنى النداء فى نفسها فكان لها استجابة مع السماء وترفعا عن سفاسف الأمور وعلاوا الى مدارج الكمال والرقى .

(وللمسجد معان سامية فى نفس الرافعي انفعلى بقدر سيتها فترجم هذا الايمان مصورا بريشة الفن مجلوا بظلال الأدب والبيان مخاطرا النفس المؤمنه بصدد الشعور والتجربة التي عاشها بين قدسية المسجد) (١)

ويصور كيف أنه عرف المسجد عندما أنكشف له فى نوره الروحي ، فالمسجد ليس كغيره من الأبنية ، لأنه هو المكان الذى يستقر فيه العالم المضطرب ، من مشاكل الحياة المختلفة ، التي تجلب العداوة والكيد للناس فى هذه الحياة ، ولكن مهمة المسجد عظيمة ان يحى العداوة من القلوب ، لانه يجمع الناس على سلامة الصدر وبراءة القلب ، وروحانية النفس . نعم ان المسجد كذلك ، لانه لا يدخله الا طاهر بعد أن يغتسل الإنسان من آثار الدنيا قبل دخوله .

وتظهر فيه أيضا معنى المساواة بوقوف المصلين صفا واحدا لا فرق بين غنى وفقير ولا بين صغير وكبير وكذلك باتحادهم فى السجود يحى كل سلطان

(١) الجانب الاسلامي فى أدب مصطفى صادق الرافعي . عبد الستار السطوحى

لا سلطان الا لله سبحانه وتعالى ، هذا ما يحقق الانسانية ووحدتها فى
الناس ولن يجد العالم صوابه الا فى المسجد ويسترسل الرافعى فى أسلوب
عذب أخاذ بمعان جديدة للنداء فىقول :-

((بين الوقت والوقت من اليوم تدق ساعة الاسلام بهذا الرنين : الله اكبر الله اكبر
كما تدق الساعة فى موضع ليتكلم الوقت برنينها)) (١)

هذه الساعات التى تدق ايدانا بندا الاسلام لتوقظ النفوس الى أن هناك
مصير ينتظرها وحساب عليها ، ودين يجب سداؤه لتعرف صحة النيات بأعمالها
الصالحة وتنقلها الى أجواء قدسية من حب الخير والفضيلة والاستزادة من الاعمال
الصالحة رغبة فى الثواب واعداداً لدار أخرى هى دار البقاء وانتصاراً على الشر
الذى يحم البشر به بظلماته الكثيفة فلا يرى المرأ طريقه ولا الى أين يسير اذا استمر
الشر مسيطراً عليه ، ولكن الله لم يخلق الخلق ويضيعهم ، فهناك سبب لتبديد
هذه الظلمات بنور قوى يمحو هذا الشر ان استجاب المسلم لنداء الروح (الله
اكبر) خمس مرات فى اليوم ، وبها يبعد عنه الشر والرزله ، ويسمو الى الكمال
والانسانية مع ساعات وساعات يقضيها المرء فى رحاب الله بين يدي ربه .

ثم يصور الرافعى معنى النداء فى النفوس ان هى استشعرته وكيف
أنها تقاد الى الخير بسهولة ، وكيف يحققون معنى الاجتماع فى البيت الواحد
نعم الاجتماع الذى يريده الله لعباده لتقوى شوكتهم ، وليحققوا معنى الاسلام
باتخاذهم وقوتهم ، وتسمو نفوسهم ، وترتفع عن المادة الدنيئة وفى ذلك يقول :
« النفس أسمن من المادة الدنيئة ، وأقوى من الزمن المخرب ولا دين لمن لا شمس
نفسه من الدناءة بأنفة طهيمة ، وتحمل هموم الحياة بقوة ثابتة .

لا تضطربوا ، هذا هو النظام . لا تتحرفوا ، هذا هو النهج ، لا تتراجعوا
هذا هو النداء . لن يكبر عليكم شئ ، مادامت كلمتكم : الله اكبر)) (٢)

(١) - وحى القلم - مصطفى الرافعى ج ١ ص ٣١٩

(٢) - نفس المرجع ص ٣١٩ - ٣٢٠

لقد اختتم الرافعي مقاله بأنه على المسلمين أن لا يضطربوا ولا ينحرفوا
لان هذا هو نظام البشريه والنهسج الذي أرتضاه الله لعباده .
بهذا النداء الذي يجمعهم ويجعلهم صفا واحدا وقوة واحدة ويحققون
في الانسانية معنى أهل البيت الواحد ، ولا يستطيع نائل أن ينال من أمة
الاسلام ما دامت كلمتهم " الله اكبر الله أكبر " ..

قرآن الفجر

وصف الرافعى جو المسجد فى وقت السحر وشعور هذا المصلى فى
هدأة الليل وسكونه وصعته الرهيب ، يذهب المصلون الى المسجد لانتظار صلاة
الفجر فى ذلك يقول :-

" فكان الجالس فى المسجد وقت السحر يشعر الحياة كأنها مخبوءة ، ويحس
فى المكان بقايا أحلام ، ويسرى حول ذل المجهول الذى سيخرج منه الفد ،
وفى هذا الظلام النورانى تنكشف له أعماقه منسكبا فيها روح المسجد ، فتعتريه
حالة يستكين فيها للقدر هادئا وادعا راجعا الى نفسه ، مجتمعا فى حواسه ،
منفردا بصفاته ، منعكسا عليه نور قلبه ، كأنه خرج من سلطان ما يقضى عليه
النهار ، او كأن تلك الظلمة قد طمست فيه ألوان الأرض (١) "

بكمات ساطعة فى اظهار المعانى الروحيه العميقة التى تبعث فى النفس
الوضوح والجلال ، وقد فلسف الرافعى سكون الفجر ، وقلوب المؤمنين كأن الملائكة
قد بلغت من بيسها ورققتها من غلظتها ، والمسلمون جالسون تاركين نومهم
فى لحظات ظاهرة من عمر الزمان بروحانية مسلم ترك مضجعه ، ودعى ربه خوفا وطمعا
فسارع الى بيت ربه والكون يعمه ظلام عميق ، ولا يقضى ذلك الظلام سوى الايمان
العميق الذى يسير به كل مسلم الى المسجد فى جو من الصفاء والطمانينة والسكينة
فى هذا الجو الدينى الروحى ينساب صوت القارىء الرخيم فى مثل رنين الجرس
الذى يختلف عن الاجراس فى نعومة انسيابه وفى دخوله الى النفس دونما استئذان
وأنه يخترق الحجب ويدخل فى النفوس بآيات مرتلة من الذكر الحكيم بقوله تعالى :

((أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين . وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . واصبر وما صبرك الا بالله ، ولا تحزن عليهم ، ولا تك فى ضيق مما يمكرون ١ . ان الله مع الذين اتقوا والذين هم — محسنون)) (١) .

كان لهذا القارىء صوت مطرب ، يشعر المؤمن برودة الايمان فى اعماقه مع نسيمات الرضوان تهب وهو يقرأ كبلبل يترتم بأسلوب فى هلال القمر وكأن جوابه خشوع ودمع واشماع ونور ونميا ، فى نفس المؤمن ما أجمل صدى هذا البلبل المترنم فى نفس المؤمن وما هذه القراءة فى هذا الوقت الا تذكره وموعظة وهدى وانقاذاً — لقلوب جفت من لذائذ الحياه واخراجا لها من الظلمات الى النور ، وفى اتصال العبد الضعيف بالخالق العظيم طالبا الرحمة والغفران والهداية لأحسن الطريق قال تعالى : ((ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا)) (٢) .

آيات القرآن كان لها صدى فى نفس الرافعى عندما كان طفلا وما زالت راسخة فى نفس رجل اليوم الذى أصبح مدافعا وحاميا للدين ، الذى مازال صدى الصوت فى نفسه فى كل حين ، وهو يسمع النداء فى أعماقه " أدع الى سبيل ربك " وصارت الآيات مخرجا له من كل ضيق وحكمة يتمثل بها فى الحياة : واصبر وما صبرك الا بالله !

(١) سورة النحل ١٢٤ - ١٢٨

(٢) سورة الاسراء آية ٨

شهر للثورة

فلسفة الصيام

—

بدأ الرافعي مقاله عن شهر رمضان من جميع النواحي الدينية والاجتماعية والروحية والاخلاقية هذا من حيث فلسفة الصوم وحكمته ، اما من حيث منفعتهم للجسم وأنه نوع من الطب الجسماني فهو يرى أن الاطباء قد أوفوا هذه الناحية ، ولكنه بدأ يتحدث بأسلوب الأديب الذي يتغلغل في النفوس والعقول ويمرر علاجها وتوجيهها قال : عن شهر الصوم كأنه ثلاثون حبة في كل سنة لتقوية المعدة وتصفية الدم وحياطة أنسجة الجسم ، وبدأ يتحدث عن الصوم كحقيقة اسلامية كبرى لسياسة صفوى على الأرض حامية للنفس من التبدل على تغير الحوادث وتبدلها وحتى لا تجهل الدنيا معاني الترقيع اذا أتت على هذه الدنيا معانى التمزيق .

وبدأ الرافعي يعرض لمعجزات القرآن الكريم وكيف يدخر في اللفاظ في كل زمن وهو هنا يظهر معجزة القرآن الكريم في كل زمان ويظهر الحقيقة العلمية عندما يختار أهل الزمان ويقعون في حيرة ومتاهات فيظهر القرآن متحديا لكل الأديان موضحا نظام الحياه بأسرار العلم ويوجهها التوجيه الصحيح ويثبت الأشياء المجهولة التي تتوهمها المذاهب الاجتماعية ولم يهتد اليها مذهب منها ولا قاربها ، فهم في حيرة دائمة ومذاهبهم كعقارب الساعة في دورتها ، تبدأ وتنتهى وكأنها لم تبدأ .

وايضا كرر الرافعي جملة الفقر الاجباري الذي يراود به اشعار النفوس بمعنى الحياه الصحيحه وما الحياه الصحيحه الا هي ما وراء الحياه فما أعظم ما وراء الحياه وما أعظم شعور المسلم عندما يعمل لما وراء الحياه فهو عندها يترك القشور ويتمسك بالجواهر ويفكر بصق في العالم الآخر الذي ما خلق الناس الا للعمل لسه وما رحلتهم في هذا العالم الصغير الا أيام ستكون في تمام نظامها اذا تساوى الناس في مشاعرهم لا حين يختلفون وحين يشعرون باحساس واحد للألم لا عندما

يشازعون ولكن لا تنازع الا باسباب الالهواء المتعدده والفقر الشعورى باحساس
الأم الآخرين ومتاعبهم .

ويرى الرافعى بأن الناس لا يختلفون بالقول ولا بالانساب ولا بالمراتب
ولا بالمال ولكن الاختلاف بشهوات البطون وهى التى تؤثر على التفكير والتصرف
ومن ثم كان الصوم نهذا ومدربا يجمال الناس يشعرون بشعور موحد فيكون المنع
حكما مقضيا على جميع الناس دون استثناء (١) .

ويخلص رأى الرافعى فى الصوم على أنه تطبيق اشتراكى بأسلوب على
لا بأساليب فارغة من المعانى وكيف أن الاشتراكيين قد عجزوا فى محاولة تغيير
الانسان بزيادة أو نقص فى أعضائه ولان هناك حكمة الهية فى الصوم ونظاما اجباريا
من أروع الأنظمة وأنفعها يرى فى الصوم فلسفة عدل اجتماعى رائعة بعيدة
عن المادة وما يستتبعها من انحراف فى الفكر وهذا الصوم ما هو الا فقر
اجبارى تفرضه الشريعة على الناس تتساوى فيه مواطن الناس انه فقر مؤقت يختاره
الغنى من المؤمنين عن طوع ورضى ، لتعم به أسباب الرحمة والمودة والترابط
والتراحم انه اشتراكية لكسها بدون اضطراب وتراحم ولكن برباط المساواة الوثيق
بين أفراد المجتمع ، ورباط المساواة فى السيطرة على شهوات الجسم وفى
المساواة بين من يملك الدنانير وبين الفقير الذى يملك القرش ، وفى ازالة كبرياء
النفوس وانقيادها لأوامر خالقها عن رضى واستسلام كما يتساوى الناس فى
ذهاب الكبرياء للصلاة التى فرضها الاسلام وفى الحج لمن استطاع اليه سبيلا
ويسترسى الرافعى فى حكمة الصوم الرائعة الذى تنبثق منه الرحمة ومصدر
هذه الرحمة الأتم . . . ألم الحرمان وهذا هو السر الاجتماعى العظيم فى الصوم
وهناك أيضا باعث للرحمة فى النفس الانسانية غير الصوم هى النكبات والكوارث .
وفيهما يقول :

(١) مصطفى صادق الرافعى كاتبها عربيا ومفكرا اسلاميا . مصطفى الشكعة

(فهما طريقتان مبصرة وعمياء وخاصة وعامة وعلى نظام وعلى فجأة) ما أعظم هذه الرحمة التي يصورها الرافعي في ضمير الفنى وهو يسمع الفقير يقول له (أعطنى) وتكون أعطنى هنا بمعنى الأمر لا بمعنى الرجاء . فالأمر إذا كان من الضعيف لا مفر من تلبية ندائه لأنه هنا يأتي بمعنى المواساة من المبطل لمن كان يماثله في البلاء . ثم يذكر عن هلال رمضان ووجوب الصوم معنى دقيق آخر هو إثبات الإرادة وإعلانها وإعلان الثورة شهرا كاملا في السنة المتتقمة النفس ما يشوبها من رذائل وفساد ويختتم مقاله هذا في فلسفة الصوم بقوله :

انما استخرجته من هذه الآية الكريمة :

((كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) وقد فهمها العلماء جميعا على أنها معنى التقوى ، أما أنا فأولتها من " الاتقاء " فبالصوم يتقى المرء على نفسه أن يكون كالحيوان الذى شريعته معدته ، والا يعامل الدنيا إلا بمواد هذه الشريعة ، ويتقى المجتمع على إنسانيته وطبيعته مثل ذلك ، فلا يكون انسان مع انسان كعمار مع انسان : يبيعه القوة كلها بقليل من العلف . وبالصوم يتقى هذا وهذا ما بين يديه وما خلفه ، فان ما بين يديه هو الحاضر من طباعه وأخلاقه ، وما خلفه هو الجيل الذى سيرث من هذه الطباع والاخلاق فيحمل بنفسه فى الحاضر ويعمل الحاضر فى الآتى ، وكل ما شرحناه فهو اتقاء ضرر لجلب منفعة ، واتقاء رذيلة لجلب فضيلة ، وبهذا التأويل تتوجه الآية الكريمة جهة فلسفية عالية لا يأتى البيان ولا العلم ولا الفلسفة بأوجز ولا أكمل من لفظها ويتوجه الصيام على أنه شريعة إنسانية عامة ، يتقى بها الاجتماع شرور نفسه ، ولن يتهدب العالم الا اذا كان له من القوانين النافذة هذا القانون العام الذى اسماه الصوم ومعناه " قانون البطن " . . . الا ما أعظمك يا شهر رمضان ! لو عرفك العالم حق معرفتك لسماك : (مدرسة الثلاثين يوما (٢))

أراد الرافعي في مقاله هذا أن يبين " ثورة النفس على الشهوات " والارادة القوية عن طوعية واختيار يختارها كل مسلم لرضا ربه وأنها حقاً كما وصفها الرافعي " مدرسة الثلاثين يوماً " مدرسة التهذيب للنفس وكبح جماحها عن كل ما تريد آمله في ثواب الله وغفرانه ..

تجديد الاسلام رسالة الأزهر في القرن العشرين

بدأ الرافعي هذا الموضوع ببيان مركز الأزهر الديني ويعتبره المؤسسه العلميه التاريخيه الكبرى التي تقوم عليها مهمة جسيمه في أن تكون منار اشعاع وموضع هدايه لاهل الأسمه الضالين عن الطريق خاصة وأن الاسلام أصبح في خطر تهدده التيارات الغربيه والمدنيه الزائغه التي غزت أفكار أبناء الأمة الاسلاميه بسلاح خفي فتاك فلا بد من القيام باصلاح ما افسده أعداء الاسلام.

فالرافعي يرى أن علماء الأزهر يجب أن يكونوا قوة مدرة للاعداء نافذه لا نقاذ أمة الاسلام ويجب أن تكون القوه الروحيه فيهم هي الآسره الناهيه هي السلاح الذي يدخل في النفوس بقوه الاقتناع والحجة والبراهين لا صلاح ما فسد وتقويم ما أعوج ولا يكون هذا الاصلاح الا باصلاح ضمير العالم وفي ذلك يقول :

(فما يحتاج الناس في هذا الزمن الى العالم - وان الكتب والمعلوم

لتملأ الدنيا - وانما يحتاجون الى ضمير العالم)) (١)

انه يركز على ضمير العالم الذي يستطيع أن يقود الأمم الى الاصلاح عن طواعيه واقتناع فانه هلع ضمير العالم اصلح عمله كمصلح اجتماعي مكمل لرسالة النبوه ، في ابطال البدع والخرافات واصلاح نفوس افسدتها المدنيه التي استطاعت أن تطور كل شئ ، ولكن الضمير الانساني عجزت عن ايجاده ولكنها سعت الى افساده وما لاسلام الا ذلك الضمير الحي الذي ينبعث في الأفراد وفي ذلك يقول :

((وقد عجزت المدنيه أن توجد هذا الضمير ، مع أن الاسلام في حقيقته ليس شيئاً الا قانون هذا الضمير ان هو دين قائم على أن الله لا ينظر من الانسان الى صورته ولكن الى عمله ، فأول ما ينبغي أن يحمله الأزهر من رسالته ، ضمائر

أهله ((٢))

(١) وحى القلم - مصطفى الرافعي ج ٣ ص ٣٨-٣٩

(٢) نفس المرجع ج ٣ ص ٣٩

ثم يتناول قضية اصلاح الأزهر فى هذا القرن لتثبت معنى الاسلام فى النفوس بعد أن ضعف الدين فى نفوس المسلمين وليس لهم من الاسلام فى نفوس المسلمين الا اسمه فقط ، أكثر ما هو عمل به فالاسلام ليس اسما كما يتوهمه البعض ، الاسلام معنى وحقيقه وجوهرا وعلا معنى الانسانى والضمير المتيقظ والنسور المنبعث من الاعماق والامن والاستقرار والحياه بمعناها كما أرادها الله لها ويضع المسؤولية فى تدهور المسلمين ووصولهم الى الحالة التى هم عليها من الضعف والتخاذل وعدم توحيد صفوفهم الى الحكومات الاسلاميه فيقول :-

((والحكومات الاسلاميه عاجزه فى هذا ، بل هى من أسباب الشر ، لان لها وجودا سياسيا ووجودا مدنيا ، أما الأزهر فهو وحده الذى يصلح لاتمام نقص الحكومه فى هذا الباب وهو وحده الذى يسهل ما تعجز عنه ، وأسباب نجاحه مهيأه ثابتة اذا كان له بقوة التاريخ حكم الزعامه الاسلاميه وكانت فيه عند المسلمين بقيه الوحي على الارض (٤) .

ولن يكون الوحي على الارض الا بالدعوه والموعظه الحسنه للاسلام واعاده مجده وبناءه كما كان فى عهد الدعوه الاولى لتحقيق الزعامه الاسلاميه ويكسبون قوة واحده تقف فى وجه الاسلام .

ثم يذكر كيفيه الدعوه الى الاسلام بالموعظه الحسنه وكيف أن العلماء ورثة الأنبياء بما يتحملون من مشاق وصبر على الاذى فى سبيل الدعوه ثم يفسر الآيه بقوله :-

واذا نحن استخرجنا التفسير العلمى لهذه الآيه الكريمه :

((أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظه الحسنه) دللتنا الآيه بنفسها على كل تلك الوسائل ، فما الحكمة هنا الا السياسة الاجتماعيه فى العمل ، وليست الموعظه الحسنه الا الطريقه النفسيه فى الدعوه (٤) ((

(٤) - وحى القلم - مصطفى الرافعى ج ٣ ص ٤٠

(٤) - وحى القلم - مصطفى الرافعى ج ٣ ص ٤١

العلماء ورثة الانبياء ، وليس النبي من الانبياء الا تاريخ شدايد ومحن ومجاهدة في هداية الناس، ومراغم للوجود الفاسد ومكابدة التصحيح للحالة - النفسية للأمة ، فهذا كله هو الذي يورث عن الانبياء لا العلم وتعليمه فقط .

وينتقل بنا الرافعي من دور رسالة الأزهر في الأمة الاسلاميه الى العالم وكأنه يريد أن يبعث في الأمة الاسلاميه روح الجهاد الاولى التي نشرت الاسلام الى جميع أنحاء العالم ولكن الجهاد في هذه المرة يختلف عن الجهاد السابق الجهاد في نشر الاسلام بلغات مختلفه في السنة ازهرية مصقولة بالعلم والثقافة ثقافة الدعاة الى هذا الدين التي تحمل في طياتها الالهام والشعر وسحر البيان في الاقناع فعلى الداعي أن يكون على مقدار كبير من حسن التصرف، والحلم والصبر ومواجهة الشدايد والمحن وأن يعلم الامم الاسلام في أبسط تعاليمه وأفضلها وأكملها وهكذا يكون التدرج من اليسير الى اليسر الى أن يتمكن الاسلام من نفوس الناس ويتقبلونه ويعتقدون به .

ولان الناس اليوم ليس كما كانوا في عهد النبوة العصر تطور وتقدم وانتشر العلم فوسيلة الدعوة ليس السلاح والقوة ولكن العلم وليس العلم الجامد ولكنه العلم العيسر وهذا أمر ليس مستحيلا فقد نشر الاسلام من قبل بقوة البشر وتصميمهم وفي ذلك يقول :

((ان الوسيلة التي نشرت الاسلام من قبل لم تكن اجنحة الملائكة ، ولا كانت قوة من جهنم ، ولا تزال هي التي تنشره ، فليس مستحيلا ولا متعذرا أن يفوزوا هذا الدين أوروبا وأمريكا واليابان كما غزا العالم القديم ، ولم يكن السلاح من قبل الا طريقة لايجاد اسلام في الامم الغريبة عنه ، حتى اذا وجد تولى هو الدعوة لنفسه بقوة الناموس الطبيعي القائم على أن الاصلح هو الباقي (١)))

إن الرافعي يطلب من الزهر نشر الاسلام في أنحاء العالم ونشر الاسلام

معناه الثبات في تلك الام يقول :

((ليس على الزهر الا أن يوجد من الاسلام في تلك الام ما يستمر ثم الاستقرار هو

يوجد ما يثبت ، والثبات يوجد ما يدوم ، وكأن النبي (صلى الله عليه وسلم)

قد أشار الى هذا في قوله :

نظر الله امرأ سمع مني شيئا فبلغه كما سمعه قرب مبلغ أوعى له —

سامع (((

إن الرافعي يطمح الواعي المستنير يرى المسلمون أهمية مركز الزهر والارتفاع

به لمصلحة الاسلام والمسلمين ليكونوا صفا واحدا تنطلق منهم الدعوة الى

التوحيد والتضامن والاستقرار للمسلمين أنفسهم ثم الاتجاه الى أنحاء العالم

ومها يكون الاسلام عزيزا قويا وتحقق النعمه الحقيقيه للناس كافة .

((فى محنة فلسطين))

• أيها المسلمون •

تحدث الرافعى عن محنة فلسطين ذلك الشعب العربى الذى ذهب ضحية الاحتلال والمكر والخديعة من اليهود وصور لنا هذه المحنة التى لا تقتصر على الشعب الفلسطينى فقط ولكن على الأمة الإسلامية لذلك يقال ^{بدا} بأيها المسلمون ان نكبة فلسطين هى نكبة الاسلام الذى أصبح فى خطر باحتلال الصهاينة لهذه الأرض العربية وفى ذلك يقول :-

((نهضت فلسطين تحل المقده التى عقدت لها بين السيف والمكر والذهب .
عقدة سياسية خبيثة ، فيها لذلك الشعب الحر قتل وتخريب ، وفقر ، عقدة
الحكم الذى يحكم بثلاثة أساليب : الوعد الكذب والفناء البطى • ومطامع اليهود المتوحشة .

أيها المسلمون ! ليست هذه محنة فلسطين ، ولكنها محنة الاسلام يريدون الا يثبت شخصيته المميزه الحرة كل قرش يدفع لفلسطين ، يذهب الى هناك ليجاهد هو أيضا (((١))

ثم يهيب الرافعى بالمسلمين فى أسلوب رائع مؤثر يجعل كل مسلم يندفع الى الجهاد والتبرع بكل ما يستطيعه ويقول أن هذه النكبة ما هى الامتحان لضائر المسلمين جميعا ويوضح حالة الشعب الفلسطينى وأن هذا الذل لا تقره النفس المسلمة ثم يصف أخلاق اليهود الرذيلة التى يتصفون بها - والحق قد الدفين فى أنفسهم وسبب ذلك الذل الذى كانوا يعيشون فيه فى الماضى والتشريد الذى يعيشون فيه فى الحاضر .

وكيف ان اليهود حملون الافكار الخبيثة في أد مفتهم في تشتيت شمل العرب وجمل العرب أقلية وبعد ذلك يكونوا خداما لليهود ويقول في ذلك :

((في أنفسهم الخقد ، وفي خيالهم الجنون ، وفي عقولهم المكر وفي أيديهم — الذهب الذي أصبح لثيما لأنه في أيديهم .

أيها المسلمون ! كل قرش يدفع لفلسطين ، يذهب الى هناك ليتكلم كلمة ترد العقل الى هؤلاء .

أيها المسلمون ! كل قرش يدفع لفلسطين ، يذهب هناك ليثبت الحقيقة التي يريدون طردها (١) .

تظهر فلسفة الرافعي في صفته لليهود وتظهر أيضا في وصف الذهب الثمين باللوم وذلك لأنه في أيدي لثيمة اذن حتى الأشياء الثمينة لا تكون ثمينه اذا امتلكتها أيدي لثيمة لان هذا الذهب الذي في أيدي اليهود جعلهم يشردون شعباً عظيماً ويقضون على الاسلام من هنا جاء لوم الذهب .

وايضا يتضح فضل القرش الذي يدفعه كل مسلم لقرار حقيقة الاسلام — ولدرء الخطر عن أمة الاسلام التي يريد طردها أعداء الاسلام فالقرشي اليوم عزيزا لانه سينصر الاسلام ويحقق لهم القوة والتمكين .

ثم يخاطب الرافعي المسلمين ؟ وكيف أنهم يجهلون الاسلام وهو الذي بدأ عزيزا قويا بمخالب الاسود . والاسود لا تعرف الذل لان هذا ليس من طبيعتها ، قوة الاسد تزجر لتعلن العزة في الجهات الاربع لو كانت هناك مخالب وأنياب أسد لصا ذلت فلسطين ولما أنهزمت وتشرد شعبها ولكن الواضح أن الاسد أصبح بلا أنياب وبلا صوت يزجر — فمن هنا لم يعد أسدا لأنه فقد صفات الشجاعة التي تميزه وبذلك ضاع الشعب الفلسطيني فلو كانت القلوب براكين تحمل في حناياها لهيبا لجعلها تزحف زحفا نحو الجهاد وتحرير الارض المقدسه

ولتحوّل كل قطرة دم الى شرارة دم .

ثم يتساءل عن عدد المسلمين وعن معنى الاسلام الاجتماعى فيقول :

((لو سئلت ما الاسلام فى معناه الاجتماعى ؟ لسألت : كم عدد المسلمين ؟

فان قيل : ثلثائه مليون قلت : فالاسلام هو الفكره التى يجب أن يكون لها
ثلثائه مليون قوة .

أيجوع اخوانكم أيها المسلمون وتشبهون ؟ ان هذا الشيع ذنب يعاقب

الله عليه .

والفنى اليوم فى الاغنياء المسكين عن اخوانهم ، هو وصف الأغنياء

باللؤم لا بالفنى .

كل ما يبذله المسلمون لفلسطين ، يدل دلالات كثيرة أظنها سياسة المقاومة

كان اسلافكم أيها المسلمون يفتحون الممالك ، فافتحوا أنتم أيديكم . . . كانوا يرمون
بأنفسهم فى سبيل الله غير مكترئين ، فارموا أنتم فى سبيل الحق بالدنانير والدراهم^(١)

ثم يوضح الحكمة من اتجاه المسلمين للقبلة وارتفاع المآذن ماذلك الا لحكمة

أهمية تقتضى رفع الصوت فى الحق واتحاد كلمة المسلمين وتعاونهم فى نصره الحق
وفى جعلهم يدا واحدة تضرب العدو وتحقق العزة .

ويطلب من المسلمين بذل التضحية بالمال فى سبيل نصره فلسطين ويطلب

من العالم الاسلامى أن يصوم يوما واحدا يتهرع به لفلسطين ولو عمل المسلمون

ذلك، لغنيت فلسطين .

ويكرر طلبه والحاجة فى جملة " لوصام المسلمون " ((ويقول : لوصام العالم

الاسلامى كله يوما واحدا وبذلك نفقات هذا اليوم الواحد لفلسطين لاغناها

لوصام المسلمون كلهم يوما واحدا لاعانة فلسطين ، لقال النبي مفاخر الانبياء

هذه أمتى !

لو صام المسلمون جميعا يوما واحدا لفلسطين ، لقال اليهود اليوم ما قاله
آباؤهم من قبل : ان فيها قوما جبارين

أيها المسلمون ! هذا موطن يزيد فيه معنى المال المبذول فيكون شيئا
ساويا .

كل قرش يبذله المسلم لفلسطين ، يتكلم يوم الحساب يقول : يا رب ايمان
فلان ! (١)

جمال الألتماس يتضح في أسلوب الرافعي البليغ في طلبه من المسلمين
الصيام للتبرع لفلسطين . هاليت هذا الألتماس يجد صدى في نفوس المسلمين .
ولو أراد المسلمون التضحية لما أحتاج ذلك لصيامهم لانهم ليس فقراء
فلا موال في أيديهم كثيرة لكن النفوس فقيرة من الدافع للانفاق . لو كان المسلمون
مع فلسطين بقلوبهم وغمائرهم ولو رأوا ما تبر به قوافل الايام من المحن والمصائب
لمدوا أيديهم .

لو سمعوا فلسطين تناد بهم باكية تسمع الزمان صدى انتحابها ليرثت قلوبهم
وبكت محاجرهم ، وأد ميت أفئدتهم وسارعوا ببذل قصارى الجهود لدفع الظلم
عن هذا الشعب المسلم المنكوب .

المرأة والميراث

اعتبره كاتب مسيحي على قضية الميراث للمرأة في الاسلام ذلك الكاتب هو سلامه موسى الذي دعا الى مساواة الرجل بالمرأة في الميراث وكتب ذلك في "المقطم" ، لقد ثار الرافضي على هذا الكاتب الذي يجهل حكمة الاسلام في تقرير الأشياء وقال ان ذلك يعود على ضعف وسوء تفكير الكاتب وتقليده لأوروبا الذي يتضح في قوله :

((ان المصلح المشرع عندنا هو مقلد لأوروبا لا غير في تقليده ، ثم يرد الرافضي عليه بقوله :

" فليس الا أوروبا وتقليدها وإذا لم يكن في أوروبا قرآن ولا اسلام فالاصلاح المشرع عند الكاتب الا يبقى من ذلك شيء " ((١))

ثم يواصل الرافضي في بيان آراء سلامه موسى الذي رد بها على رئيس تحرير المقطم في خشيته أن يقتصر الاصلاح على القشور دون اللباب فيقول انه : ((معتقد أن الأمة التي تشريع في اتخاذ المدنية الحديثة يجب أن تبدأ بالقشور لانها أسهل عليها من اللباب بل هي لا تستطيع غير ذلك " كذلك بدأت اليابان ؟ وهل كل الطبائع كطبيعة بعض الناس ، تستطيع أن تتعلم قشور المدنية وتتصرف الى مذاقها وسفاسفها ؟ ((٢))

ثم يبين الرافضي أن سلامه موسى لا يفهم في الدين لذلك فهو متطفل في اقتراحه الذي يقول فيه :

((ان الطبقة الغنية في الامم هي التي تقرر ديانة الأمة ((٣)) ثم بدأ الرافضي يوضح حكمة الشريعة الاسلاميه في الميراث وأنه مرتب على أساس الزواج وعلى أساس تعديل الاخلاق في المجتمع واستقامة الطبائع فهي تريد من الرجل أن يكون قويا

(١) وحى القلم - مصطفى الرافضي ج ٣ ص ٣٩٣

(٢) " " " " " " ج ٣ ص ٣٩٣ - ٣٩٤

(٣) " " " " " " ج ٣ ص ٣٩٣ - ٣٩٤

وأن يكون قائدا لأسرته بما يقوم به من أعمال عظيمة والقيادة من شأنها العمل والتضحية وتحمل المسئولية ، ومن ثم تحتّم على الرجل أن يمهر المرأة وأن ينفق عليها وعلى أولادها حتى لو كانت المرأة لديها أموال ، فالانفاق مفروض على الرجل ، ويرى الرافعى أن حكمة الدين الاسلامى فى الأشياء لا يفهمها الا من كان قوى الخلق متمسكا بالشريعة الاسلاميه قولا وفعلًا ، متمكنا الدين من نفسه فاهما لتعاليمه نابعًا من ذاته فان لم يكن كذلك فهو بلارب لا يفهم الا فهم الجدل لا فهم الاقتناع .

ثم أوضح أحقية المرأة فى مال الرجل بينما ليس للرجل حق فى مال زوجته ، ثم بين بمعادله دقيقه كيف أن المرأة لو ساوت الرجل فى الميراث لانعدمت المساواة فى الحقيقة لانها ستزيد وينقص ؟ اذ لها حق الميراث وحق النفقة وليس له الا مثل حقها فى الميراث اذا تساويا .

ثم أخذ قول سلامى بالنقد اللاذع حين أفترده أن فى الحق أن تنفق المرأة على الرجل وأن تدفع له المهر ثم تساويه فى الميراث .

هذه بلاشك أفكار هدامه من شأنها زعزعة المجتمع المسلم وقد أدرك الرافعى الخطورة الاجتماعية فى هذا الاقتراح ونشاع النساء الفقيرات اللاتى لا يملكن المهر لدفعه للزوج ، هذا اضافة الى أن فيه أشتهاى للمرأة فى أن تكون هى الطالبة والدافعة مما قد يسبب فساد الزواج لأنه سيكون قائما على مصلحة أكثر ما يكون على مودة وترايط واستقرار وطمانينه وهذا ما يدعو اليه الدين .

ويستطرد فى بيان الضرر الناتج لو تخلى الرجل عن مسئوليته وترك المسئولية

للأمة ، يقول الرافعى فى ذلك :

((ومن هنا وجب أن ينعكس القياس ان أريد أن تستقيم النتيجة الاجتماعية التسي هى فى النفاية لا من حق الرجل ولا من حق المرأة بل من حق الأمة ، وما نساء الشوارع ونساء المعامل فى أوروبا الا من نتائج ذلك النظام الذى جاء مقلوبا ، فهن غلطات البيوت المتخربه والمسئوليه المعتهمة ، وهن الواجبات التى ألقاها الرجال

أنفسهم فوقعت حيث وقعت ! (١) ((

ويوضح الدور الاجتماعي في الحكمة الآلهية السامية في الميراث عندما تدع المرأة نصف حقها في الميراث لأخيها يفضلها به - لتساعده بهذا العمل المشر الذي من شأنه ترابط المجتمعات الإسلامية ، وذلك لأن الاخ عليه أن ينفق على امرأة أخرى هي زوجه وبذلك يتحتم عليه واجب تجاه أمته هذا الى ما فيه من تسهيل بزواج امرأة من النساء .

ويواصل ردوده المقنعه على سلامه موسى المدعومة بالمنطق والحجة حجة الأديب الذي يعرف بأسلوبه الرائع وحكمته الناطقة كيف يتغلغل في النفوس، ويقنع العقول يدفع عن الدين الحنيف ضد هذه الدعوة الخرقاء الباطلة التي تخرج عن حدود الدين ومخالفة الا قول الله تعالى في قوله :

((للذكر مثل حظ الانثيين)) (٢)

هذا اضافة الى أن أقوال سلامه موسى الافتراضية تحكم على فئة معينة من المجتمع وذلك عندما يفترض أن كل الوالدين أغنياء وهذا خطأ جسيم فـ في نظريه أبتدعها تخالف حقيقة اجتماعية يقول الرافعي في ذلك :

((وما نعجب له أن سلامه موسى يتكلم في محاضراته كأن كل الوالدين زوو مال وعقار ، فنصف الأمه على هذا محروم نصف حقه وكأنه لا يعرف أن السواد الأعظم من الناس لا يترك ما يورث ، لا على الربح ولا على النصف وان كثيرا من يموتون - عن ميراث لا يحيا ميراثهم الا أيا ما من بعدهم ، ثم يذهب في الديون ان لا تركة مع دين ، وكثيرون لا يسمن ميراثهم ولا يغني ، فلم تبق الا فئات معينة من كل أمة لا يجوز أن تتقلب من أجلها تلك الحكمة الاجتماعية التي هي من حظ الاممة كلها لقيام بعض الاخلاق عليها كما بسطناه (٣)))

(١) وحى القلم - مصطفى الرافعي ج ٣ ص ٣٩٥

(٢) سورة النساء آية (١٠)

(٣) وحى القلم - مصطفى الرافعي ج ٣ ص ٣٩٦

ثم ينبه الرافعى هنا الى حقيقة اجتماعيه من شأنها أن تحط من قدر المرأة وكرامتها في نظر الرجل الذى يجب أن ينظر اليها نظرة الاحترام لتدوم المشرة الزوجية وليكون بنيان الأسره قويا ، وهذا من شأنه بأن ينعكس على الاجيال التى تنشأ فى هذه الأسره بما تحققه الأسره من استقرار وثبات وأمن نفسى يظلكه الحب وتشطبه السكينه يقول فى ذلك :-

((وما تشمئزله النفوس الكريهه قول المترجم فى محاضرتيه فلو كانت يرثن مثل اخوتهن الذكور لكان (فى ثروتهم) اغراء للشبان على الزواج ان الدين الاسلحى لا يعرف مثل هذا الاسفاف فى الخلق ولا يقره ، بل هو يهدمه هدماً ويوجب على كل رجل أن يحمل قسطه من المسئولية ما دام مطيقاً ان كره أو رضى ، ولعمري ان تلك الكلمة وحدها من كاتبها لهى أدل من اسم المحل على بضاعة المحل (١)

فى هذا المقال يتضح أسلوب الرافعى الذى يعلل حكمة الدين فى أمور يفرضها الله على عباده ، ويرد على كاتب مسيحي هدفه أن يشكك فى أمور الدين التى فرضها الله لعباده وهو يعلم سبحانه وتعالى بما تصلح عليه أمور البشرى وتستقيم به الحياة من أمور شرعها وقدرها .

حجاب المرأة المسلمة

تحدث الرافعي في هذا المقال بعنوان " تربيته لولديه " عن حجاب المرأة المسلمة الذي فرضته الشريعة الاسلاميه على المرأة لتجمل المرأة عزيزة كريمة ولكن هناك من رفع " علم الجهاد " لتحرير المرأة أمثال قاسم أمين ، الم يكن قاسم أمين يدرك الاضرار الناجمة عن آراءه التي تدعو للسفور ؟

ثم يوضح الرافعي فوائد الحجاب للمرأة المسلمة فيقول :

((وما هو الحجاب الا حفظ روحانية المرأة للمرأة ، واغلاء سمرها في الاجتماع وصوتها من التبذل المفقوت ، لضبطها في حدود كحدود الريح من هـذا القانون الصارم ، قانون العرض والطلب ، والارتفاع بها أن تكون سلعة باثرة ينادى بها في مداخل الطرق والاسواق (١)))

ثم يوضح الرافعي الحكم من ايجاد الحجاب الشرعي للمرأة لتمارس وظيفتها التي خلقها الله لها في أخفى طبائعها " الرحمة " .

يقول الرافعي :

((ما هو الحجاب الشرعي الا أن يكون تربية علمية على طريقة استحكام العادة - لاسي طباع المرأة وأخصها الرحمة ؟ هذه الصفة النادرة التي يقوم عليها الاجتماع الانساني على نزعتها والعنازة فيها مادامت سنة الحياة نزاع البقاء ، فيكون البيت اجتماعا خاصا سالما للفرد تحفظ المرأة به منزلتها ، وتؤدي عملها ، وتكون مفرسا للانسانية وغارسة لصفاتنا معا (٢)))

ثم يتحدث الرافعي عن الحجاب الاسلامي وأنه لم يوضع للمرأة نفسها ، بل على الاخلاق لتحسي المرأة من كل ما يخالطها بسوء إذ أن الحجاب هو كالمـر—ز يقول الرافعي في ذلك :

(١) وحى القلم - مصطفى الرافعي ج ١ ص ١٩٥

(٢) " " " " " " ج ١ ص ١٩٦

((فليس الحجاب الا كالرمز لما وراء من أخلاقه ومعانيه وروحه الدينية المعبدية ، وهو كالصدفة لا تخجب اللؤلؤ ولكن تربتها تربية للؤلؤة ، فورا الحجاب الشرعى الصحيح معانى التوازن والاستقرار والهدوء والاطراد ، وأخلاق هذه المعانى وروحها الدينية القوى ، الذى ينشئ عجيبة الاخلاق الانسانية كلها ، أى صبر المرأة وإيثارها ، وطى هذين تقوم قوة المدافعة ، وهذه القوة هى تمام الأخلاق - الانسانية كلها ، وهى سر المرأة الكاطة ، فلن تجد الأخلاق على أتمها وأحسنها وأقواها الا فى المرأة ذات الدين والصبر والمدافعة . انها فيها تشبه أخلاق

نبي من الانبياء (١) .

وما زال الرافعى يرد على كل من يدعو الى السفور وينقم عليه لان السفور معناه التجرد من الاخلاق .

وقد كتب الرافعى الى أبى ربه عن رأيه فى الحجاب والسفور يقول فيه .

((أما جريدة السفور فقد رأيت منها عددان كانا مع صادق عنبر وما حمدتها فهى ورق وطبع وكأنها بموضوعاتها عربة من الدرجة الثالثة فى قطار الاكسبريس . وفوق ذلك فإننا نأتم أشد النقمة على مبدء هذه الصحيفة أى السفور (فأى سفور يريدون أخزاه الله . وقد حجت نساء النبی - صلى الله عليه وسلم - وهو أكمل من شئ على الارض ومن يمش .

وهن أمهات المؤمنين من سلف ومن يأتى والكلام طويل يا أبا ربه ولكن هؤلاء لا يفقهون دينهم ولا أسرار دينهم ولا ينظرون للمصلحة الصحيحة لكل هيئة اجتماعية نفسية بل يريدون هيئة علمية عقلية (٢) .

هذه آراء الرافعى المناهض للدين لكل من أراد أن يتعرض لآحكامه

(٢) وحى القلم ج ١ - مصطفى الرافعى ج ١ ص ١٩٧

(٢) رسائل الرافعى جمع وترتيب محمود أبوريه ص ٥٧-٥٨

يزودها بالامثلة المقتبسة التي تعلل وجود الامور الدينية وحفاظا على مكانة
المرأة المسلمة عظيمة من الخير لها أن لا تجرى وراء الحضارة الزائفة التي تقلل
من شأنها وقيمتها التي وضعها فيها الاسلام وجعلها عزيزة ينظر اليها بالتقدير
والاجلال .

الأجنبية

تحدث الراقص في هذه القصة عن زواج مصرى من احدى الأوربيات وقصد
أفتتن هذا الطالب المبعث بالأوربية وتزوجها ولكن قد دفع ثمن هذا الزواج -
جريمة من حياته وسعادته وندمه على اقترانه بتلك الأوربية التي لا دين لها ولا خلق
هذا إضافة الى الأختلاف واليهن الشاسع فى العادات والتقاليد وقد أوضح
مضار الزواج بالأجنبية بصورة الأديب المسلم يقول فى ذلك :-

((لا تتزوجوا يا اخوانى المصريين بأجنبية ، ان أجنبية يتزوج بها مصرى

هى سدس جرائم فيه ست قذائف :

الأولى : يوار امرأة مصرية وضاعها بضاياع حقها فى هذا الزواج ، وتلك جريمة و
وطنية فهذه واحدة .

والثانية : اقحام الاخلاق الأجنبية - عن طباعنا وفضائلنا - فى هذا الاجتماع
الشرقى ، وتوهينه بها وصدده ، وهى جريمة أخلاقية .

والثالثة : دس الصروق الزائفة فى دمائنا ونسكنا ، وهى جريمة اجتماعية .

والرابعة : التمكين للأجنى فى بيت من بيوتنا ، يملكه ويحكمه ويصرفه على ما شاء ،
وهى جريمة سياسية .

والخامسة : للمسلم منا ايثاره غير أخته المسلمة ، ثم تحكيم الهوى فى الدين
ما يحبه وما لا يحبه ، ثم القاه السم الدني فى نبع ذريته المقبلة ، ثم
صيرورته خزبا لأجداده الفاتحين الذين كانوا يأخذونهم سبايا ، ويجعلونهم
فى المنزلة الثانية أو الثالثة بعد الزوجة ، فأخذته هى رقيقا لها ، وصار
معها فى المنزلة الثانية أو الثالثة بعد . . وهذه جريمة دينية .

والسادسة : بعد ذلك كله ، أن هذا السكين يؤثر أسفه على أعلاه . . ولا يبالى

فى ذلك خمس جرائم فظيعة وهذه السادسة جريمة انسانية ((١))

هذه النصائح التي قدمها الرافعي للشباب المسلم الذي يذهب للدراسة في أوروبا ويتزوج الأوربية دونما تفكير في المصير الذي سيؤول اليه والمتاعب التي سيجنيها نتيجة هذا الزواج الذي لا يسعده وإنما يقضى على مستقبله ومستقبل أبنائه ومجتمعه بدخول هذه الفرية ونشر أفكارها ومعتقداتها بين أبنائها وما يشكل هذا من ضرر على عقيدة الأبناء وتربيتهم وسلوكهم .

لحوم البحر

لقد كان الراقصى مسلماً غيورا من واقع حرصه على دينه وعرويته ، وذلك بما شاهده فى المجتمع من الانحلال فى الخلق والبهمة عن الدين واتباع الهوى وغواية الشيطان ، وتهديد جهنم فى عقول الناس حتى نسوا عذاب الله وفى ذلك يقول :

((لكأنما والله تعدد على سيف البحر فى الاسكندرية شيطان مارد من شياطين ما بين الرجل والمرأة ، يخدع الناس عن جهنم بتبريد معانيها ، وقد أمتلأ به الزمان والمكان ، فهو يورث ذلك الرمل بذلك الهواء رعدة أعصاب حية ، ويرسل فى الجوف نفخات من جرة الخمر فى شاربها نار هفريد ، ويطلع الشمس للاعيان فى منظر حسناء عريانة القت ثيابها وحياءها معا ؟ ويرى الليل ليفطى به المخازى التى خجل النهار أن تكون فيه ((١))

ثم يبين الراقصى أثر الشيطان فى الناس ، وكيف أنه يوسوس لهم ، ويؤزم لهم طريق الفجوة والضلال ، بأسلوب لا يشعرون معه ، أنهم متقادون لخطأ جسيم يفسد دينهم وينزع الفيرة الإسلامية من نفوسهم ، ويصور لهم أن هذا علاج الضرر والطل فأسمه يقول :

((ولعمري ان لم يكن هو هذا المارد ، ما أحسبه الا الشيطان الخبيث الذى ابتدع فكره عرض الآثام مكشوفة فى أجسامها تحت عين التقى والفاجر ، لتعمل عليها فى الطباع والأخلاق ، فسول للنساء والرجال أن ذلك الشاطىء علاج الطل من الحر والتمب ، حتى اذا اجتمعوا ، فتقاربوا ، فتشابهوا سول لهم الاخرى أن الشاطىء هو كذلك علاج الطل من الفضيلة والدين !

وان لم يكن اللعينان فهو الرجيم الثالث ، ذلك الذى تألى أن يفسد الآداب الانسانية كلها بفساد خلق واحد ، هو حياء المرأة ، فبدأ يكشفها

للرجال من وجهها ، ولكنه استمر يكشف . . وكانت تظنه نزع حجابها فاذا هو
أول عريها ، وزادت المرأة ، ولكن بما زاد فجور الرجال ، ونقصت ، ولكن بما نقص
فضائلهم ، وتغيرت الدنيا وفسدت الطباع ، فاذا تلك المرأة ممن يقرونها على
تبدلها بين رجلين لا ثالث لهما : رجل فجر ورجل تخنت ((١))

وهذا جزء من قصيدة ففي نظمها **يقول فيطحي** لسان الرافعي يقول نبياً :

((يا لحووم البحر ! سلخك جزار من ثيابك

جزار لا يذبح بألم ولكن بلذة

ولا يحز بالسكين ولكن بالمأطفة

ولا يميت الحي الا موتاً أدبياً

الى الهيجا ، يا أبطال معركة الرجال والنساء

فهنا تلتحم نواويس الطبيعة ونواويس الاخلاق

للطبيعة اسلحة المعرى ، والمخالطة ،

والنظر ، والأنس ، والتضاحك ، ونزوع المعنى الى المعنى

وللأخلاق المهزومة سلاح من الدين قد صدى ، وسلاح من الحياة مكسوراً

يا لحووم البحر اسلخك من ثيابك جزار ((٢))

هذا هو الرافعي المسلم الذي يذود عن الدين بقلعه ، والذي اتخذ

مادة فكره من المناظر المؤلمة التي رآها على شاطئ البحر محذراً من عاقبة هذه

الاعمال الوخيمة التي تفسد المجتمع ، وتنتشر فيه الرذائل باسم الحضارة الزائفة .

(١) وحى القلم - مصطفى الرافعي ج ١ ص ٢٥٦

(٢) " " " " " " ج ١ ص ٢٥٨

الفصل الثاني

مؤلفاته الدينية

اعجاز القرآن والبلاغة النبوية

كان الرافعي كاتباً اسلامياً مؤمناً صادق الإيمان ، مدافعاً عن الدين الاسلامي ، حامياً له من كيد الكائدين الذين يريدون أن يشككوا في أغراضه النبيلة ، وقد أينعت هذه البذور في نفس الرافعي ، وآتت أكلها شهيراً حين أصدر كتابه ((تاريخ آداب العرب)) الجزء الثاني الذي عرف باسم " اعجاز القرآن والبلاغة النبوية " والطبعة التي بين أيدينا هي الطبعة الثامنة ، مصدرة بفاتحة لسعيد العمريان ، وكله لسعد باشا زغلول ، ثم مقدمة الطبعة الثالثة للكاتب مصطفى صادق الرافعي وقد تحدث في هذا الكتاب عن القرآن ووصفه من حيث الألفاظ والمعاني ، وتوهم العرب أنه سحر واثامهم للنبي - صلى الله عليه وسلم - بالجنون ، كما تحدث عن تاريخه وجمعه وتدوينه وابتداء الوحي سنة ٦١١ للميلاد ثم الهجرة الى المدينة في سنة ٦٢٢ ، ونزول القرآن مكياً ومدنياً ، وأن^{بعض} الصحابة في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - كانوا يحفظون القرآن ولكن في غزوة " أهل اليمامة " مات كثير من الصحابة ، فأشار عمر على أبي بكر بتدوين القرآن فدون القرآن وأيضاً أبان الرافعي أن لغة القرآن هي لغة قريش ، وقد أثر القرآن في هذه اللغة ، إذ أنه تناول المعاني الدقيقة وأبرزها في جلال الاعجاز ، وعرض في هذا الأمر عرضاً مفصلاً أظهر فيه مدى تأثير القرآن في اللغة ، ثم تحدث عن آداب القرآن وأن آدابه هي الآداب الانسانية المحضة ، وتحدث عن القرآن والعلوم ، وتأثيره على العقل الانساني ، وأنه أصل النهضة الاسلامية ، ثم أفصح أسرارهِ وكيف أنه معجزة ، وأن اعجازه الآيات الكونية والفلسفية ، وأورد فصلاً في اعجاز القرآن والأقوال في الاعجاز كما تحدث عن أسلوبه الذي اعتقل العرب عن الكلام وأظهر

ضعفهم بنظمه وتركيبه ، ثم انتقل بعد هذا الى البلاغة النبوية ، ووصف
الناظم — صلى الله عليه وسلم — وما هذه البلاغة الا اللسان الذي نزل به
القرآن بحقائقه ، وتحدث عن فصاحته وصفته واحكام منطقه واجتماع كلامه
وقلته ، ونفى الشعر عنه .

هذه بعض الموضوعات التي أحتواها كتاب " أعجاز القرآن والبلاغة
النبوية " وقد أوردت بعضها لتظهر مكانه هذا العمل الرافعى الجليل .

بدأ الرافعى مقدمته ببيان حالة أهل العصر وانقسامهم الى فريقين —
فريق الطاعة ، وفريق المعصية ، وان فريق الطاعة قد عرف طريق الهدى
وسلكه ، ولكن فريق : المعصية قد ضل سواء السبيل ومن هنا جاءت الشقوة
للشريعة الضالة ، البشرية التي لم تعرف الهدى ولم تعرف الراحة فهي
حائرة فى طريقها ، لان زمام الأمور قد انفلتت من أيديها حينما فقدت ايمانها
ولا تشى " يهدى النفوس سوى الايمان العميق الذى به تعرف الطريق المستقيم ،
وتشفى من عطلها وأمراضها التي ألتمت بها من متاع الحياة والسير فى دربها
الشاق مع الايمان واليقين بسير المؤمنين ثابت الخطا مطمئن الضمير فى سكينه
من القلب وثقة فى الحق والخير وأن هو غير هذا الطريق فقد حاد عن
الحق وصار من فريق المعصية ودعاة الشبه الذين يقول الرافعى فيهم :

((يتخذون المعلم درية لافساد الناس وتحليل عقد هم الوثيقة وتوهين أخلاقهم
الصالحة القوية ويزعمون للمعلم معنى ان يكن بعضه فى العلم فأكثره فى الجهل
وان يكن له صواب فله خطأ يفسر صوابه ، وان كان فيه ما يرجع الى عقول العلماء
ففيه كذلك ما يرجع الى عقولهم هم)) (١) .

ثم يرد على المحتجين بالعلم ، في حل الأمور ويخبرهم بأن العلم لا يستطيع أن يحل مشكلة فوق العقل لأن العقل محدود ، والعقل المحدود هذا بعلمه المحدود لا يستطيع أن يوجد شيء معدوما ، وإنما يكشف عن الموجود ، وعندما يكشف عن الموجود لا يصل الى يقين ان اليقين انما يكون بالدين لا بالعلم الذي يزعمون والعلم في نظره :-

« ان هو الا ترجمة جزء من الوجود الى الكلام والمعل ، فهو لا يوجد شيئا غير موجود ، وإنما يكشف عن الموجود ويتسع في المبارة عنه ويحاول جعله بنفسه ، وما هو الا ظاهرة من جزء من كل ما وراء الكل (١) » .

ثم يوضح سبب عداوة فريق المعصية للقرآن ومحاولتهم التعرض للقرآن وذلك لجہلهم باللغة وأسرار البیان ، حتى أنهم جعلوا القرآن كتابا كأي كتاب يجرون عليه الحكم ، وما ذلك الا للجهل الذي يعنى أبصارهم من الحقيقة أما سبب نعتهم على القرآن فيرجع الى ما يتميز به من استقرار وثبات بينما كل شيء قابل للتغيير والتبدیل ، لكن هذا الكتاب جعله الله معجزة لكل زمان الى أن تقوم الساعة .

• القرآن •

تحدث الرافعى فى هذا الفصل عن وصف القرآن ، وعن آياته المنزلة من السماء ، وكيف أن الارض تصبح سماء بهذه الآيات التى هى منها كواكب أى أن هذه الآيات زينة الأرض فهى فى الأرض بمنزلة الكواكب فى السماء ، فى الاشعاع والنور والهداية والارشاد ، وأن العرب أظفوا قلوبهم عن سمع القرآن ، وذلك لاعتلال فى نفوسهم ما جعلهم يحيدون عن الطريق ولكنهم أقبح أفعال هذه القلوب ، فصالوا وجالوا ولكن من يستطيع أن يصد السيل اذا هدر ، ثم يبين اعتراض العرب على القرآن باللسنة ، وتخطأروهم لـه ببعضها ثمهم ، ولكن أمر الله نافذ لا يستطيع أحد أن يرد القدر .

ثم شبه الرافعى الفاظ القرآن الجزلة بأمواج البحار الزاخرة ، وعند ما تلين فهى أنفاس الحياة الآخرة وفى ذلك يقول :

• الفاظ اذا اشتدت فأمواج البحار الزاخرة واذا لانت فأنفاس الحياة الآخرة ، تذكر الدنيا فمنها عمارها ونظامها وتصف الآخرة فمنها جنتها وصرامها ، ومتى وعدت من كرم الله جعلت الثغور تضحك فى وجوه الفيض وان أوعدت بعذاب الله جعلت الألسنة ترعد من حمى القلوب (١)

ثم يصف معانى القرآن بصورة واضحة ناهض بالحياة تنسكب فى القلب المؤمن وتزيد ايمانا وبقينا وتجعله اكثر حبا وشغفا بمعرفة المزيد من معانى آيات الذكر الحكيم وأمام أسلوب الرافعى العتق الذى يلامس أوتار القلوب يشعر المرء أنه أمام فن جميل فى التعبير ووصف دقيق يخرج اللؤلؤ من صدقاته ليرى الناس البريق الذى لم يكن واضحا أمامهم ، فتهب النفوس نشطة

مرحبة لترتوى بمذوبة هذه المعانى ، وبالنور المشرق الذى يبعث فى النفس الأمان ، بما يخلقه فيها من معانى المبرة والمطة الذى يسكن الآلام ، ويريح النفوس ، ويبعث فيها الخشوع ويوضح معالم الطريق للمسلم ليرى حقيقته وتمثل أمامه خطاياه ليعتمد عنها ويسمو بأنسانيته .

بهذا الوصف الدقيق الذى أتى به الرافعى لمعانى القرآن الكريم ولأثره فى النفس المؤمنة ما يجعلها تشرق بهذه المعانى السامية ، وترى أن تطير بجناح الحب والشوق تمهدا وتمسكا بالقرآن الكريم ، فلا يملك المسلم إلا أن يمارع الى القرآن الكريم خاشعا ...

تاريخ القرآن

جمعه وتدوينه

تحدث الرافعي في هذا الفصل عن نزول القرآن منجما في بضع وعشرين سنة ، ورغم نزوله كذلك عجزوا عن الاتيان بأقصر سورة منه ، ثم تحدث عن ابتداء نزول الوحي سنة ٦١١ للميلاد بمكة ، وهجرته - صلى الله عليه وسلم - في سنة ٦٢٢ الى المدينة ، وقد نزل القرآن مكيا ومدنيا ، ثم تحدث عن جمع الصحابة للقرآن فقال :-

* وكان بعض الصحابة يكتبون ما ينزل من القرآن ابتداء من أنفسهم أو بأمر من النبي - صلى الله عليه وسلم - فيخطونه على ما اتفق لهم يومئذ من المسبب والكرانييف واللخاف من الشاة والأبل ، وكل ما أصابوا من مثلها ما يصلح لغرضهم ، يكتب كل منهم ما تيسر له ، ولكن لما لاشك فيه أن منهم قوما جمعوا القرآن كله لذلك العهد ، وقد اختلفوا في تعيينهم بيد أنهم أجمعوا على نفر منهم على بن أبي طالب ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن مسعود وهؤلاء كانوا قادة هذا الأمر من بعد ، فان المصاحف حتى اختلفت بالثقة كانت ثلاثة : مصحف ابن مسعود ، ومصحف أبي ومصحف زيد ، وكلهم قرأ القرآن وعرضه على النبي - صلى الله عليه وسلم - فأما ابن مسعود فقرأ بمكة وعرض هناك وأما أبي فأنه قرأ بعد الهجرة وعرض في ذلك الوقت ، وأما زيد فقرأه بعدهما وكان عرضه متأخرا عن الجميع ، وهو آخر العرض ان كان في سنة وفاته صلى الله عليه وسلم - وبقراءته كان يقرأ عليه الصلاة والسلام ، وكان يصلح الى أن لحق بربه .

أما على بن أبي طالب فقد ذكروا أن له مصحفا جمعه لما رأى من الناس طيرة عند وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - وفي الفهرست لابن النديم

أنسه رأى عند أبي يعلى حمزة الحسيني مصحفا بخط علي يتوارثه بنو حسن ،
ونحن نحسب ذلك خيرا شيعيا لأنسه غير شائع (١)

ان الله سبحانه وتعالى أراد للقرآن الكريم أن يبقى خالدا مدى الدهر
وقد سخر الله عباده الصالحين لجمعه في حياة الرسول وعرضه عليه . .

القراءة وطرق الاداء

تحدث الرافعي في هذا الفصل عن اختلاف القراءات في القرآن الكريم وأدائها - اختلافاً واضح جميعه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصحت قراءته ، وهو كان أعظم العرب بوجه لغتها .

ولو أن القرآن الكريم نزل على لفظ واحد ما كان بصائر شيتا وهو على ما هو احكاما وابتداعا فهذه واحدة .

والحكمة الاخرى من هذه القراءات هي :

تيسير القراءة والحفظ على قوم أميين لم يكن حفظ الشرائع ما عرفوه فضلا عن أن يكون ما ألفوه .

وثالثة : تلحق بمعاني الاعجاز ، وهي أن تكون الألفاظ في اختلاف بعضها صورها ما ينهيها معه استنباط حكم او تحقيق معنى من معاني الشريعة ، ولذا كانت القراءات من حجة الفقهاء في الاستنباط والاجتهاد ، وهذا المعنى ما انفرد به القرآن الكريم ثم هو ما لا يستطيعه لغوى أو بيانى فى تصوير خيال فضلا عن تقرير شريعة .

ثم ذكر الرافعي وجود الاختلاف الطبى - كاختلاف القراءات فى العرب ما تفهم له تلك الطباع المختلفة به وجهها ، لان كل عربى ثبت على لحنه فى النطق او القراءة .

ثم استشهد بحديث عن عمر بن الخطاب فى اختلاف القراءات يقول فى ذلك : ((روى عن عمر بن الخطاب قال : سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان فى حياة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاستمعت لقراءته ، فاذا هو يقرأها على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك ، فكسدت أساوره فى الصلاة فصبرت حتى سلم ، فلما سلم لم يبت به بردائه فقلت : من

مفردات القرآن

تحدث الرافعي عن مفردات القرآن التي سميت بالفرائب فقال :

((وفي القرآن الفاظ اصطلاح العلماء على تسميتها بالفرائب ، وليس المراد بفرائبها أنها منكورة أو نادرة أو شاذة ، فان القرآن منزله عن هذا جميعه ، وانما اللفظة الفريبه ههنا هي التي تكون حسنة مستفيدة التأويل ، بحيث لا يتساوى في العلم بها أهلها وسائر الناس ، وجعلها عدوه من ذلك في القرآن كله ، سبعا لفظه ، أو تزيد قليلا ، جميعها روى تفسيره بالسند الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وهو ذلك المعجم اللغوي الحى الذى كانوا يرجعون اليه كان رحمه الله يقول : الشعر ديوان العرب ، فاذا خفى علينا الحرف من القرآن الذى أنزله الله بلسان العرب رجعنا الى ديوانها فالتبسنا معرفة ذلك (((

الجنسية العربية في القرآن

تحدث الرافعي في هذا الفصل عن الجنسية العربية ودورها في حفظ القرآن الكريم ، وأن الله سبحانه وتعالى ما أصلح هذه الجنسية الا حفظا لكتابه واظهار الوجه من وجوه اعجازه الخالدة ، وذلك أنه سبحانه وتعالى جعل هذا القرآن هاديا ومرشدا للبشرية ، وبالعرب المؤمنين ازدهر الاسلام فهم كالبنيان المرصوص ، واذا تفرقوا سطعوا في تيجان السالك كالنفوس هذه سياسة القرآن يقول في ذلك :

((تلك سياسة هذا القرآن : جمع العرب لمذهب الأقدار وتصاريح التاريخ رأي السنتهم تقوى أرواحهم ، فقادهم من السنتهم وبذلك نزل منهم منزلة الفطرة الغالبة التي تستبد بالتكوين العقلي ، في كل أمة فتجعل الأمة كأنما تحمل من هذا العقل مفتاح الباب الذي تلج منه الى مستقبلها من هذا العقل بعينه ، فلما استقاموا له أقامهم على طريق التاريخ التي مرت فيها الأمم وطرحت عليها نقائصها فكانت فيها رها ، وأقامت فضائلها فكانت آثارها ؟ فجعلوا يبنون عند كل مرحلة على أنقاض دولة دولة ، ويرفعون على أطلال كل مذلة صولة ، ويخييطون جوانب العالم الممزق بابر الاسنة ، وراءها خيوط من الأعنسة حتى أصبح تاريخ الارض عربيا ، وصار بعد الذلة والمسكنة ألبيا)) (١)

ان هذه الجنسية العربية جعلت العرب بعد الاسلام يخرجون من تاريخهم وكأنهم نزعوا جلدتهم نزعا كل هذا بتأثير هذه الجنسية التي هدمت الماضي في نفوسهم ، ولكنه هدم الى بناء جديد وفي ذلك يقول الرافعي :-

((فالقرآن الكريم يتمكن من فطرة العرب على وجهه المعجز ، قد نزل منهم منزلة الزمان في علمه وآثاره ، لان الذي أنزله بعلمه وقدره بحكمته انما هو خالق

الزمن نفسه ، فهدم في نفوس العرب وكان هدمه بناءً جديداً جعل الأمة نفسها قائمة على أطلال نفسها ، وبذلك أحكم عمل الوراثة التي تعمله الفرائز والطباع ، إذ تبني بالهدم ، وتقيم التاريخ من أنقاض التاريخ ، وهذا هو الفرق بين العمل الأنساني ، والعمل الالهي ، وبين شيء يسمى مكنًا وشيء يسمى معجزاً (((٢) .

ثم يواصل حديثه عن الجنسيه ويصف حال العرب قبل الاسلام بأنهم جفاة ، ولم يستصلحوا أنفسهم الا بما يفسد جماعتهم ، ولم يقيموا عزاً لأنفسهم الا ليزلوا غيرهم ، كأنهم يعيشون في عالم الفابتناحر وحرب ، كيف يجتمع الضدان العداوة والمحبة ، كيف تتألف هذه القلوب ، بقدرة الله كان ذلك اجتمعت هذه القلوب وزالت عصبية الاجناس والألوان من النفوس ، ولا عصبية الا — للأرواح ، وما اعظم عصبية الارواح لأنها تساوى بين النفوس ، وتسير الأرواح في سيرها الصحيح ، وتجعل الامم بوجهها كيف أقبلت لأنه لا توجه الا لله ، وبذلك كان بينهما وبين الله كل ما تحت السماء ومن هذا المعنى نشأت الجنسية العربية الى النهايه ان الجنسية العربية في القرآن جعلت من المسلمين أمة واحدة حيث أن كل الأم يجب أن تقرأ القرآن بلسانه العربي المبين ، وبذلك تزول مذاهب الجنسيه ، وتبقى الجنسية الطبيعیه التي هي في الحقيقة لنون القلب لا سحنة الوجه .

((لقد جمعت الجنسية العربية في القرآن أمة الاسلام والفت بين قلوبهم على اختلاف أشكالهم والوانهم وأجناسهم ولغاتهم ، فالقرآن الكريم جعل — الجنسية العربية منطلقاً أولياً بالاسلام في تاريخ الأرض كلها ، حتى لقد أوشك تاريخ الأرض أن يكون عربياً في أقل من مائة عام ، ولا عجب في ذلك فقد صفى

الاسلام الطباع وصقل الروح العربيه هذا بعضا منا قاله الرافعى فى الجنسية العربيه ، وهذا يدل على قدرته وتعمقه ، وعلى ادراكه الواعى لأنواع اعجاز القرآن ويتضح منها عمق ايمانه وعربيته الأصيلة على اعتزازه بدينه ولفته ((١))

فى هذا العصر الذى غزا الفكر الأوروبى العقول وأصبح تفاخر الناس بتعلم اللغات الأجنبية وما يؤسف ما وصف اليه حال العالم العربى الذى أصبحت اللغات الأجنبية فى تعلمها هى مفاخرهم وحضارتهم التى يتباهون بها ، وحتى الذين لا يجيدون تعلمها يتحدثون ببعض الالفاظ ليعلموا الآخرين أنهم متحضرون ليت هؤلاء تعلموا لغتهم وفهموا اسرارها وتمسكوا بها اذا كانت مصدر عزتهم وتكريمهم بها فيها من أسرار عميقة وميزات خالدة ، ولكن هذا لا يمنع من تعلم اللغات الاجنبية ، لنواكب الامم الاخرى فى حركة التطور الدائم ، ولتسير فى ركاب الحضارة ، لان الغرب اليوم أصبح فى يده كل المخترعات الحديثه ، ولكن ليس على حساب لغتنا العربيه ودينا الحنيف الذى اليه المآل والمصير .

(١) نحو أدب - اسلامى معاصر - مصطفى صادق الرافعى والاتجاهات

الاسلاميه فى أدبه د . على عبد الحليم محمود ص ٢٤١ - ٢٤٤

آداب القرآن

ان آداب القرآن الكريم هي آداب الأنسانيه المحضه التي ترشد الأنسانيه الى طريق الحق والهدى ، وتقودهم الى الأمن والطمأنينه والسكينه التي فقد ها العالم بسبب الاضطرابات ، والظلام الحالك الذي يعيش فيه قبل نزول القرآن ولكن هذا التشريع وحده النفوس على الحق والخير ، وأسس الخلق الأنسانى وجعله قويا لا يضعف ولا يتزعزع أمام تيارات الحياة المضطربة .

وسمها بذل العلماء من جهود ليضعوا مقياس ومعالج وحدود لهذه ...
الأنسانيه لن يستطيعوا ذلك ، لان الآداب تحتم على الفرد أن يكون دائما مع الحق ، حتى لو كان هذا الحق على نفسه .

يقول الرافعى فى ذلك :-

((من أجل ذلك كانت آداب القرآن ترمى فى جملتها الى تأسيس الخلق الانسانى المحض الذى لا يضعف معه الضعيف دون ما يجب له ، ولا يقوى معه القوى فوق ما يجب له ، والذى يجعل الأدب عقيدة لا فكرا اذ تهت عليه البواعث من جانب الروح ، ويجعل وازع كل امرئ فى داخله ، فيكون هو الحاكم والمحكوم ويرى عين الله لا تنفك ناظرة اليه من ضميره)) (١) .

ثم يبين الرافعى سبب القوة الروحية فى آداب القرآن الكريم وكيف أنها استطاعت أن تغير طباع الجماعه الجفاة من العرب ، ويسطوا سلطانهم على تلك الجزيرة حتى بلغت أضعافها ، وأنشأت جيلا من أصحاب الرسول - صلى الله عليه وسلم - من أفضل الأجيال بما يتميز به كل منهم من علو النفس ، وصفاء الطبع ورجاحة العقل . ذلك أن الأخلاق الأنسانيه بما فيها مجتمعة فيهم كما قال تعالى :

((محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم يسجدون له جميعاً أولئك هم الأنبياء من قبلكم وآلهم أزواجهم نفساً غافلون))
 (((١))) السجود

لقد سيطر فجر الاسلام بهؤلاء البشر الذين كان عددهم قلة الى أن تكاثر شيئاً فشيئاً ، وبذلك استطاعت آداب القرآن أن تؤلف بينهم وأن تجعل لهم نظاماً واستقراراً ، وتضع لهم قلباً اجتماعياً عاماً استولى على ما فيها من التصورات والفكر والادراك والاعتقاد .

هذه الصفات المجتمعة أمدتهم بالقوة قوة الآداب الاجتماعية مقتد بهم بالرسول — صلى الله عليه وسلم — الذي وصفه الله بقوله :

((وانك لعلى خلق عظيم)) (٢)

ثم يوضح الرافعي أن الأصل الأول لهذه الاخلاق هو (التقوى) وهي الضابط التي وضعها القرآن لآحكام ما بين الانسان والخلق وقد جعل الله سبحانه وتعالى الرقيب على الانسان هو ضميره الذي منه تهبث تصرفاته التي تحكه وتمنعه وتجعله طائعاً خاضعاً لأوامر خالقه مجتنباً عن نواهيها ، وما أعظم الرقيب عندما يأتي من النفس ، هو الذي يكون حارساً لها من الضلال والانحراف وهو المقوم اعوجاجها ، وهو الذي به تصلح المجتمعات البشرية ، لان النور ينبعث من داخلها لهدايتها وحمايتها وارشادها ، عندها لن يكون هناك تفاضل بين انسان وآخر الا بالتقوى بها تكون المساواة وفي ذلك يقول الرافعي :-

((وهذا الاصل — أصل المساواة — هو الذي كشفه القرآن بقوله عز وجل :

((يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا

ان اكرمكم عند الله اتقاكم)) (٣)

اذن أصل المساواة هو ما أوضحه القرآن في الآيه السابقة من التعارف بين الشعوب والقبائل وقياس التفاضل في هذا التعارف ((هو التقوى)) فبالـتقوى يتلاشى الخصام والتباخر من جميع النفوس ويتبادر الناس الى هدف واحد * هو التقوى * وهذا الهدف هو الذى أوضحه الاسلام لينقذ البشرية من الشموخ بالمعصيه والتفاضل بالاحساب والأنساب والأموال وهذه الغايه هى التى يلتقى عندها المجتمع الاسلامى ليحققها وان لم يستطع فهو بلا شك قد ضل الطريق وفارق الهدى وقد أوضح الرافعى أركان الفضيلة الاجتماعيه الكبرى فى ثلاث كلها حرية واستقلال :

(١) استقلال الارادة وقوتها وهذا هو الذى يكون عنه (الأمر بالمعروف) لا يكون بدونه البته .

(٢) استقلال الرأى وحرية ، ويكون منه (النهى عن المنكر) ولا يمكن أن يكون بغيره .

(٣) استقلال النفس من أسر العادات والاهام النظر والفكر فى مصنوعات الله ، ولا يكون الايمان ايمانا على الحقيقه بدونه ثم هذا الايمان هو الذى يسند الركبتين المذكورتين آنفا ويشدهما ويقم وزنهما الاجتماعى فيمض على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بثقه الهية لا يعترضها شىء من عوارض الاجتماع التى تعترى الناس من ضعف الطبع الانسانى (١) .

وقد بين الرافعى أيضا قوام الانسانى وهى جملة ما ترمى اليه آداب القرآن : الاولى : تعين النسبه الصحيحه فى المساواة بين الانسان والانسان وهو يركز على المساواة ويكررها وهو مدرك للفساد الناجم ان فقدوا المسلمون — قوة وتسلط تظهر فى المجتمعات ، ويظهرها تتمكن من المجتمع ، ويصبح

مجتمعا مضطربا لا بقاء فيه الا للتنازع . .

الثانيه : حياة هذه النسبه الانسانيه فيما يبطل به الإنسان من الخير والشر فتنه حتى لا يحيف القوى ولا يستيئس الضعيف ، ولتنصرف رغائب الـ على تباينها في السياسة والاجتماع ، وما اليها من الهزاهز كالحرور ونحوها ، الا عملا انسانيا يبتغى به دفع اعتداء واقرار حق ورد باطل وتكوين زيف .

الثالثه : حد هذه النسبه في الانسان بالقياس الى القوة الزليه ، حتى يتحقق معنى المساواة فيها ، فان كل ما هو أدنى فهو سواء في النسبة الى ما هو أعلى وان اختلف مع ذلك في نفسه وبان بعضه من بعض . ولولا هذا الحد لما أمكن أن يجمع الناس على آداب يكون من غايتها أن تحسب الأنسانيه فيهم ، ان يمدون هذه الأنسانيه من قلوبهم الى ما وراء انكارها والتكذيب لها ، فلا يبقى لآدابها وجه تعتبر منه أو يؤخذ به في أمرها ومن ثم لا تكون الأنسانيه الا الفلظه والفظاظه في الأقوياء والا الذليه والمسكينه والضعفاء (١)

وبعد : فذلك هي آداب القرآن الكريم كما تحدث عنها الرافعي حديث المؤمن المثقف بالثقافه الاسلاميه ، مقارنا بين جيل الصحابه والروح الاسلاميه التي استطاعوا أن يسودوا بها العالم ، وبين جيل اليوم الذي يتعرض للخطـ بسبب الغزو الفكري ، والافكار الغربيه التي دخلت على المجتمع الاسلامي باسم الحضارة والتطور الذي يتنافى مع (الآداب القرآنيه) .

(١) اعجاز القرآن والبلاغ النبويه مصطفى الرافعي ص ١٠٧-١٠٨

القرآن والعلوم

يتحدث الرافعى فى هذا الفصل عن القرآن والعلوم ويذكر أن للقرآن وجهها اجتماعيا من حيث تأثيره فى العقل الإنسانى ، وهو معجزة التاريخ العربى خاصة ، ثم هو بآثاره النامية معجزة أصلية فى تاريخ العلم كله على بسيط هذه الأرض من ظهور الاسلام الى ما شاء الله (١) .

ثم يوضح الرافعى أهمية القرآن الكريم فى العالم الذى لولاه لكان العالم غير ما هو فيه من حيث التقدم وانسباط العقل ، والنهضة العمرانية ، واحتفاظه ببقائه علوم الأولين وتهذيبها وتصفيتها .

ويؤكد أن القرآن أساس العلوم والنهضة الاسلاميه وقد بدأت العلوم تنشأ من اختلاف المسلمين فى قراءة القرآن ، وباختلاط المسلمين بالاعاجم بدأت السكتهم تجنح الى اللحن وتزيغ عن الوجه فى الاعراب ، ومن ثم خيف على سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهى الأصل الثانى بعد القرآن ، وعم الجاهل بأمور الدين ومن هذا المنطلق قامت الدراسة والعناية بالقرآن الكريم ، فاعتنى قوم بضبط لغاته وتحريير كلماته . . . وغيرها .

واعتنى النحاة بالمعرب منه والمبنى من الاسماء والافعال والحروف وغيرها ، واعتنى المفسرون بالفاظه ، واعتنى الأصوليون بما فيه من الأدلة العقلية والشواهد الأصلية والنظريه فاستنبطوا منه ، وسموا هذا العلم بأصول الدين وهناك طوائف اهتمت بمعاني الخطابه ، وفى التخصيص والاخبار ، والحلال والحرام ، وقصص القرون السالفه ، والحكم والأمثال والنواظير ، وآية المواريث ، آيات الميراث والنهار ، ونظر الكتاب والشعراء الى ما فيه من جزالة اللفظ وبديع النظم وما الى ذلك فيما يتعلق بعلوم الشعر .

ويبين الرافعى أن هذه العلوم تدفع بعضها بعضاً فى التحصيل
وأنها تسير الى غاية واحدة وهدف واحد هو تحقيق الاسلام ثم يبين اشارة
القرآن الى نشأة هذه العلوم فيقول :

((وقد أشار القرآن الى نشأة هذه العلوم والى تحصيلها وغايتها على ما وصفناه
آنفا وذلك فى قوله تعالى : (سترهم آياتنا فى الأفاق وفى أنفسهم حتى يتبين
لهم أنه الحق) أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد)) ؟ ولو جمعت
أنواع الأنسانيه كلها ما خرجت فى معانيها من قوله تعالى :

((فى الأفاق وفى أنفسهم)) هذه أفاق وهذه أفاق أخرى ، فان لم يكسبن
هذا التعبير من الأعجاز الظاهر بدهة وليس يصح فى الأفهام شىء)) (١) .

ان الله سبحانه وتعالى قد حقق وعده لعباده وأنه سيطلعهم
على كل شىء من خفايا الكون ومن أنفسهم على السواء ووعدهم أن يريهم آياته
فى الأفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم طريق الحق فى هذا الكتاب ومنهجهم
ومن أصدق من الله حديثاً واستطاع الخلق أن يعرفوا أشياء كثيرة عن العلوم
ومنهم من أهدى ومنهم من انحرف .

ثم يبين أن ادلة اعجاز هذا الكتاب الكريم هى أن يخطئ الناس فى
بعض تفسيره على اختلاف الصور لضعف وسائلهم العلميه ، ولقصر حبالهم أن . .
تتعلق بأطراف السموات او تحيط بالأرض .

هذه هى كلمات الرافعى فى القرآن والعلوم حية نابضة بالايان العميق
والثقافه الدينيه ، التى تظهر فى هيامه بالقرآن وعنايته بدراسته دراسة عميقه
من روح قياضه بالايان الشدى الذى تطلبه كل نفس تؤمن بالله ايماناً حقيقياً .

حقيقة الإعجاز

تحدث الرافعي عن اعجاز القرآن وأنه أمر لا تبلغ فيه الفطرة الإنسانية مبلغاً وليس إلى ذلك مأتى أو جهة ، وإنما هو أثر من الآثار الإلهية ويوضح —
اعجاز القرآن فيقول :

((فالقرآن معجز في تاريخه دون سائر الكتب ، ومعجز في أثره الإنساني ، ومعجز كذلك في حقائقه ، وهذه وجوه عامة لا تخالف الفطرة الإنسانية في شيء ، فهي باقية ما بقيت ،

ثم يوضح الحالة الكلامية التي كان عليها العرب قبل نزول القرآن ، ووصلت إلى حد التهذيب اللغوي ، واجتماعها على نمط القرشية ما يروونه مثال الكمال وبذلك قامت عندهم ملكة الكلام ، ولكنه بقي بلا ملك حتى جاءهم القرآن .

وعندما جاء القرآن سفه أحلامهم ، ونكس أصنامهم ، وأذرى عليهم وعلى آبائهم الأولين ، وقام عليهم باللوم والتأنيب (١)

وهم أهل الحمية ، وأهل النفوس التي تصب كالمعاني في الألفاظ ، وذهب بذلك كله والغي عاداتهم وشرائعهم وقوانينهم وكان أول جيل منهم أن تناول مفتاح العالم فأداره في أقفال الأرواح وخرج للغايه التي جاء بها القرآن الذي يكبر أن يكون حياة لروح عصره الذي أنزل فيه فلا يستطيع أن يقول باعجازه في زمن الجاهلية فقط بل هو معجز لكل زمان .

أسلوب القرآن

تحدث الرافعي عن أسلوب القرآن فذكر أن أسلوب القرآن هو مادة الاعجاز العربي في كلام العرب كله وهو الذي قطع العرب عن المعارضة ، وأعتقلهم عن الكلام ، وغلّبهم بالحجة فتركهم يتلأأون ، وأظهر لهم العجز في طباعهم عن الضعف والتخاذل .

وذلك لما في القرآن من طرق النظم ، ووجوه التركيب ، وتسق الحروف في كلماتها ، والكلمات في جملتها . وتسق هذه الجملة في جملة ، ما حيروهم في أنفسهم ، من هيئة رائعة وروعة مخوفة ، وخوف تقشعر منه الجلود حتى أنهم أحسوا بضعف الفطوة اللغوية ، وتخلف الملكة المستحكمة ، ورأى بلفاؤهم أنه جنس من الكلام غير ما هم فيه . وأن هذا التركيب هو روح الفطرة اللغوية فيهم وأنه لا سبيل إلى صرفه عن نفس أحد العرب أو اعتراض ساعة إلى هذه النفس إذ هو وجه الكمال اللغوي الذي عرف أرواحهم وأطلع على قلوبهم ، لقد عرف العرب كل الخصائص القرآنية فاستيأسوا من حق المعارضة .

وقد نزل القرآن منهم منزلة المتحدى وذلك بأن يأتوا بعشر سور مثله إلى سورة واحدة مثله ، ولكنهم عجزوا وإن استطاعوا فسيكون كسيلة الذي أراد أن يمارض ولم يستطع إلا بالمقابلة الكلمة بالكلمة والوزن بالوزن كما فعل في قوله تعالى ((انا اعطيناك الكوثر ، فصل لربك وأنحر)) (١)

قال فيها :

((انا اعطيناك الجواهر ، فصل لربك وجاهر))

ولم يزد هذا القول إلا أن جعل مثلاً للحاقة ولن يستطيع مخلوق أن يمارض القرآن الكريم ما دامت قوة الخلق ليست في قوة المخلوق ويتضح ذلك في قوله تعالى :-

((قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون
بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً)) (١)

وقد حقق الله وعده في هذه الآية وأظهر عجز الخلاق على الأتيان
بمثل هذا القرآن رغم أن أسلوب القرآن من اللين والمطاوعة على التقلب والمرونة
والتأويل . بحيث لا يصادم الآراء الكثيرة المتقابلة التي تخرج بها العصور
المختلفة فهو يفسر في كل عصر وقد فهمه عرب الجاهلية الذين لم يكن لهم الا الفطرة
وفهمه من جاء بعدهم من الفلاسفة ، وأهل العلوم ، وزعماء الفرق على ضروب
من التأويل (٢) .

(١) سورة الاسراء آية (٨٧)

(٢) اعجاز القرآن والبلاغة النبوية - مصطفى الرافعي ص ١٨٨ - ٢٠٨

نظم القرآن

تحدث الرافعى فى هذا الفصل عن أسلوب القرآن الذى كان سبباً ،
لا انقطاع العرب دونه ، وانخذ اليهم عنه ، فوضح أن هذه الأسباب لا يمكن أن يكون
شىء منها فى كلام بلقاء الناس من أهل هذه اللغة ، لأنها خارجة عن قـوى
المقول وجماع الطوائع ، ويقف أمامها كل بلعج مستشعرا العجز والوقوف دونها
ثم وصف القرآن بأنه خميسر الحياة العربية ، وهو من اللغة كالروح الالهية التى
تستقر فى مواهب الإنسان ، فتضمن لآثاره الخلود ، ثم يوضح تركيب الكلام
فى القرآن بقوله :-

((والكلام بالطبع يتركب من ثلاثة حروف هى من الأصوات ، وكلمات هى من الحروف
وجمل هى من الكلم . وقد رأينا سر الاعجاز فى نظم القرآن يتناول هـذه
كلها بحيث خرجت من جميعها تلك الطريقة المعجزة التى قامت به ، فليس
لنا بد فى صفته من الكلام فى ثلاثتها جميعا (١) .

وبعد ذلك قسم هذا الفصل الى ثلاثة أقسام تحدث فيها بالتفصيل

عن :-

(١) الحروف واصواتها .

(٢) الكلمات وحروفها .

(٣) الجمل وكلماتها .

وسأحدث عن كل قسم منها باختصار :

الحروف وأصواتها

وصف الرافعى حالة العرب عندما قسروا عليهم القرآن ، وأنهم
 رأوا حروفهم فى كلماتهم وكلماته فى جملته ، الحانا لغوية رائعة ، كأنها
 فى اختلافها وتناسبها قطعة واحدة ، ورأوا أنفسهم أمام أمر لا قدرة لهم
 عليه ، وكان ذلك أبين فى عجزهم ، حتى أن من عارضه منهم كمشيتم
 جنح فى خرافاته الى ما حسبه نظاما موسيقيا أو بابا منه طوى عما وراء ذلك
 من التصرف فى اللغة وأساليبها ومحاسنها ودقائق التركيب البيانى
 كأنه فطن الى أن الصدمة الأولى للنفس العربية ، وانما هى فى أوزان الكلمات
 وأجرام الحروف دون ما عداها ، وليس يتفق ذلك فى شىء من كلام
 العرب الا أن يكون وزنا من الشعر والسجع (١) .

الكلمات وحروفها

بدأ الرافعى هذا الفصل حديثه عن الكلمة التى هى صوت النفس ان أن صوت النفس أول الأصوات الثلاثة ، فى تركيب النسق البليغ ، حتى تتجمع أسباب اجتماع الكلام بين الألفاظ ومعانيها ، وبين هذه المعانى وصورها النفسىه فيجرى مجرى الارادة ، واذا وصل الكلام الى منزلة الارادة ، فقد وصل الى النفس ، وأصبح كالروح الحية ، تبادرك بالروعة ، كما تبادر الحياة لكل جسم حى .

وأن الأصل فى نظم القرآن أن تعتبر الحروف بالأصوات والحركات ومواقعها من الدلالة المعنوية ، ولذلك يستحال أن يكون فى تركيب القرآن ، ما يدل على أن فيه كلمة زائدة او حرفا مضطربا أو ما يجرى مجرى الحشو والاضطراب أو ما يقال فيه تفوت واستراحة .

ولذلك صارت الفاظ القرآن بطريقة استعمالها ووجه تركيبها كأنها فوق

اللفظة .

ومن هنا يظهر أن القرآن أستعمل بعض الألفاظ الطويلة فى عدد حروف الكلام ولكنه رغم ذلك جاءت محكمة لا اضطراب فيها ولا خلل ولا استكراه وفى ذلك يقول :-

((وقد وردت فى القرآن الفاظ هى من أطول الكلام عدد حروف ومقاطع ما يكون مستثقالا بطبيعة وضعه أو تركيبه ، ولكنها بتلك الطريقة التى أومأنا اليها قد خرجت فى نظمه مخرجا سريا ، فكانت من أحضر الألفاظ حلاوة وأعذبها منطقا وأخفها تركيبا ، ان تراه قد هيا لها أسباب عجيبة من تكرار الحروف وتنوع الحركات ، فلم يجرها فى نظمه الا وقد وجد ذلك فيها كقوله : (ليستخلفنهم فى الأرض)) فهى كلمة واحدة من عشرة أحرف وقد جاءت عذوبتها من تنوع مخارج الحروف ومن نظم حركاتها ، فانها بذلك صارت فى النطق كأنها أربع كلمات ؟ ان تنطق على أربع مقاطع ، وقوله : (فسيكفيكم الله) فانها كلمة من تسعة أحرف ، وهى ثلاثة

مقاطع وقد تكررت فيها الياء والكاف ، وتوسط بين الكافين هذا المد هو ســـــ
الفصاحة في الكلمة كلها (١)

هذا بعض من السر الذي أوضحه الزاقي للكلمات وحروفها في القرآن
الكريم ، ولأن هذا القرآن يحمل في كلماته وحروفه أسراراً عميقة في النفس
البشرية له تأثير في الأطمئنان النفسي والصفاء الروحي في مخاطبة الوجدان
واستثارته وهزه الى اعماق الاعماق .

الجميل وكلماتها

تحدث الرافعى فى هذا الفصل عن الجملة التى هى مظهر الكلام وهى الصورة النفسية للتأليف الطبيعى ، الى معان تصورهما فى نفسه أو تصفها ويكون هذا له تأثير فى النفس وكأنه مادة مصورة ، تفيض النفس منها على الحواس اقامة ، مستفيضة ، وتجعل هذا الانسان من الاحساس به كأنه قلب كله ، ومما لا شك فيه أن تأثير جمل القرآن هو هذا التأثير الذى يجعل الانسان عندما يسمعه ويخشع له كأنه قلب . وان من أسباب القوة لبقاء هذا القرآن معجزا هى الارتقاء الذى هو كائن فى الخلبة والتميز والانفراد حيث وجدت .

فلو جاء القرآن مثل كلام العرب فى الطريقة والذهب لذهب كما ذهب أكثر كلام العرب .

وقد أوضح الرافعى أن نظم القرآن يجرى على استواء واحد فى تركيب الحروف من أصواتها ومخارجها . وفى ذلك يقول :

((ان طريقة نظم القرآن تجرى على استواء واحد فى تركيب الحروف باعتبار من أصواتها ومخارجها ، وفى التمكين للمعنى بحس الكلمة وصفتها ، ثم الالتفاتان فيه بوضعها من الكلام ، وباستقصاء أجزاء البيان وترتيب طبقاته على حسب مواقع الكلمات ، لا يتفاوت ذلك ولا يختل ، فمن أين يدخل على قارئه ما يكدر لسانه أو ينبو بسمعه ؟ أو يفسد عليه اصغائه أو يردده عما هو بسبيله ، أو يشتت حساسه ويتوزع فكره ، أيورده الموارد من ذلك كله أو بعضه ، الا أن يكون هذا القارئ ربيضا لم تفلح فيه رياضة البلاغة ، ولا أجدى عليه التمرين والدربة ، فخرج الف اللسان بليد الحس متراجع الطبع ، لم يبلغ مبلغ الصبيان فى احساس الفريزة وصفاء هذه الحاسة واطراد هذا الصفاء .)) (١)

ومن هنا نعرف أن نظم القرآن يجتمع في الثلاث الاسباب السابقة
ذكرها ولكنها كانت معنى موحدا في بقاء هذا القرآن وخلوده واعجازه وشميزه ، -
وان كل معنى من المعاني السابقة كان له دور كبير في اعجاز القرآن وتمليق
النفوس البشرية به ، وفي انسيابها اليها انسيابا روحيا يجعل قلوب المؤمنين
الخاشعين مطمئنة لذكره شغوفة فيه راحتها واطمئنانها وتناجي به ربها بكلمات
لمباركة طالبة الصفرة والرضوان .

تحدث الزافعى عن موضوعات أخرى كثيرة اكتفى بالاشارة اليها

خشية الاطالة ، منها وهى :-

(١) قراءة التلحين ، أنواع الايقاع ، مبتدع التلحين ، ترجيع النبی يوم

الفتح ، التغيير فى الشعر .

(٢) الأحرف السبعة :-

حديث الاحرف السبعة . القراءات والفروق اللغوية ، عدد (السبعة)

فى كلام العرب .

(٣) مفردات القرآن :

غريب القرآن - اعراب القرآن - الالفاظ المعربة .

النظائر والافراد .

(٤) تأثير القرآن فى اللغة :

نسق القرآن - تطور اللغات بتطور أهلها - القيافة اللغوية ، والاستدلال

بالقرآن على حال العرب . اجتماع العرب على لغة القرآن الميزان اللغوى

خلود العربيه . اتصالها بمادة العلم ، اقامة الحروف وصحة الاداء .

(٥) سرائر القرآن

الآيات الكونية والعلميه فى القرآن . مسألة العلم .

(٦) التجدى والمعارضة :

مفاخرة تنتهى الى خذلان ، أو الدعوة الى الاسلام .

حكمة التجدى : التدرج فى التجدى . مذاهب العجز - انما يعمل به بشر ،

معارضو القرآن فيما زعموا - مسيلة الكذاب . الاسود العنسى - طليحة

الاسدى (عصبية الدم) - سجاج التميمية - النضر بن الحارث . ابن

المقفع (المعلقات) ابن الراوندى - المتنبى - المعرى

(٧) احكام السياسة المنطقية على طريقة البلاغة :

الاعجاز المنطقى : (الفيلسوف ابن رشد ، تحقيق المعنى واستبراء غايته

العقل والهام - البيان والعقل والشهور . بعض ما أياأس العرب -

المعرضة . القرآن هو نفس الوحي وذلك تمام اعجازه .

٢٨٥ - ٢٨٢ ص " " " " " " (٢)

اجتماع كلامه وقلته - صلى الله عليه وسلم

=====

وصف الرافعى اجتماع كلامه - صلى الله عليه وسلم وقلته بقوله :

((ومن كمال تلك النفس العظيمة ، وغلبة فكره - صلى الله عليه وسلم - على لسانه قل كلامه وخرج قصدا فى الفاظه ، محيطا بمعانيه ، تحسب النفس قد اجتمعت فى الجملة القصيرة والكلمات المعدودة بكل معانيها : فلا ترى - الكلام الفاظ ولكن حركات نفسية فى الفاظ (١)))

ثم أوضح الرافعى كثرت الكلمات التى أنفريها - صلى الله عليه وسلم - دون العرب ، وكثرت جوامع كلمه ، وخلص أسلوبه ، فلم يقصد فى شىء ، ولم يبالغ فى شىء ، واتسق له من هذا الأمر على كمال الفصاحة والبلاغة ما لو أراد مريد لعجز عنه .

هذا الانفراد الذى أنفرد به - صلى الله عليه وسلم - بالكلمات الكثيرة دون العرب ، ما كان باعثا على عجب اصحابه ، ويروونه طبقه هذا اللسان ، وطراز يحسنه انسان ، حتى أن ابا بكر رضى الله عنه قال مرة : لقد طفت فى العرب وسمعت فصحاءهم ، فما سمعت أفصح منك ، فمن أدبك - أى علمك - قال : أدبنى ربي فأحسن تأديبى (٢)

وان هذا لا يعنى أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لا يطيل ولكن حسب ما يقتضيه المقام فقد شاهدوه - صلى الله عليه وسلم - وخطبه الطوال فى المواسم الكبار ، لا رغبة فى الطول ، ولا اظهارة للكثير ولكن ان كثرت المعانى كثرت الالفاظ وانا كثرت الوجوه افتن فى تكثير الالفاظ وان حذف فضوله بفائسة الحذف ولم يكن الله ليعطى موسى لتام ابلاغه شيئا لا يعطيه محمدا ، والذين بحث فيهم أكثر ما يعتمدون عليه البيان واللسان (٣)

(١) ، (٢) : اعجاز القرآن والبلاغة النبويه مصطفى الرافعى ص ٣٠٠ - ٣٠١

(٣) اعجاز القرآن والبلاغة النبويه مصطفى الرافعى ص ٣٠٤

نفى الشعر عنه - صلى الله عليه وسلم -

=====

ولقد أفاض الرافعى القول فى قضية كانت ولا زالت حديث مؤرخى الأدب
تلكم هى قضية الشعر وموقفه عليه السلام من نظمه ، وقرر أنه لم ينظم ولم يشأ أن -
ينظم بيتا واحدا ، وذلك هو قوله تعالى " وما علمنا الشعر وما ينبغى له " .

ويمثل الرافعى عدم انشاد الرسول - صلى الله عليه وسلم - للشعر -
بأنه لو كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - شاعرا لذهب مذاهب العرب التى
تبعت عليها طبيعة أرضهم من التكلف ، والمنافسة ، والمجارة ، وهذه الأمور
تدفع بعضها بعضها ما يصرف عن الدعوة ، وانا هو جعل للنبوة ولفضائل القرآن
وقد هيأه الله سبحانه وتعالى لهذه الرسالة العظيمة وللقيام بأعبائها والانصراف
عن كل ما هو دونها ولذا قال - صلى الله عليه وسلم - " لما نشأت بغضت السى
الأوثان وبغضت الى الشعر ولم أهم بشئ ، ما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين ،
فعمصنى الله منهما ثم لم أعرد " .

وهنا تتجلى الحكمة الالهية فى عدم قول الرسول - صلى الله عليه وسلم -
الشعر وبغضه له وللأوثان حتى لا تغلب عليه الفطرة ولا يجد فى نفسه لهما منزعا .
ولكن هذا لا يعنى تحريم الشعر اذا كان دافعا عن الحق وفى الأغراض
المشروعة . وقد أقر الرسول - صلى الله عليه وسلم - شعراءه على نظمه كعبد الله
بن رواحه ، وحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، للدفاع عن الدعوة ومنافحة
كيد أعداءها . (١) .

تأثيره في اللغة صلى الله عليه وسلم

=====

لقد نشأ الرسول - صلى الله عليه وسلم - في قريش التي وصلت إلى مرتبة عالية من الفصاحة والبلاغة وهم أهل وعشيرته ، وقد تأدب الرسول - صلى الله عليه وسلم - بآداب القرآن ، وبذلك أستطاع صلى الله عليه وسلم أن يكون على حد الكفاية في قدرته على الوضع يقول الرافعي في ذلك :

" فلا جرم كان - صلى الله عليه وسلم - على حد الكفاية في قدرته على الوضع والشقيق من الألفاظ ، وانتزاع المذاهب البنيانية ، حتى اقتضب الفاظ كثيرة لم تسمع من العرب قبله ، ولم توجد في متقدم كلامهم ، وهي تعد من حسنات البيان ولم يتفق لأحد مثلها في حسن بلاغتها ، وقوة دلالتها وغرابه القريحة اللغوية في تأليفها وتنضيدها وكلها صار مثلاً وأصبح ميراثاً خالداً في البيان العربي كله كقوله " مات حتف أنفه " و " الآن حمى الوطيس " .

والثانيه : في الأوضاع المفردة ، مما يكون مجازه مجاز الإيجاز والاقتضاب ، وهذا الباب كانت تنصرف فيه العرب بالاشتقاق والمجاز ، فتضع الألفاظ وتنقلها من معنى إلى معنى ، غير أنها في أكثر ذلك ، إنما تتسع في شيء موجود ولا توجد معدوماً ، فلم يعرف لأحد من بلغاتهم وضع بعينه يكون هو انفراد به واحده في اللغة (١)

ولم يقتصر تأثير الرسول - صلى الله عليه وسلم - في اللغة على ذلك فحسب ، بل هناك بعض الكتب الغريبة التي كان يبعث بها إلى قبائل العرب ، ويخاطبهم بلهجاتهم ، وهي خاصة بهم وبمن يداخلهم ، وما لاشك فيه أن ما هداه لذلك هو فطرته السليمة وطبعه القويوم وتأدبه بآداب القرآن الذي جعل له منزلة عالية من الفصاحة والبلاغة ومن أمثلة ذلك كتابه - صلى الله عليه وسلم - لوائيل ابن حجر الكندي أحد أقبال حضرموت ومنه :

" إلى الأقبال العباهلة ، والأرواع المشابيب "

وفيه : وفي التبعة شاة لا مقورة الألياط ، ولا ضناك ، وأنطوا الشجسة
وفي السيوب الخمس ومن زنى مم شيب فضرجهه بالاضاميم ولا توصيم في الدين ، ولا غمه
في فرائض الله تعالى ، وكل مسكر حرام وائل بن حجر يترفل على الاقيال (١) .

نسق البلاغة النبويه

=====

وصف البرافعى فى هذا الفصل بلاغة الرسول — صلى الله عليه وسلم — من حيث نسق البلاغة من جميع الأوجه التى لم تتفق لبليغ من البلغاء من جهة — الصناعتين اللغويه والبيانیه ، حيث أنه مسدود اللفظ محكم الوضع ، جزل التركيب متناسب الأجزاء ، فى تأليف الكلمات .

وفى الثانية : حسن المعروض ، بين الجملة ، واضح التفصيل ظاهر الحدود جيد الوصف ، متمكن المعنى .

أما من حيث اللغة فهى لغة الفطرة التى تصدر عن أفصح الناس بياناً ، وأبلغهم نكاً ، والهاماً ، ثم وضح الرافعى أن كلام البلغاء مهما بلغ منزلة عالية من الفصاحة والبلاغة يبدو كما هو وجهه هذا على أن كلام البلغاء مهما تفاوتت نضجا وحلاوة لا يبلغ الثمرة التى أثمرتها بلاغة السماء فى القرآن الكريم ثم بلاغة الأرض فى كلامه — صلى الله عليه وسلم — ، وأن كلامه غير متكلف ولا مثنوع ولكنه عفواً بديهاً .

ثم شرح الاوضح التى أتى بها الرسول — صلى الله عليه وسلم — موضعها بلاغته ونسقتها مستعرضاً الأمثلة المختلفة من كلامه — صلى الله عليه وسلم — وهذا يؤكد بلاغته واتساقها فلا عجب لان الرسول — صلى الله عليه وسلم — قد تأدب أيضاً بآداب القرآن الكريم (١) .

(وبعد) فهذا قليل من كثير مما أحاط به الرافعى فى مباحثه عن القرآن الكريم واسلوبه البليغ الذى أعجز العرب عن محاكاته حيث أثبت بالحجة الدافقة والمنطق السليم انه فوق أساليب البشر ، ومن ثم كان العجز عن التحدى من جانب العرب وهم فرسان البيان والحق أن الرافعى ذا الايمان العميق واليقين

الراسخ ، قد نصب نفسه ههنا وفي غير هذا المقام ، للدفاع عن هذا الكتاب
الساوي المقدس ولغته العربية الخالصة فضلا عن تعاليمه السمحة ، ومبادئه
السامية التي تهدي للتي هي أقوم .

وكذلك نرى الرافعي في البلاغة النبوية ، يظهر صفات الرسول - صلى
الله عليه وسلم - بأسلوب أجاد وقد استطاع الرافعي أن يجلي عن نفسه في
هذا الموقف فوفق أيما توفيق ، وما نطن احدا من المعاصرين قد نافع عن
الاسلام كما نافع أو بلغ شأوه في هذا المجال فجاءه الله عن رعاية القرآن ولغته
خير الجزاء

كتاب تحت راية القرآن

المعركة بين القديم والجديد

والرد على طه حسين في كتابه " في الشعر الجاهلي "

لقد دارت المعركة بين القديم والجديد ، وكان يمثل هذه المعركة مصطفى صادق الرافعي ، وطه حسين ، وكانت المعركة تدور بين أنصار الجديد من أبناء الجيل الذين ينادون بالجديد في كل شيء ، وبين المحافظين الذين يتمسكون بالقديم ، وفي نفس الوقت لا يرفضون الجديد مطلقا ، بل يقبلون منه ما يساير قواعد اللغة ، ويحفظ لها طابعها الأصيل ومن ثم كانت المعركة حامية وكان الخلاف واسع النطاق ، بخلاف في الرأي والأسلوب ، وخلاف في الفهم والحياة وفي تناولهم للأدب والدين واللغة ، هذا بالاغافة إلى أن كلا منهما لديه سبب كامن في نفسه ، وقد كان الرافعي شديد اللد قويا في الممارك والخصوم ويلتقي مع طه حسين في الجديد والدعوة إليه سلامه موسى (١) وكانت المعركة تتمثل في أربعة كتب هي :-

- (١) مستقبل الثقافة في مصر لطله حسين .
- (٢) اليوم والغد لسلامه موسى .
- (٣) المعركة بين القديم والجديد مصطفى صادق الرافعي .
- (٤) كتاب في الشعر الجاهلي لطله حسين (٢)

(١) معارك طه حسين الأدبية والفكرية سامح كريم ص ٢٩٢ - ٢٩٨
 (٢) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ج ٢ محمد محمد حسين ص ٢٢١

مستقبل الثقافة في مصر

لقد كتب الدكتور طه حسين ((كتاب مستقبل الثقافة في مصر)) بمبدأ أن حققت مصر شيئاً من الاستقلال على أثر معاهدة ١٩٣٦ ، وقد شعر أن عليه مسئولية الاسهام في تبصير الشباب بواجباتهم ، وفي تحديد ملامح الشخصية المصرية ، وموقفها من الثقافات العالمية ، وقد أثار هذا الكتاب ضجة كبرى في مصر وذلك بما يحمله من آراء لا تتفق مع المصريين ودينهم وعروبتهم : :

وتتضمن بعض آراء الكتاب الأمور الآتية :

(١) طلبه من المصريين أن يسيروا سيرة الأوربيين ليكونوا لهم أندادا يقول

في ذلك :

((وهى أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا ولنكون لهم شركاء في الحضارة ، خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، وما يحب منها وما يكره ، وما يحمد منها وما يعاب ، ومن زعم لنا غير ذلك فهو خادع أو مخدوع)) (١) .

(٢) تصوير العرب بأنهم غزاة دخلاء لا يطمئن اليهم المصريون وفي ذلك يقول :

((والتاريخ يحدثنا كذلك ، بأن رماها عن السلطان العربى بعد الفتح لم يبرأ من السخط ، ولم يخلص من المقاومة والثورة وبأنها لم تهدأ ولم تطمئن الا حين أخذت تسترد شخصيتها المستقلة في ظل ابن طولون ،

وفي ظل الدول المختلفة التى قامت بعده)) (٢) .

(١) كتاب مستقبل الثقافة في مصر طه حسين ، ص ٤٥

(٢) مستقبل الثقافة في مصر طه حسين الفقرة ٩ ص ٤٥

(٣) نفس المصدر المرجع الفقرة (٣) ص ١٦

بادخال مجموعات مختلفه من الافكار والآراء الغربية اليونانية والباطنية والاحادية
والاباحية فى مختلف المجالات وكانت أدامه الى ذلك الصحافه والتأليف
والمحاضرة ، والعمل فى الجامعة ووزارة المعارف وفى الأحزاب السياسية
وكانت الأحزاب السياسية والصحافة هما الاطار الذى يتحرك فيه التفطية خطوة
ومواجهة المعارضة والترصد ازاء خطوة أهل الاصاله والحملة عليهم ففى

عنف (((١)

(١) طه حسين - حياته وفكره فى ضوء الاسلام - أنو الجندى الطبعة

الاولى ١٣٩٦ - ١٩٧٦ م ص ١٦٧

اليوم والغد

=====

يتضح هدف سلامه موسى فى كتابه " اليوم والغد الذى يقول فى

مقدمته :-

" كلما أزدت خبرة وتجربة وثقافة توضح أمامى أغراض الأدب كما أزاله
فهى تتلخص فى أنه يجب علينا أن نخرج من آسيا وأن نلتحق بأوروبا فانى كلما
زادت معرفتى بأوروبا زاد حبنى لها وتعلقى بها وزاد شعورى بأنها منى وأنا
مشها ، هذا هو مذهبى الذى أعمل له طول حياتى سرا وجهرا فأنا كافر بالشرق
مؤمن بالغرب " (١)

يتضح فى هذا النص مدى كراهية سلامه موسى للشرق وموقفه العدائى
منه ، وإعلان كفره الصريح بالشرق ، وإيمانه العميق بالغرب ، ويدعو كذلك الى
تحرير المرأة وخروجها الى مضمار العمل جميعها حتى لا تتناسب مع
طبيعتها كالطيران والقضا ، ثم يتطرق سلامه موسى الى الأدب الذى يريد
أن يكون أدبا أوربيا تسعا وتسعين بالمائه ، ثم يقوم على المعنى والقصد لا على
اللفظ كما كان الحال عند العرب ، وكذلك يريد أن تكون الثقافة ثقافة أوربية
لكى يفرس حب الحرية والتفكير الجرى ، وبعد ذلك يتطرق سلامه موسى
الى الدين ويهاجمه فى أكثر من موضع ، وهو بذلك يهدم أركان الأديان عامة
والاسلام خاصة ، ويتحدث عن مسألة التعليم ، وهو يريد أن يكون التعليم
أوربيا لا سلطان للدين عليه ، ولا دخل له فيه وكذلك يعرض آراءه عن الحكومة
التي يجب أن تكون فى رأيه ديمقراطية ، وأن يعاقب كل من يجعلها مثل حكومة
هاروق الرشيد أو المأمون ، أو قراطية دينية ، ثم يتعرض للشريعة الاسلامية

(١) الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر . محمد محمد حسين ج ٢ ص

في أحكامها التي أنزلها الله ، فيتحدث عن تعدد الأزواج وبينـ
الطلاق إلا بحكم المحكمة ، ويعاقب بالسجن كل من يتزوج أكثر من امرأة (١)

إن سلامة موسى بلا شك يريد أن يضع شريعة ومنهاجا ودينا جديدا
ليسير العالم عليه ويعطى نفسه حقوقا ليست له . . .

كل هذه الأفكار الهدامة التي أظهرتها بعض المؤلفات التي تشكك
في العقائد الإسلامية ، وتحط من قدر اللغة العربية ، هي التي دعوت
مصطفى صادق الرافعي الدفاع عن الدين واللغة العربية ، وتتلخص هــ
الأسباب في مراحل ثلاث هي :-

(١) المرحلة الأولى :

ظهور المؤلفات التي يتضح فيها التشكيك العقائدي :
بعد ظهور هذه المؤلفات التي يتضح فيها التشكيك في كل ما هو
إسلامي وإعلان الحرب على المظاهر الإسلامية التي أرادوا أن يضعفوا
من شأنها بظهور الأفكار الهدامة التي تعتمد على العقل الأوروبي
الذي تأثروا به الكتاب وجاءوا بالبناء أمتهم المسلمين بالأفكار التي لا تتفق
مع المبادئ الإسلامية السليمة .

(وهناك خطوه ثانيه للبعد عن الاسلام ، وهي خطه الانفلات من كل
ما هو عربي وتبني دعوة غريبه تفصل بين مصر وبين العرب بصفه
خاصة وبينها وبين الشرق بصفه عامه ، واصحاب هذه الدعوه
أسموا أنفسهم ، أو أسماهم الناس دعاه المصريين وهم :

(١) الاتجاهات الوطنيه في الأدب المعاصر . محمد محمد حسين ج ٢

الاستاذ لطفى السيد ، والدكتور محمد حسين هيكل ، والدكتور
طه حسين والاستاذ سلامة موسى . وهذا الأخير قاسم مشترك حسب
التعبير الحسابي ومتطوع تحت الطلب لكل أمر ينال من الاسلام أو من
اللغة العربية .

المرحلة الثانية :

=====

التشكيك في عروبة الشعب المصرى :

ان الصراع القائم لم يقف عند حد التشكيك العقائدى وانما تجاوزه الى
التشكيك فى عروبة الشعب المصرى وهذا من شأنه أن يضعف العقيدة
الدينية عند الشعب المصرى ، ويضعف الشعور بالعروبة ، ومن هنا
يصبح شعبا بلا دين يحميه وبلا تاريخ قوى ينتقى اليه فينسلخ من جلده
ويبتعد عن كيانه وذلك بما يدخل فى روعه بأنه فرعونى تارة ، وتارة
أخرى بأنه أوربى ، وفى أضعف الأيمان أنه شعب من شعوب البحر
الابيض .

المرحلة الثالثة :

=====

التآمر على اللغة العربية فى شكل الدعوة الى العامية :

ان المرحلتين السابقتين من أخطر المراحل فى تدمير معنويات الشعب
المصرى وتجرده من كل ما هو اسلامى وعربى وهذا يعنى ضياعه وضياعه
يعنى نجاح الاستعمار فى فرض سلطته التى يريد بها على الامم العربية
الاسلامية ، فهم يريدون انسانا ضعيفا حتى يستطيعوا أن يسيطروا عليه

سيطرة كاملة يحققون أغراضهم ومطامعهم التي يريدونها ، ومن هذا المنطلق بدأوا في الدعوة الى العامية أو تشويه اللغة العربية بالتخلص من الأعراب لحساب الاستعمار ، استهدفا لعزل سلطان القرآن الكريم على القلوب ، وكان عملاء المستعمرين أول من نادى بفكرة الدعوة الى العامية ، وترك اللغة الفصيحة ، ولكن هذه الدعوة لم تجد آذانا صاغية عند المصريين ، لان الشعب الاسلامي العربي لا يتجرد من أصله بأبواق الدعاية الاستعمارية ، ولان هذا الشعب يتمتع بأصالة عربية دينية ، فالمسلم الحقيقي لا يستجيب لنداء الكائدين للدين ، ومنذ القديم والمعروف أن العربي يرفض الذل فهو دائما يدعو الى العلاء لكن الاستعمار الخبيث كان يبيت سموه في قطع من الحلوى حين دعا رجلا انجليزيا كان يعمل مهندسا للرى الى محاضرة القاها في كلوب الأزبكية تحت عنوان هو " لم لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن " وقال في معرض محاضرته " أن من جملة العوامل في فقد قوة الاختراع عنده المصريين استبقائهم للغة العربية الفصحى وأشار بإغفالها واستبدال العامية بها اقتداء بالامم الاخرى وضرب مثلا بالامة الانجليزية التي تركت اللاتينية واستبدلت بها اللغة الانجليزية الحديثه (١) .

ما هو المذهب الجديد :

في هذه الممارك الفكرية بين الكتاب الذين تأثروا بالاستعمار وبدوا - ينادون بما رسمه لهم تظهر قوة الرافعى الفكرية متصدية لكل من أراد أن يقلل من شأن هذه اللغة وان الله سبحانه وتعالى جعل هذا الكتاب محفوظا الى قيام الساعة كما قال تعالى ((انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)) (٢)

(١) مصطفى صادق الرافعى كاتبها عربيا ومفكرا اسلاميا د . مصطفى الشكعة

الطبعة الثانية ص ١٧ - ٢٩

(٢) سورة الحجر آية (٨)

وسخر الله الرافعى ليكون قوة مدافعة عن هذه اللغة ويرد عليهم

فيقول :

((فالمذهب القديم اذن هو أن تكون اللغة لا تزال لغة العرب فى أصولها وفروعها ، وأن تكون هذه الأسفار القديمة التى تحويها لا تزال حية تنزل من كل زمان منزلة أمة العرب من الفصحاء ، وأن يكون الدين العربى لا يزال هو هو كأنما نزل به الوحي أمس لا يفتننا فيه علم ولا رأى وأن يأتى الحرص على اللغة من جهة الحرص على الدين ، اذ لا يزال منهما شىء قائم كالأساس والبناء ولا منفعة فيهما معا الا بقيامهما معا)) (١)

ثم يتساءل الرافعى عن المذهب الجديد فى نظر من يدعون اليه أهى المقابلة فى نظرهم اذا كان المذهب القديم الا بغير فلا سود هو الجديد واذا كانت الفصاحة والحرص على ميراث التاريخ ، والقانون الطبيعى للفضيلة الاجتماعية ، وإهمال القومية ، وترك الواجبات والشكر لجلودنا أنها ليست أوربية كل هذا جديد لان ذلك قديم ؟ أم هناك حقيقة ثابتة معدودت خفيت على عظمها وخطرها فى هذه اللغة خفاء أمريكا فى هول المحيط حتى بعث الله لها فى أيامنا هذه من يرميها ببصره فكشفها وسماها وكان منها المذهب الجديد وكانت آياه)) (٢)

ثم يمضى الرافعى فى طريقه موضحا العصور التاريخية التى مرت باللغة ولم يسم أحد فى هذه العصور مذهباً جديداً الا الذين عادوا من أوربـا متشبعين بروح الترجمة ، وعادوا الى العربية بطبع ضعيف ومادة واهنة ..

(١) تحت راية القرآن . مصطفى الرافعى ص ١١

(٢) تحت راية القرآن من الورج المرفوع ص ١١-١٢

الجملة القرآنية

=====

المستعمر دائم الكيد للإسلام بطرق شتى سواء كان عن طريق الحيلة والمكر والدهاء أو عن طريق الأغراء وغزو العقول بالمظاهر الخداعية فهو لا يلبث أن يترسّص بالمسلمين وقد أستطاع أن يحقق ما يريد وذلك بسبب استجابة بعض أبناء المسلمين لأرائه وأفكاره ونشرها ، ولكن الله قد قيض من أبناء هذه الأمة من يقف لهم بالمرصاد ويبرر كيدهم في نحورهم .

ها هو مصطفى الرافعي يتنبه الى ذلك عندما نشرت إحدى الصحف التي تصدر في أمريكا الكلام على " رسائل الأحرار " بأن الرافعي لو ترك " الجملة القرآنية " والحديث الشريف ونزع الى غيرها لكان أدبيا عظيمًا وله مذهب وحده .

وقد تنبه الرافعي الى هذا الخطر وكانت هذه الكلمة " الجملة القرآنية " نورا جديدا ملأت فكر الرافعي وأنارته وأظهرت له بأن وراء هذه الكلمة كيّدا للغة القرآن وتقليلا من شأن اللغة العربية فزادته حماسة وقوة ليمضي في طريقه ليكون نصلا قويا في وجوه أعداء الاسلام . (١)

ثم يرجع الرافعي السبب في ضعف الأساليب الكتابية والنزول باللفظة دون منزلتها الى ثلاثة أسباب هي :

(١) مستعمرون يهدمون الأمة في لغتها وآدابها لتتحول عن أساس تاريخها الذي هي أمة به ولين تكون أمة الآيه ، ان هذا المستعمر يريد أن يجرد الأمة من أساسها وماضيها حتى تصبح بلا كيان ولا هدف ، أما من ناحية النشأة الأدب فهم يدير يدون على مثل منهج الترجمة الانجيلية والانطباع عليها وتمويج اللسان بها ، واما جهلا بها أو ضعفا ، ثم يقول ليس كل كاتب يبلغ منزلة من البلاغة ، ولا كل من أوكل الى نفسه صناعة تبغ

فيها ، وأستطاع أن ينسب نفسه اليها ، وان عد في طبقة من أهلها ،
ثم تحدث عن الكتابة ، وأن لها أدواتها ، وكذلك درجاتها فمنها الأعلى
والأوسط وما دون ذلك ، ويتساءل الرافعي هل من الرأي أن نعين المستعمر
على خصائصنا ومقوماتنا وفي ذلك يقول :

((أفمن الرأي أن نعين المستعمرين على خصائصنا ومقوماتنا ، أو نتخذ في
اللغة أديانا شتى ، أو نجعل قياس العلم من الجهل في بعضه ، والضعف
عن بعضه والا فمأذا بقى بعد هذه الثلاثة ما يفسح له جانب المذران نحن
قلنا بمذهب جديد في اللغة)) .

ويتحدث الرافعي عن رجال كان لهم الفضل الاكبر أمثال السيد جمال -
الدين ومحمد عبده وعلى يوسف البارودي والمويلحي وغيرهم ، في دفع الاستعمار
عن اللغة ببلاغتهم ، وأساليب الفصاحة ، وجعلوا أقلامهم والسنتهم وعقائدهم
حفظا للغة من الانتقاص أو الزوال (١) .

أما الرد على الدكتور طه حسين في كتابه (في الشعر الجاهلي)
فقد أفرد له الرافعي مقالات عدة ومنها :

(قال انما اوتيته على " علم " بل هي فتنه) .

(١) تحت راية القرآن - مصطفى الرافعي ص ٢٨ - ٢٩ .

قال انما أوتيته على "علم" بل هي فتنه

=====

كتب الرافعى هذا الموضوع عند قراءته لكتاب " فى الشعر الجاهلى " للدكتور طه حسين أستاذ الآداب العربية بكلية الآداب بالجامعة المصرية ساخرا متهمكا من طه حسين بقوله :

" بأنه لا يستطيع أن يدعى أنه شاعر ذو مكانة أو كاتب ذو فن ، وإذا لم يكن كذلك فلن يبقى له شئ " ، لان تاريخ الأدب قائم على الشعراء والكتاب ، وهو فى ذلك يرجع الى طبع ضعيف لم تحكه صناعة ولا راضته مذاهب الخيال ، ولا عهد له بأسرار الالهام التى صار بها الشاعر شاعرا ، والكاتب كاتباً ، وما هو من ذلك الا خلط يسقى علماً ، وجراً تكون نقداً وشاحل يصبح رأياً ، وتقليد للمستشرقين يسميه اجتهدا (١)

ثم يوضح الرافعى أن الجديد فى نظر طه حسين هو (الشك) ومعنى ذلك عند الرافعى أنه العجز عن تقرير نص جديد ، وإذا لم يستطع فقد هبسه الشك فى القديم يقول فى ذلك :

((ومعنى ذلك أنك اذا عجزت عن نص جديد تقرر به شيئاً جديداً فشك فى النص القديم فحسبك ذلك شيئاً تعرف به ومذهبها تجادل فيه ، لان للمنطق قاعدتين احدهما تصحيح الفاسد بالقياس والبرهان ، والأخرى افساد الصحيح بالجدل والمكابرة (٢) .

تناول الرافعى منهج البحث فى كتاب الشعر الجاهلى بالنقد والرد على الدكتور طه حسين الذى يقول أنه سيسلك طريق المحدثين من أصحاب الفلسفة أمثال ((ديكارت)) يقول الدكتور طه حسين فى كتابه " فى الادب الجاهلى "

((أريد أن أقول انى سأسلك فى هذا النوع من البحث مسلك المحدثين من أصحاب العلم والفلسفة فيما يتناولون من العلم والفلسفة .
أريد أن أصطنع فى الأرب هذا المنهج الفلسفى الذى استحدثه "ديكارت" للبحث عن حقائق الاشياء فى أول هذا العصر الحديث - (١) .

ويقول أيضا :

((نعم ايجب حين نستقبل البحث عن الأرب العربى وتاريخه أن ننسى عواطفنا القومية وكل مشخصاتها ، وأن ننسى عواطفنا الدينية وكل ما يتصل بها ، وأن ننسى ما يضاد هذه العواطف القومية والدينية (٢) .

يشكر الرافعى هذا القول على الدكتور طه حسين الذى يريد أن ينسى عواطفه القومية ، وكل مشخصاتها ، وينسى عواطفه الدينية وما يتصل بها ، وهذا منتهى الجهل فى نظره لان من (نسى دينه) وقوميته تاركا كل ما يؤكد ويثبت اثباتا قاطعا حقيقة هذا الدين ، ناهبا مذهب الشك فى حكمه على الاشياء ناسيا دينه فى رده على حوار كليمان المستشرق الفرنسى الذى زعم أنه اهتدى الى مصدر عربى من مصادر القرآن ، هو شعر أمية بن أبى الصلت " الذى يجب أن يكون النبى قد استعان به كثيرا وقليل فى نظم القرآن " كما جاء فى كتاب طه ، كبرت كلمه تخرج من أفواههم أن يقولون الاكذبا ثم يتساءل الرافعى فى انكار شديد كيف أن طه حسين يسكت عن الرد على حوار فى زعمه أن القرآن - من نظم النبى ويقول :

((ليس يعنينى هنا أن يكون القرآن قد تأثر بشعر أمية أو لا يكون ، فالأمر عنده على حد الجواز كما ترى ، وليس يعنيه أن يكون دينه ودين أمته صحيحا وكذبا))
ثم يقول الرافعى أنه يلتزم العذر لطله حسين ان كان أمام من أهمة البلاغة ، ويكون هذا الكلام رأى رآه ، وان كان الحادا وكفرا ، ولكنه ليس كذلك ، وانما كلامه

(١) الادب الجاهلى للدكتور طه حسين ص ٦٧

(٢) " " " " " " ص ٦٨

عن القرآن كلام من (نسي دينه) يقول الرافعى :

(على أن كلامه فى هذا الكتاب عن القرآن الكريم كلام من (نسي دينه) يسئل كلام من لا دين له ، فلمس فى الأمر عنده معجزة والاعجازه ولا تنزيل (١) .

ثم يواصل الرافعى التهم والسخرية والنقد اللادغ بالدكتور طه حسين الذى يزعم فى كتابه بأن عقله يجد فى الشك والقلق لذة والاضطراب رجا ثم يذكر أقوال الدكتور طه حسين ويرد عليها بالأدلة والآيات المقنعة التى تدل على سعة ثقافة الرافعى وأنه حقيق لأدب الفكر الاسلاميه وحامى حى الاسلام السذى يدافع بعقله الذى يعد سيفا لامعا فى معركة تحتاج الى شجاعة وقوة وكأن ارادت السماء حرمة من حساسة السمع لتعرضه عنها رجحانا وثورا فكريا .

يقول الرافعى عن طه حسين :

((وأنه من فئة (حسبك أنهم يشكون فيما كان الناس يرونه يقينا ، وقد يجحدون ما أجمع الناس على أنه حق لا شك فيه — صفحة ٦ — فهو لا يجد نفسه — أولئك الذين قال الله فيهم (ولكن الله يحب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم — وكره اليكم الكفر والفسوق والمعيان) (٢) .

بل كره الله الايمان وزينه فى قلبه القلق والاضطراب والشك ، ولو تعلم أن كتابه والحاده حديث بينه وبين نفسه أو بينه وبين مثل (كازانوف) لأهملناه ثم لما كان حكمة عندنا الا ما قال الله تعالى :-

((ومن أبصر فلنفسه ومن عى فعليها) (٣)

ويوضح الرافعى اسباب الرد على طه حسين وذلك لان آراءه وكلامه تلقى على طلبة الجامعة ، وبذلك يكون طه حسين مسؤول عن ازاغة عقيدة ما تسمى

(١) تحت راية القرآن — مصطفى الرافعى ص ١٤٦ — ١٤٧

(٢) سورة الحجرات آيه (٦)

(٣) سورة الانعام آيه (١٠٤)

طالب ، والرافعى يدعو أئمة الدين أن يدركوا عقائد أبنائهم وأخوانهم ، والا كانوا شركاء مع الجماعة فى اثم وغواية طلابها (١) .

ثم يرد عليه بعنف وقوة عندما تحدث عن ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وعنف الرافعى قد أثنى فى موضع المناسب لان طه حسين يتعرض للقرآن أو - التشكيك فى شىء من نصوصه يستحق أن يتصدى له كل من يؤمن ايمانا حقيقيا بدافع من دينه وحرصا على عقول أبنائه هذه الأمة من الشيعاء والتأثير بأرائهم وقد ذكر الرافعى اقواله ثم رد عليها فحينما قال فى صفحة (٢٦) (للثورة أن تحدثنا عن ابراهيم واسماعيل والقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا ، ولكن وروى هذا من الأسس فى الثورة والقرآن لا يكفى لاثبات وجودها التاريخى فضلا عن اثبات هذه القصة التى تحدثنا بهجرة اسماعيل وابراهيم الى مكة قال : وتعلمون مضطرون الى أن نرى فى هذه القصة نوعا من الحيلة فى اثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة ، وبين الاسلام واليهودى والقرآن من جهة أخرى ، حينما قال ذلك هاجمه الرافعى فى الرد هجوم المدافع عن دينه ومن عقيدته الاسلامية ، المتحدث بصدى ايمانه العميق ، وقد اخذته الغيرة الدينية على المقدسات الاسلامية ، فيقول :

فانظر هذه الوقاحة فى قوله (للقرآن أن يحدثنا) كأنه زعم زاعم لــــ أن يقول وأن لا يقول ، واذا لم يكف النص فى كتاب سماوى تدعى له الأمة كلها لاثبات وجود المنصوص عليه فما بقى معنى لتصديقه .

المستشرقون أساتذة طه حسين ، تحدثوا عن القرآن ، وقالوا بأنــــ من كلام النبى - صلى الله عليه وسلم - فهو عندهم مثل أى كتاب ، فى موضع النقد والتحليل لانهم ليس لديهم عقيدة دينية تحمليهم على تصديقه والايمان به ،

فيدخلون عليه ما يدخلون على كلام الناس من الخطأ والغفلة والحيلة والكذب والرافعى يترك لهم سوار كهيمنان زعمه وما شاء فيه من ظنون وأوهام تتعرض للقرآن الكريم وفي ذلك يقول :

((فله أن يزعم ما شاء ولكن ليس علينا أن نصدق أو نطمئن ، وإذا هو ذكر اثنين

من الأنبياء ، وإذا هو ورد فيه قوله تعالى :

((وإن يرفع إبراهيم القواعد من البيت واسماعيل)) (١)

فذلك غير كاف في نظر الجامعة المصرية لاثبات أن إبراهيم واسماعيل شخصان كان لهما (وجود تاريخي) ولا أنهما هاجرا الى مكة ورفعوا قواعد البيت الحرام وبنيها الكعبة اذن فالقصة في رأى الجامعة المصرية من الأساطير الموضوعة وما يلتحق بحبل الروايات التي يشدون بها المعانى الاجتماعية والسياسية والتاريخية ، ويؤتى بها في الرواية على أنها من الكذب الفنى توصلا الى سبك حادثة او تقرير معنى أو شرح عاطفة .

ويوضح الرافعى بأن العرب لا يعدون اليهود منهم ، وإن كانت **الرافعى** واحدة ، ولغتهم واحدة ، لذلك هم ليسوا بحاجة الى الكذب والنفثاق وفي ذلك يقول :

((أولا يعلم استاذ الجامعة أن النصوص الواردة بأن العرب لا يعدون اليهود منهم ، وإن كانت الدار واحدة واللغة واحدة ، فما حاجتهم الى حيلة روايات سخيفة ، وهم لم تفصل طباعهم على طباع طه حسين ، ليكذبوا وينافقوا وهم يعلمون أنهم كانوا منافقون ، على حين أنهم مستيقنون أن اليهود أهل كتاب وعلم فلا يقبلون من أمة جاهلة أن تضع لهم التاريخ ، ثم كيف دخل هذا الكذب واندست هذه الحيلة في القرآن ؟ نبئونى (بعلم) ان كنتم صادقين) (٢)

(١) سورة البقرة الآية (٢٦) .

(٢) تحت راية القرآن . الرافعى (١٥٢)

وقد رد على طه حسين في ذلك أيضا السيد محمد الخضر حسين في كتابه —
 "نقض كتاب في الشعر الجاهلي" بقوله :-

((ورود اسمي ابراهيم واسماعيل عليهما السلام في القرآن يكفي لاثبات وجودهما التاريخي ، وأخباره عنهما بأمر يكفي للدلالة على وقوعه ، وهو بالطبيعة يكفي لاثبات وجودهما التاريخي ، وأخباره عنهما بأمر يكفي للدلالة على وقوعه ، وهو بالطبيعة — يكفي هذه الامم التي خالط قلوبها الايمان بأن الرسول المؤيد بالآيات البينات لا يقول على الله الا الحق ، اما الذين لم يبصروا بدلائل نبوته ، ولم يقبلوا وجوههم في سيرته ، فليس من شأنهم الاكتفاء بخبر القرآن ولا أن يدلهم ورود اسم شخص فيه على وجوده التاريخي ، فلم يكن لهذه الكلمة المستعارة من "ذيل مقالة في الاسلام" وجه يشفع لورودها في هذا النسق ، فان المسلمين حقا يزددونها ، وغير المسلمين لا ينتفعون بها ، ولا نرى لها من شأن غير اغواء النفوس التي لم تبلغ في ادراك الحقائق أشدها .

قصة اسماعيل وابراهيم كانت تدور بين العرب أيام جاهليتهم ، ثم ساقها القرآن على وجه محكم وبيان ساطع ، ومن حاول الجهر بانكار ما تتداوله قلوب أمة ويقرره كتاب تدوين صدقه أمم ، كان حقا عليه أن يسلك مسلك ناقد التاريخ فبين للناس كيف كان نبأ الواقعة مخالفا للمعقول أو المحسوس أو التاريخ الثابت الصحيح ، ولكن المؤلف لم يسلك في انكار هذه القصة طريقة نقد التاريخ فيحدثنا لماذا لم يسمها عقله أو كيف وقع حسه على ما يبطلها ، أو من أين سمع أن مؤرخا قبل صاحب "ذيل مقالة في الاسلام" قال ما يناهضها . ان لم يكن مع المؤلف سوى عاطفة غير اسلامية تزوجت تقليد لا يرى فحملت بهذا البحث وولدت على غير مثال " (١)

ويقول الاستاذ في صفحة ٢٨ : فقريش اذا كانت في هذا العصر ناهضة نهضة مادية تجارية ، ونهضة دينية وثنية ، وهي بحكم هاتين النهضتين كانت تحاول أن توجد في البلاد العربية وحدة سياسية وثنية مستقلة .
ويعمل طه حسين قصة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام بأنها اسطورة وتعلق العرب بها ونسبتهم اليها يعود الى أن العرب يبحثون عن نهضة جد يذلها تاريخ قديم ، يتصل بالاصول العريقة التي تتحدث عنها الاساطير . وفي ذلك يقول :

" واذن فليس ما يمنع قريشا من أن تقبل هذه "الاسطورة" التي تفيد أن الكعبة من تأسيس اسماعيل وابراهيم — كما قبلت روما قبل ذلك ، ولأسباب مشابهة "أسطورة أخرى صنعها اليونان تثبت أن روما متصلة باثيناس بن بريم صاحب "ظروادة" ."

يعمل الرافعي قول طه حسين هذا بأن قبول قريش هذه الاسطورة الخرافية التي تثبت أن الكعبة من بناء اسماعيل وابراهيم ، معنى هذا أن هذه الاسطورة كانت رائجة قبل الاسلام فلما جاء الاسلام أخذها الرسول صلى الله عليه وسلم — لانه منهم ، وبذلك تجزم الجامعة المصرية أن في القرآن كذبا وتلفيقا لان الاسطورة ((كما يقول أستاذها صفحة (٢٩)) حديثة العهد ظهرت قبل الاسلام وأستغلها الاسلام لسبب ديني " أي فهي كذب صريح يعلم الاسلام أنه كذب ويتغفل به العرب لسبب ديني فماذا بقى من هذا الدين الذي يتناول الخرافة المخترعة قبل الاسلام بقليل ويوردها في كتابه على أنها منزلة من السماء وأنها وحى يوحى ؟)) (١) .

وبواصل الرافعي الرد العنيف على طه حسين بواقع من حميته الدينية وغيرته الاسلامية على الدين والدفاع عنه بقلمه الحاد ، وبصيرته النافذة

من روحه المخلصه لهذا الدين الذى جعله الله باقيا الى أن يطوى الأرض ومن عليها وفى ذلك يقول ((وتاما على هذه الخرافة يقول أستاذ الجامعة فى صفحة (٨٠))) فهو يعنى القرآن - يذكر التوراة والانجيل ويجادل فيهما اليهود والنصارى ، وهو يذكر غير التوراة والانجيل شيئا آخر هو صحف ابراهيم ، ويذكر غير دين اليهود والنصارى دينا آخر وهو ملّة ابراهيم . هو هذه الحنيفية التى لم نستطع الى الآن أن نتبين معناها الصحيح ، واذا كان اليهود قد استأثروا بدينهم وتأويله ، وكان النصارى قد استأثروا بدينهم وتأويله ولم يكن أحد قد احتكر ملّة ابراهيم (تأمل !) ولا زعم لنفسه الانفراد بتأويلها ، فقد أخذ المسلمون يردون الاسلام فى خلاصته الى دين ابراهيم * (١) .

ينكر الرافعى هذه الاقوال على طه حسين فيقول :

أهم المسلمون الذين زعموا هذا أم نزل فى قرآنهم كما فى قوله تعالى :

(ثم أوحينا اليك أن اتبع ملّة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) (٢)

ويواصل الرد عليه بقوله :

فاذا كان ذلك من فعل المسلمين فالقرآن كذلك من صنعهم عند أستاذ الجامعة وهذا الاستاذ يشير بالحنيفية التى لم يفهم معناها الصحيح الى ما ورد فى الحديث من قوله - صلى الله عليه وسلم - بعثت بالحنيفية السمحة السهلة وقد تكررت هذه اللفظة فى الحديث ، فكيف سمعها العرب ورواها العلماء ولم يفهموها ، وكيف يكون ذلك وهى مبنية على آيات كثيرة وروى فى القرآن مثل قوله تعالى :

((ميا كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما)) (٣)

وقوله : (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملّة ابراهيم حنيفا) (٤)

(١) تحت راية القرآن مصطفى الرافعى ص ١٥٤

(٢) سورة النحل آيه ١٢٢

(٣) سورة آل عمران آيه ٦٩

(٤) سورة النساء آيه ١٢٥

الشك التي قدرها أستاذهم ؟ أم يصدقون الرافضة ؟ وما الذي يجعل طه
أصدق منهم ؟ أو يجعلهم أصدق منه ، طالما أن الأمر فيه مذهب الشك والتعسف (١)

ويوضح الرافعي اعتقاد طه حسين في أن القرآن يمثل العصر الجاهلي

ويستخدم الأدلة والحجج في الرد عليه فيقول :

" يمتدد الاستاذ أن القرآن يمثل العصر الجاهلي " وبشخصه " وأنه أصدق مرآة

للحياة الجاهلية - ص ١٦ - وأن العصر الجاهلي القريب من الاسلام يضع

وأنا نستطيع أن نتصوره تصورا واضحا قويا صحيحا ، بشرط لا نعتمد على

الشعر ، بل على القرآن من ناحية والتاريخ والأساطير من ناحية أخرى - ص (٢)

ويتابع ذكر آراء طه حسين عن القرآن الذي وضعه في موضع الشك ، وأصبح هذا

الكتاب المقدس يتأرجح في رأيه بين الآراء الكثيرة التي يراها والتي تنبع من شكه

لا من عقيدته إذ يقول في صفحة ٨٣ : " ليس يعني أن يكون القرآن تأثر

بشعر أمية - ابن أبي الصلت - أولا يكون (٤)

يقول الرافعي :

" ان القرآن عند هذا الرجل أشبه بالكتب التي يضمها المؤلفون فتكون تشيلا

للعصر الذي وضعت فيه لأنه صادرة عن فكر متأثر بالاسباب الكثيرة التي أنشأت -

العصر ، نشأته الخاصة به والمميزه له مؤثرة بهذه الاسباب عينها فيما يضمه

ويؤلفه ، كما ترى في الياذة هو ميروس مثلا ، واذن فلم يبق معنى لما ورد فيه

من أنه (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (٤)

ويلتحق هذا ومثله " بالاساطير التي استغلها الاسلام لسبب ديني " .

(١) تحت راية القرآن مصطفى الرافعي ص ١٥٥-١٥٦

(٢) ، (٣) نفس الراي من المرجع ص ١٥٦

(٤) سورة فصلت آية (٤١)

وتظهر جرأة الرافعى الدينيه بواقع الأيمان العميق ، ولم يكتسِف
بالرد على طه حسين بل نراه يتمرد للجامعة المصريه فى عقيدتها لأنها
وافقت على رأيه ودرسته الطلبة وامتحنتهم فيه ثم يتساءل فى سخرية عن علم
طه حسين فى قوله تعالى :

" من بين يديه " وقوله " من خلفه " هذه بلاغة السماء التى هى معجزة الله فى
أرضه ، والتى يسجد لها كل بليغ لأنه مدرك لما فى هذه المعجزة من معانى ،
ويوضح معنى الآية شارحا لها بما أوتى من سعة فى العلم وبصيرة فى تفسير
وتحليل آيات القرآن ، ويذكر أن القرآن لا يشخص عصرا ، ولا يمثل بل هو كتاب
كل عصر ، وهو الثابت على كل علم وكل بحث وكل اختراع واستكشاف على مدى
الآزمنة فى أيها جاء ما سيستأنفه التاريخ وهذا معنى " من بين يديه " وأيها
ذهب ما يطويه الماضى وهذا معنى من خلفه وذلك ان العصور يصح بعضها
بعضا .

ويكشف بعضها خطأ بعض ، وقد يتقرر فى زمن ما يثبت بعد أزمان
طويله أنه كان خطأ فقله (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) نحن
الكلمات التى لا تخطر بفكر انسانى يظن أنه يشخص العصر الجاهلى ، بل هى
علم من لا يعلم غيره أن ستجد أمور وتحدث علوم وتمحص تواريخ وتنشأ مخترعات
فلوفهم الجاهل لما تكل الا الفاهم ، وقد قال الله فى أشباه طه حسين (٢)
(وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا) (٣)

يقول الدكتور طه حسين بأن القرآن يمثل لنا الحياه الدينيه القويمه
التي تدعو أهلها الى أن يجادلوا ما وسعهم الجدل .
(فالقرآن اذن يمثل أصدق تمثيلا للحياة الدينيه عند العرب من هذا الشعر
الذى يسمونه الشعر الجاهلى .

(١) سورة فصلت آية (١٠١)

(٢) تحت راية القرآن . الرافعى ص ١٥٦ - ١٥٧

(٣) سورة الروم آية (٩)

ولكن القرآن لا يمثل الحياة الدينية وحدها ، وإنما يمثل شيئاً آخر

غيرها لانجده في هذا الشعر الجاهلي :

يمثل قدرة على الجدل والخصام أنفق القرآن في جهادها حظاً عظيماً . أليس القرآن قد وصف أولئك الذين كانوا يجادلون النبي بقوة الجدل والقدرة على الخصام والشدة في المحاوره وفيهم كانوا يجادلون النبي بقوة الجدل والقدرة على الخصام والشدة في المحاوره ؟ وفيما كانوا يجادلون ويخاصمون ويحاورون ؟ في الدين وما يتصل بالدين من هذه المسائل المعضلة التي يتفق الفلاسفة فيها حياتهم دون أن يوفقوا لحلها : في البحث - في الخلق في امكان الاتصال بين الله والناس في المعجزة وما الى ذلك (١)

ويرد الرافعي على الدكتور طه حسين بأنه جاهل في زعمه أن القرآن يمثل للعرب حياة عقلية قوية في الجدل الديني والفلسفي ، لانه وصفهم بشدة الخصام ، وبأنهم كانوا يجادلون ويخاصمون ويحاورون في الدين وما يتصل به من هذه المسائل المعضلة التي ينفق الفلاسفة فيها حياتهم .

ثم يضع الرافعي اللوم الشديد على الجامعة المصرية التي تركت طه حسين يدرس فيها ويطلبه أن يذكر له مجلساً واحداً من هذه المجالس العربية الفلسفية وما دار فيه من البحث والتحقيق والجدل والخصام والمحاورة في معضلات الفلاسفة التي ينفقون فيها حياتهم ، حتى يصدق أن معنى اللدد - والخصام الوارد في القرآن صفة للعرب .

ويؤكد بما يذكره لنا من تعرض الرسول - صلى الله عليه وسلم - للاندى من المشركين حالة العرب في ذلك الوقت وأنهم لجئوا الى ابداء بطريقة بدائية لا تدل على الاحتجاج والمجادلة والمنطق وسعة الفلسفة والثقافة ان أنها لو كانت لديهم تلك الحجج لعمدوا اليها ثم يواصل تهكمه بقوله :

« من حججهم الفلسفية كانت تلك الحجارة التي نص التاريخ على أنهم كانوا يقذفون بها النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى اضطروه الى أن يحتج بالحائط الى الأنواع الاخرى من الايذاء التي تلقاها الرسول - صلى الله عليه وسلم - من المشركين من نثر التراب على رأسه ، وقولهم بأنه شاعر وساحر وكذاب ومجنون ونحوها ما يدخل في باب الحق والسفاهة والاستهزاء . » (١)

ثم يقول : " ومتى كانت هذه من صفات الفلاسفة يا شيخ الجامعة " ويوضح طريقة الجدل التي استعملها المشركون مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - حين كان يدعو قبائل العرب ، ويتلو على قومه القرآن ، ويقيم معه عبد المطلب يقول من وراءه .

((يا أيها الناس لا تسمعوا منه فإنه كذاب " ويبين مجالس العرب حينما كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يدعو الناس ويتلو عليهم القرآن يأتي عالمهم ومتكلمهم النضر بن الحارث ، فيخلفه في مجلسه ، ويقص على الناس من أخبار ملوك فارس ويقول :

والله ما محمد بأحسن حديثاً مني ، وما حديثه الا أساطير الأولين اكتبتهما
كما اكتبتهما (١)

يرد الرافعي على طه حسين الذي يقول بأن العرب لم يكونوا في عزلة سياسية بل هم أصحاب سياسة ، ويستشهد على ذلك بسورة الروم ، والرافعي يظهر خطأ طه حسين في تفسير الآيات التي تدل على العلم بالغيب لا على ما في العرب وفي ذلك يقول :

((والطاقة الكبرى في صفحة ٢٢ ان يزعم الاستاذ أن وجود سورة في القرآن تسمى سورة الروم ، دليل على أن العرب لم يكونوا في عزلة سياسية بل هم أصحاب سياسة

متصلة بالسياسة العامة وقد أخذت ذلك من قوله تعالى :

(ألم غلبت الروم في أدنى الأرضي وهم من بعد غلبهم سيفليون في بضع

سنين) (١)

وكأنه كان يعني أن هذا التاريخ كان مصروفا في أهل السياسة — من العرب وفي وزارة خارجية قريش . . فأخذ القرآن عنهم كما زعم الرجل فـ صلى ابراهيم واسماعيل ، وغفل أستاذ الجامعة الذي لا يفهم قوله تعالى (وهم من بعد غلبهم سيفليون) فلم يدر أن هذا انباء بالغيب يدخل في باب المعجزة لا في باب التاريخ ولا في باب السياسة فذكر الروم في القرآن وما يجري مجراها في قصص الأمم اعجاز من النبي الأمي في هذه الأمة الأمية ، فهو بذلك دليل على جهل تلك الأمة ويداوتها لا على علمها وحضارتها ، ولن يكون القرآن دليلا على علم العرب وشارتهم ومعرفتهم بالتاريخ واتصالهم بالسياسة كما يقرر طه حسين في الجامعة الا اذا كان القرآن كلام النبي (الذي جاء به لم يكن وحيا وتنزيلا فلتنظر الجامعة أين يذهب أستاذها الخبيث في قوله في ص (٢٣)) وكيف يستطيع رجل عاقل أن يصدق أن القرآن قد ظهر في أمة جاهلة همجية) وهل نصدق طه فيما يستنتج بفكره العقيم من أن العرب كانوا أمة متحضرة راقية .

” وكانوا أصحاب علم ودين وسياسة متصلة بالسياسة العامة ” أو نصدق النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : إنا أمة أمية لا نحسب ولا نكتب ” ومن أين تجي ” الحضارة ويأتى العلم وتستقيم السياسة مع جهل (الأمة) بالكتابات والحساب (٢)

ثم يواصل الرافعي استنكاره ونقده اللادغ للدكتور طه حسين ويحاول أن يظهر أفكاره وأخلاقه وطباعه ويرميها بالاضطراب والزيغ ويألب الجامعة على طه حسين . وأنه يجب عليها حماية طلبتها عن . ~~وأن جعل من الرافعي استلذهما~~

(١) سورة الروم آية (١ - ٢)

(٢) تحت راية القرآن . المعركة بين القديم والجديد مصطفى الرافعي ص ٦١ - ٦٢

حتى لا يكون سببا في زيغ الطلبة الذين يتلقون عنه العلم ثم يتحدث عن عميد الكلية ويقول انه لا يعلم شيئا من أمور الدين ، ولكن إذا كان هذا شأنه فماذا يقول في الاستاذ البليغ مدير الجامعة الذي أسمه أحمد () وبعد نشر هذا المقال نهض العلماء لمحاربة الاحاد في جميع المعاهد الدينية ان أنهم أكدوا الاحاد استاذ الجامعة وجهله وخطله .

عصبية طه حسين على الاسلام

=====

لقد أثر الغرب في طه حسين ما جعله يتعصب على الاسلام وذلك بالظمن على القرآن ، وعلى الرسول بأنه رجل سياسى وتوهين أمر الأئمة من الصحابة ، ان طه حسين يتعرض لاهم مقدسات الاسلام والتي على أساسها يقوم هذا الدين وتبنى دعائمه .

وقد لخص الرافعى عصبية طه حسين على الاسلام فى ثلاثة وجوه :

أولها عقيدته فى القرآن وأنه من وضع الذى جاء به لا من وحى ولا تنزيل ولا - معجزة .

وثانيها رأيه فى النبى - صلى الله عليه وسلم وأنه رجل سياسى فلا نبوة ولا رسالة .

وثالثا عمله فى توهين أمر الأئمة من الصحابة فمن بعدهم وقياسهم فى الانسانية وأهوائها وشهواتها على قياس نفسه وطباعه . .

فأما القرآن فقد أفردنا له مقالا أفتضح به أستاذ الجامعة أشد فضيحة - وأخزاها ، ونزيد عليه هنا أن الأستاذ يقول فى صفحة ٨٥ فى الرد على المستشرق (هوار) الذى زعم أن النبى - صلى الله عليه وسلم - أخذ من شعر أمية بن أبى الصلت واستعان به فى نظم القرآن : " من الذى يستطيع أن ينكر أن كثيرا من القصص القرآن كان معروفا بعضه عند اليهود وبعضه عند النصارى - وبعضه عند العرب أنفسهم ، وكان من اليسير أن يعرفه غير النبى ، ثم كان النبى وأمىة متعاصرين ، فلم يكون النبى هو الذى أخذ من أمىة ولا يكون أمىة هو الذى أخذ من النبى " .

ثم يتصدى الرافعى لظه حسين فى هذه الاقوال التى يقول أنها تصـوـر رأى قائلها الذى يتحدث عن القرآن بهذه الصورة وكأنه يقول أن القرآن لا ينقصه أن يكتب عليه تأليف فلان .

وما يزال الرافعي يذكر اقوال طه حسين ويرد عليها بقول طه حسين
في صفحہ ١٨ في بيان أن القرآن ليس في حاجة الى شواهد من الشعراء
على الفاظه ومعانيها عند العرب " تخالفهم أشد الخلاف لان أحدكم لم ينكر
عربية النبي فيما نعرف " .

ثم يقول في صفحة ٧٦ عن علماء الموالى وعلماء العرب :
" فأرادوا هم (اى علماء العرب) أو الموالى أو أولئك وهؤلاء أن يدرسوا القرآن
درسا لغويا ويثبتوا صحة الفاظه .

ومعانيه ، ولا مرموا شعروا بالحاجة الى اثبات أن القرآن كتاب عربى مطابق
في الفاظه للغة العرب ، فحرصوا على أن يستشهدوا على كل كلمة من كلمات
القرآن بشئ " من شعر العرب يثبت أن هذه الكلمة القرآنية عربية لا سبيل الى
الشك في عربيتها " أنتهى .

أن طه حسين بقوله هذا يبين أن الشعر أكثر عربية من القرآن حتى أن -
العرب تتأكد من سلامة العربية بالشعر وتطابقه على القرآن ، ولكن الرافعى
يوضح أن سبب استشهاد العرب بالشعر لا يراد منه اثبات عربية القرآن ولا هو
من شك في العربية ولا من أمرا ما يقول وانما يراد به اتخاذ القرآن سببا في جمع
مادة اللغة وشواهدا كما كان السبب في وضع العلوم العربية كلها ، أفترى وضع
النحو كان لا ثبات أن القرآن ليس فيه لحن ، أم كان لا قامة الألسنة الزائفة
حتى يسهل عليها الاداة والقراءة ؟ ثم يراد من تقييد تلك الشواهد وجمعها
وتدوينها تفسير كلمات القرآن ليفهمها من يجيئون بعد العرب كما فهمها العرب
أنفسهم ، وظاهر أنه لا سبيل الى ذلك الا بالنصر على معاني الكلمات عندهم ،
ولا ثقة بهذا النصر ان لم يكن عليه دليل من شعرهم ان هو وحده ، المحفوظ عندهم
وهو كان متن اللغة والخبر والأثر ، ولمصرى لولا صنيع العلماء في جمع هذه الشواهد
لقام الف زنديق يضيفون الى مطاعنهم في القرآن أن فيه خطأ في اللغة ، فانظر
أين هذه الحكمة ما يخطط فيه أستاذ الجامعة .

ثم يقارن طه حسين بين القرآن والالياندة والاوديسا عند اليونان وفي
 عناية كل من اليونان والمسلمين بجمعهما وترتيبهما يقول في ذلك صفحته (٩١)
 (ان اليونان يقدسون الالياندة والاوديسا ويعنون بجمعهما وترتيبهما وروايتهم
 واداعتهم عناية المسلمين بالقرآن الكريم) .

يقول الرافعي انه لم يفهم من هذا الكلام شيئا ، لانه يحتمل كل شئ
 ولو فسر لنا فسرنا له وأريناه مبلغ جهله وسوء أدبه (١) .

ثم يذكر الرافعي أن طه حسين حين يذكر النبي - صلى الله عليه وسلم -
 لا يوفيه حقه من الاجلال والاكرام الذي يستحقه صلى الله عليه وسلم وأنه لا يبد
 لكل قلب يجيش بمشاعر التقدير والاعظام لفضل هذا الرسول صلى الله عليه وسلم
 أن يذكر الصلاة عليه .

ولكن لا يعلم أهي غفلة من طه حسين أن يذكر الصلاة على النبي أم أنه
 يرى أن ذلك غير ضروري .
 يقول الرافعي في ذلك :

(أما رأيي في النبي - صلى الله عليه وسلم - فمن أعجب ما عجبنا له أنه ما هو
 عالم أو كاتب مسلم يذكره صلى الله عليه وسلم الا صلى عليه أو وضع رمزا لصيفه
 ولو هذا الحرف (ص) وترى كتاب المسيحيه يأخذون بهذا الأدب في كتبهم العربية
 لأن المسلمين يقرءونها ، أما أستاذ الجامعة فكأنه لا يتولى النبي صلى الله عليه
 وسلم ولا يحسن عظمته ولا أثره ، فقد ذكره في كتابه مرارا تفوت المد فلم يتألم معه
 ولا مرة واحدة ، فلا بعقيدة المسلمين أخذ ، ولا بمجاملة المسيحيين اقتدى ، بل
 طريقته هي طريقة المبشرين بعينها ، تشعرك وقاحة الكاتب وفروره وانتشار
 عقده ، مع أنهم قالوا ان هذه الصلاة من الرجل المسلم انما تكون دليلا على خلوص

الأنصار ، أن يعود الى قريش والى مكة مرة أخرى ، قال : والقي الرماد على هذه النار التي كانت متأججة بين قريش والأنصار وأصبح الناس جميعا - ففى ظاهر الأمر - اخوانا مؤتلفين فى الدين " .

وقد حلل طه حسين الاحداث التاريخية من أبى سفيان الى حفيده يزيد وفى نظره ان الحق على الاسلام متوارث من أبى سفيان الذى لم يكن مسلما حقيقيا وانما كان مصانعا ، الى يزيد الذى انتقم من غزوة بدر فى موقعة الحرة .

وان طه حسين لم يقف عند حد الانتقام فقط ولكنه تدخل فى عقيدة يزيد بأنه ليس مسلما طالما أنه ساخط على الاسلام وما جاء به .

يقول فى ذلك :

" ان يزيد صورة صادقة لجده أبى سفيان فى السخط على الاسلام وما سنه للناس من سنن " .

ثم يؤكد الرافضى اسلام أبى سفيان بالاحداث التاريخية وبمواقف أبى سفيان التى شهد بها التاريخ وسجلها عنه وفى ذلك يقول :

" فأبو سفيان والصحابه أو أكثرهم منافقون فى رأى الجامعة المصرية لانهم لم يكونوا اخوانا مؤتلفين فى الدين الا فى ظاهر الأمر وأبو سفيان مع ذلك من كتاب النبى صلى الله عليه وسلم - وقد شهد معه حنينا والطائف وفقت عينه فى هذه ، وهو القائل لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد غزوة حنين : والله انك لكريم فداك أبى وأمى ، والله لقد حاربتك فنعم المحارب كنت ، ولقد سألته فنعى المسالم أنت " أفهذا كلام منافق ينتظر ويترصد ؟

ويشبه الرافضى رأى طه حسين هذا برأى الرافضة ، الذين زعموا أن الصحابه كانوا منافقين فى حياة رسول الله - صلى الله عليه وسلم (أبى بكر وعمر وأبا عبيده

ابن الجراح وجله المهاجرين الانصار) (١)

كتاب الشعر الجاهلي رأى لجنة العلماء فيه

=====

اجتمعت لجنة العلماء للنظر في كتاب الشعر الجاهلي وما يتضمنه من تكذيب للقرآن الكريم . ووصحت موضوع الكتاب وهو انكار الشعر الجاهلي وأنه منتحل بعد الاسلام وذلك بسبب تجرد طه حسين من دينه وقوميته عملا بهذا ذهب ديكارت هذا بالاضافة الى ما في الكتاب من روح الالحاد والزندقة التي لا يمكن بحال من الاحوال أن تلقى على طلبة ليس لديهم من المعلومات والثقافة الدينية ما تحميهم من الوقوع في الضلال والزيغ والانحراف عن جادة الصواب وتري اللجنة بأنه اذا لم تحارب هذه الروح الالحادية في التعليم ويستأصل هذا الشر من جذوره وتعقم دور التعليم مما يضلل أبنائها بحجة حرية الرأي أختل النظام واضطربت النفوس لان الدين اساسي كل طمأنينه . وإن كان الكتاب قد وضع في ظاهره لانكار الشعر الجاهلي ولكن المتأمل يجده دعامة من دعائم الكفر ومعوذا لهدم الاديان وبخاصة الدين الاسلامي ، فانه تذرع بهذا البحث الى إنكار أصل كبير من أصول اللغاه العربيه من الشعر والنثر قبل الاسلام ما يرجع اليه في فهم القرآن والحديث ، هذا ما يتضمنه الكتاب في جملته .

وقد ذكرت اللجنة مواضع الكفر الصريح في الكتاب والمواضع التي تدل

على الالحاد فيه — ملخصة فيما يأتي :-

(١) انكار المؤلف لهجرة ابراهيم مع ولده اسماعيل عليهما السلام وقال ان ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما ويقول أيضا ليس ما يمنع قريشا من أن تقبل هذه الاسطورة التي تفيد أن الكعبه من تأسيس اسماعيل وابراهيم .

لقد أسماها طه حسين "أسطورة" نعم قصة ابراهيم واسماعيل التي اثبتها القرآن الكريم ولا مجال للشك والجدل في نصوص أتى بها القرآن

هذا الكتاب السماوى الذى لا يستطيع البشر بأهوائهم المختلفه
أن ينالوه بأى كلمة شك او الحاد الا إذا كان هؤلاء الناس يمشون
داخل كهف معتم من مخيلتهم الفاسده التى انطلق منها مذهب الشك .
فى نصوص القرآن التى أوردتها اللجنة فى خطابها ذاكرة اقوال القرآن
فى الرد عليهم قال تعالى :

((واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل)) (١) وقوله تعالى
أيضا (واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ألا تشرك بي شيئا وطهر بيتى
للطائفين والقائمين والركع السجود) واذن فى الناس بالحج يأتوك
لأجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق (٢) وقوله تعالى
(واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهر
بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود (٣))

(٢) انكاره للقراءات السبع المتواتره عن النبى - صلى الله عليه وسلم - وانها
عنده ليس واردة عن النبى صلى الله عليه وسلم ومعلوم فى اصول الدين
أن السبع متواتره عن النبى وأن طريقها الوحى وأن منكرها كافر .

(٣) انكاره لأولية الاسلام وأنه يحدد دين ابراهيم بقوله (ص ٨١ وشاعت
فى العرب أثناء ظهور الاسلام وبعده فكرة أن الاسلام يحدد دين
ابراهيم وفى الصفحة التى قبلها " أما المسلمون فقد أرادوا أن يثبتوا للاسلام
أولية فى بلاد العرب كانت قبل أن يبعث النبى صلى الله عليه وسلم
وأن خلاصته أن الدين الاسلامى وصفوته هى خلاصة الدين الحقيقى
الذى أوحاه الله الى الانبياء من قبل وهو فى هذا يكذب قوله تعالى
(ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين (٤)) .

(١) سورة البقرة الاية ٢٦

(٢) سورة الحج الاية ٢٥

(٣) سورة البقرة الاية ١٢٤

(٤) سورة النحل آية ١٢٢

وقوله تعالى :

(ان أولى الناس بإبراهيم للذين أتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا) (١)
 رفعت اللجنة هذا الاحتجاج الى شيخ الجامعة الأزهر وطلبت منه
 أن يضع حدا لهذه الفوضى وهذا الالحاد والكفر . وبعد ذلك كتب
 طه حسين الى مدير الجامعة المصرية هذا الخطاب :
 حضرة صاحب العزة الاستاذ الجليل مدير الجامعة المصرية .

أتشرف بأن أرفع لعزتك ما يأتى :

كثر اللفظ حول الكتاب الذى أصدرته منذ حين باسم : " فى الشـعـر
 الجاهلى ، وقيل انى تعدت فيه اهانة الدين والخرج عليه ، وانسى
 اعلم الالحاد فى الجامعة ، وانا أوكد لعزتك أنى لم أرد اهانة الدين
 ولم أخرج عليه ، وما كان لى أن أفعل ذلك ، وأنا مسلم أو من بالله وملائكته
 وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وأنا الذى جاهد واستطاع فى تقوية التعليم
 الدينى فى وزارة المعارف حين كلفت العمل فى لجنة هذا التعليم ،
 ويشهد بذلك معالى وزير المعارف وأعوانه الذين شاركونى فى هذا العمل
 وأوكد لعزتك أن دروس فى الجامعة خلت خلوا تاما من التعرض للديانات
 لأنى أعرف أن الجامعة لم تنشأ لمثل هذا .

وأنا أرجو أن تتفضلوا فتقبلوا هذا البيان من تشاءون وتنشروه حيث
 تشاءون وأن تقبلوا تحياتى الخالصة واجلالى العظيم . . (٢)

طه حسين

(١) سورة آل عمران ٦٧

(٢) تحت راية القرآن الرافعى ١٧٣ - ١٧٤

وهكذا استطاع الرافعى بقلمه الشجاع وأفكاره النيرة وثقافته الدينية
 بهدى الدين الاسلامى ، وعميق ايمانه وحججه القوية الدامغة فى دفع الكفر
 والالحاد عن هذا الدين ، أستطاع أن يجعل العلماء يطاردون الالحاد ،
 وأن يؤلب الامة على الأفكار الهدامة التى أتى بها مسلم عربى من أبناء
 الامة الاسلامية ، وأن كان عميدا للأدب وأستاذ له ، ويكفى الامة
 الاسلامية فخرا أن تجد فى هذا الكتاب الدافع عن الدين ليكون هودا
 الحرب لكل من يتصدى للمقدسات الدينية ، ويحاول النيل منها والتشكيك فى
 صحتها .

وخلاصة القول ٢

ان كتاب المعركة بين القديم والجديد يمثل معركة التصدى لمن يحاولون
 الساس باللغة العربية وآدابها أو يحاولون النيل من المقدسات الدينية وعلى
 رأسها القرآن الكريم ، وتظهر فى الكتاب نظرة العنفاء والسخرية والتهمك من
 الرافعى للمجددين ، ويرد عليهم بعنف وشدة وحجج منطقية فى اقناعهم بفصاحة
 اللغة العربية وخاصيتها ليست فى الفاظها ولكن فى تركيبها ، ومعد أن رد على
 المجددين تناول " كتاب فى الشعر الجاهلى " ورد عليه رأيا رأيا واستطاع أن -
 يظهر خطأ طه حسين ، بما أوتى من قوة البيان والحجج القوية ، وكان فى هذه
 المعركة شديدا عنيفا ، وتهيئت له الفرصة للنيل من طه حسين بتعرضه للمقدسات
 الاسلاميه ، وان كانت هناك أسباب شخصية الا أن تعرض طه حسين للمقدسات

الاسلاميه جعل مركز الرافعى قويا للنيل ولم يكن الرافعى وحيدا في هذه المعركة بل كان معه رجال من المؤمنين وهم :

" الامير شكيب ارسلان والقاضى الاستاذ عباس فضلى ، والشيخ محمد الخضر حسين والاستاذ محمد لطفى جمعه ، والاستاذ محمد فريد وجدى ، والدكتور محمد أحمد الفمراوى ، والشيخ محمد الخضرى ، والشيخ محمد أحمد عرفيه ، وكثرة وافرة من علماء المسلمين " (١) .

وكان من ثمرات المعركة أن ظهر لولون جديد في أدب الرافعى هو المقالات التى أجراها على لسان كلية ود منه ، ساخرا متهمكا من طه حسين حينما بحث معتذرا للجنة العلماء عند ما طالبوه بمصادرة الكتاب . وهكذا تظهر ثقافتة الاديب المسلم فى ردوده التى تتضمن الحجج الدامغة والاستشهاد بالآيات القرآنية .

وان كتاب " المعركة بين القديم والجديد " يضع الرافعى بين كتاب العربية ويجعله رائد الفكرة الاسلاميه فى عصره وفى كل العصور . ولا غرو أن يكون الرافعى كذلك فقد تتلمذ على يد الامام محمد عبد موجدال الدين الافغانى ومحمد رشيد رضا وتشبع بأرائهم ، فهب مناضلا عن الاسلام مناهضا خصومه ، وقد تجلى ذلك فى آثاره الدينيه كما رأينا .

(١) مصطفى صادق الرافعى - كاتبها عربيا ومفكرا اسلاميا د . مصطفى الشكعه

ان كتاب المعركة بين القديم والجديد يمثل معركة التصدي لمن يحاولون المساس باللغة العربية وآدابها أو يحاولون النيل من المقدسات الدينية وعلى رأسها القرآن الكريم ، وتظهر في الكتاب نظرة العنف والسخرية والتهكم من الرافعى للمجددين ، ويرد عليهم بعنف وشدة وحجج منطقية فى اقناعهم بفساحة اللغة العربية وخاصيتها ليست فى الفاظها ولكن فى تركيبها ، وبعد أن رد على المجددين تناول " كتاب فى الشعر الجاهلى " ورد عليه رأيا رأيا واستطاع أن يظهر خطأ طه حسين ، بما أوتى من قوة البيان والحجج القوية ، وكان فى هذه المعركة شديدا عنيفا ، وتهيئت له الفرصة للنيل من طه حسين بتعرضه للمقدسات الاسلاميه ، وان كانت هناك أسباب شخصية الا أن تعرض طه حسين للمقدسات الاسلاميه جعل مركز الرافعى قويا للنيل ولم يكن الرافعى وحيدا فى هذه المعركة بل كان معه رجال من المؤمنين وهم :

" الامير شكيب اربلان والقاضى الاستاذ عباس فضلى ، والشيخ محمد الخضر حسين والاستاذ محمد لطفى جمعه ، والاستاذ محمد فريد وجدى ، والدكتور محمد أحمد الفمراوى ، والشيخ محمد الخضرى ، والشيخ محمد أحمد عرفه ، وكثيرة وافرة من علماء المسلمين " (١) .

وكان من ثمرات المعركة أن ظهر لون جديد فى أدب الرافعى هو المقالات التى أجراها على لسان كهيئة ودمنه ، ساخرا متهكما من طه حسين حينما بحث مستندرا للجنة العلماء عندما طالبوه بمصادرة الكتاب . وهكذا تظهر ثقافة الاديب المسلم فى ردوده التى تتضمن الحجج الدامغة والاستشهاد بالآيات القرآنية .

وان كتاب " المعركة بين القديم والجديد " يضع الرافعى بين كتاب العربيه ويجعله رائد الفكرة الاسلاميه فى عصره وفى كل العصور .

ولا غرو أن يكون الرافعى كذلك فقد تتلمذ على يد الامام محمد عبده وجمال الدين الافغانى ومحمد رشيد رضا وتشبع بأرائهم ، فهب مناضلا عن الاسلام مناهظا خصومه ، وقد تجلى ذلك فى آثاره الدينيه كما رأينا .



الخاتمة

مصطفى صادق الرافعى ، أديب الفكر الاسلاميه ، والمدافع عنها —
 بما أوتى من قوة البيان ، واشعاع الفكر ، والحميه الدينيه ، التى أشعلها فى
 نفسه ما وصل اليه حال العصر ، والرافعى ابن همته وكان لها تأثير كبير عليه ،
 جعله يشهر قلمه فى اظهار الحقائق وأخذ يتتبعها تتبع العالم البصير ويجليها
 لذوى الالباب ويؤيدها بالبرهان الساطع ، ندى حصى شبهات المعتدين الاثمين
 مسلمين كانوا ام غير مسلمين ، ومن ثم كانت بداية هذا البحث الحديث عن الحياه
 الدينيه فى عصر الرافعى وعن روافدها الثقافيه التى كانت تستمد منها مقوماتها
 وتمثل فى الكتابات الاوليه ، والمعاهد الدينيه ، والمكتبات العامه وعندما أدخلت
 العلوم الحديثه فى التعليم أهملت العلوم الدينيه واللغه العربيه ، والازهر
 كان مصدر الاشعاع الاول للعلوم ولكنه أصابه ما أصاب غيره من الخمول والركود فى
 عصر الدوله العثمانيه ، وأصبح غير قادر على أداء رسالته ، وكذلك كان للاستعمار
 أثره السيء فى البيئه المصريه لأن الاستعمار لم يستعمر الاراضى فقط ، ولكنه
 خطط لاستعمار الفكر واضعاف العربيه لغه القرآن ، وذلك بفتح المدارس المدنيه
 والتدريس فيها باللغات الاجنبيه على حساب العربيه ، هذا بالإضافة الى ابتعاث
 الطلاب الى اوربا واختلاطهم بالمجتمعات الاوربيه المتحرره من قيود الاديان —
 السماويه ، ما أثر على كثير من الطلاب المبتعثين الذين عادوا يحملون مع الفكر
 الاوربى بنور الاحاد والزندقه ، ولكن أثر ذلك على العقائد الدينيه ، وبدأوا ينشرون
 هذه الافكار الهدامه بين المصريين ، وكذلك كان للحملات التبشيريّه للدين المسيحى
 أثرها فى بلبلة العقول مما قلل من شأن الاسلام ومنزلته فى نفوس المسلمين ، وقد
 اجتمعت قوات ثلاث للقيام بهذه المهمه ، المبشرون ، والمستشرقون ، والمستعمرون
 وقد عملت هذه القوى عملها على اوسع نطاق وانتشرت بأقنعه تخفى وراءها وجوها
 عابثه حانقه على الاسلام وكثر الجدل بين المسيحيين والمسلمين حول بعض
 التعاليم الاسلاميه التى لم يدركوا أسرارها ، وقد تعرضوا للقرآن الكريم بالطعن

لأنهم يعلمون أن المسلمين أن تمسكوا بكتاب الله عصمهم من كيد المعتدي —
 الناقمين منه ، والحاقد بين عليه ، وقالوا انه من تأليف محمد ، ولم يكتفوا بقولهم —
 هذا ، بل تعرضوا أيضا للرسول — صلى الله عليه وسلم بالطعن في سيرته ، والتعرض
 للسنة النبويه بالدس والتشكيك ، لان السنة تمثل المصدر الثاني من مصادر التشريع
 الاسلامي وكذلك تعرضوا أيضا لاحكام الشريعة الاسلاميه ، في زواج الرسول — صلى
 الله عليه وسلم — وتعدد الزوجات تشويها لسمعته ، ولكن المسلمين الغير لم يتركوا
 المستعمرين ، يشوهوا من سمعة هذا الدين ، بل وقفوا لهم بالمرصاد ، واستطاعوا
 ان يردوا عليهم بالردود القويه والحجج المقنعه التي تظهر ضياء هذا الدين —
 وتوضيح احكامه ، والحكمه من التشريع الاسلامي لأمر أختارها الله لعباده ، وهو
 اعلم بما يصلحهم فيما يختاره لهم من طريق قويم يكفل لهم السعاده في الدارين —
 وهناك كتابان تظهر نور الاسلام من ناحيه ، وترد على المتحاملين عليه من ناحيه
 اخرى وهى كتاب " المخططات الاستعماريه لمكافحة الاسلام " للاستاذ محمد محمود
 الصواف الذى رد على مزاعمهم الكاذبه حول القرآن الكريم ، وقضية الاختلاط ، —
 وتشويه معنى الجهاد ، وقيام الاسلام بالسيف ، والدس والتشكيك في السنه ، وموقف
 الاسلام من المرأة ، والمؤلف الثانى هو " مفتريات على الاسلام " للاستاذ أحمد محمد
 جمال فقد رد ايضا على مزاعمهم الكاذبه حول القرآن الكريم ، والحدith النبوى
 والتشريع الاسلامى ، والفتوحات الاسلاميه ، واهدافها ، وقد اتفق المؤلفان
 فى بعض ردودهما على المستشرقين حول القرآن الكريم ، والسيره النبويه ، وقد
 كررت بعض هذه الردود ، لانها تمس أهم مصدرين من مصادر التشريع الاسلامى
 القرآن والسنه ، وكذلك تأكيداً لردودهما المقنعه التي تظهر ما يعلق باهم
 مصدرين من مصادر التشريع الاسلامى وقد انتشرت البدع والخرافات فى المجتمعات
 الاسلاميه نتيجة للجهل والخمول ، والمجتمع المصرى بصفه خاصه لان هذا الامر
 هو الذى أثر فى مصطفى الرافعى وجعله يناهض المبتدعين ، وينافح عن الدين —
 وكذلك قام بعض الرجال المخلصين للردود عن الدين الاسلامى ، ومن هذا المنطلق

قامت حركة الاصلاح الدينى من المسلمين الغير ، امثال الشيخ محمد بن عبد الوهاى
ومحمد اقبال ، وجمال الدين الافغانى ، والشيخ محمد عبده ، وفى هذه الاجواء
التي انتشرت فيها البدع والخرافات نهض مصطفى صادق الرافعى ، حاملا مشعل
الاصلاح لتصحيح معنى الاسلام فى نفوس المسلمين ، اظهارا لنوره الذى تشوهه
هذه البدع والخرافات ، والرافعى من اسرة دينية عريقة الجذور والموطن الاول -
لهذه الاسره فى طرابلس الشام ، وانتقلت الى مصر فى اواخر القرن الماضى
وتولت مناصب القضاء بامر من السلطان العثمانى ومن ثم ~~تمثل~~ نشأته
التعليمية فى مصر ، وكان لأسرته الدينية أثر كبير فى اثرائه بعلوم الدين -
التي كانت تمثل جانبها هاما فى أدبه ، وقد كانت بداية ~~هيبته~~ بالادب
بأنه كان شاعرا ، ثم تحول من الشعر الى الكتابه ، وكان انشاء الجامعة المصرية
سببا فى تاليفه " تاريخ آداب العرب " وعند اظهاره لهذا الكتاب واستحسان
الادباء له ، واستقباله بالثناء المحمود ، جعل الرافعى يتحول من الشعر الى
الكتابة ، واصبح ناثرا ، وقد كان ~~لنفسه~~ خصوصيات كثيرة مع بعض ادباء عصره
مثل طه حسين ، وعباس العقاد ، حيث انه قد تعرض بالنقد لاكثر الادباء ، وكان
حديث اللسان ، وله معارك طاحنه كان له فيها بأس شديد .

وللرافعى اثار علمية واثار أدبية تتضمنها مؤلفاته التي تشتمل على الموضوعات
المختلفة ، وتظهر دوره كأديب استطاع ان يخلص النثر من قيوده التي فرضها العصر
من السجع والمحسنات اللفظية والحلى والزخارف ، وكانت هذه الفترة تمثل الادب فى
حالة من الضعف والركاكة اللفظية ، وتوجد أمثلة على ذلك ، ولكن النشـر
لم يبق على هذه الحالة لان هناك عوامل ساعدت على تحرره من هذه القيود الثقيلة
وأثر ذلك فى تطور الاساليب النثرية وتحررها من قيود الصنعة والتكلف ، وتوجهه
الادباء الى منزعين مختلفين ، منزع الاسلوب المرسل ، ومنزع الاسلوب المسجوع
وكان الرافعى يمثل مدرسة الطائفة الاولى فى الاسلوب المرسل الى حد كبير فى
كتابات ، وادباء الجيل يشهدون للرافعى بمكانة مرموقة بين ادباء جيله (وأقوالهم

تشهد بذلك ، وما هذه الاقوال الا من باب التكريم ، أما اعمال الرافعى فهى تعلن عن نفسها فى جلاء ووضوح ، وتبرهن عن مكانة كاتبها التى تشهد له بالفضل الذى يستحق التمجيد ، وقد كان أدب الرافعى يتمثل فى موضوعات شتى اسلاميه واجتماعيه ، واخلاقيه ، ووصفيه . ، ووجدانيه ، وقصصيه ، والامثلة الموجودة تبرز هذه الجوانب ، كشواهد للنواحي المختلفه التى يتميز بها أدب الرافعى — حيث الاسلوب الفلسفى العميق والاستدلال المنطقى ، ومن حيث الصور البيانيه كالتشبيهات البارعه التى تزيد المعنى وضوحا والاستعارات والجناس والطباق والكتابه وكذلك بعض الامثله على اقتباس الرافعى من القرآن والحديث النبوى الذى صنفه اسلوبه ، وكذلك اللون الجديد لذى امتاز به الرافعى فى اسلوب التهكم والسخرية التى اجراها على لسان كليله ود منه فى سخريته من طه حسين وكان هذا الاسلوب على غرار " الرمزيه " اما من حيث موضوعاته فى الاصلاح الدينى فان بعضها يشير الى الموضوعات الاتيمه :-

الاشراق الالهى وفلسفه الاسلام ، وفلسفه المغازى والفتوحات الاسلاميه والرافعى والاحداث الاسلاميه الكبرى " فوق الآدميه " الاسراء والمعراج وحقيقه المسلم ، ووحى الهجره ، وسمو الفقر فى المصلح الاجتماعى الاكبر ، والانسانيه العليا والله اكبر ، وقرآن الفجر ، وفلسفه الصيام ، واصلاح الازهر ، وأيهما المسلمون ، والمرأة والميراث ، وحجاب المرأة المسلمه ، والزواج بالاجنبيات ومدى خطورته على الالهية فى مقالة (الاجنبيه " ولحوم البحر .

وهناك شواهد من هذه المقالات على أدب الرافعى لا عطاء صورة موجزه عن بعض المقالات الاسلاميه الرافعيه ، التى تمثل مقاله الاسلاميه ، والبراعه الرافعيه فى اظهار هذا الجانب بالصوره المشرقه ، والحروف المضيئه التى سجلت بلا ريب أدبا يستحق التقدير والاهتمام بمدد لا ينضب معينه من افكار جديده وموضوعات متنوعه ، تمثل أدب الفكره ، ومن ثم كان رائدها وزعيمها بما أوتى من عبقرية فذه وفكر ناضج وبما يحمله فى نفسه من نبضات حييه ، وروح مشرقه وللرافعى

كتاب "اعجاز القرآن والبلاغة النبوية" وقد أورد الرافعي فصولا في اعجاز القرآن تحدث فيها عن القرآن الكريم ومدى فصاحته وهدايته للبشر، وما الى ذلك من موضوعات مختلفة في الحديث عن القرآن من حيث آدابه ، وصلته بالعلوم وحقيقة اعجازه ، ونظمه ، ثم انتقل الى الحديث عن "البلاغة النبوية" هذه البلاغة الانسانية التي حيرت العقول بما أوتيت من اجتماع في الكلام وقلته ونفي الشعر عنه — صلى الله عليه وسلم — وتأثير هذه اللغة بالشقيق من الالفاظ التي لم تسمع من احد قبله من العرب .

وللرافعي أيضا كتاب "تحت راية القرآن" المعركة بين الجديد والقديم وقد خاض هذه المعركة في قوة وصلابه مع دعاة الجديد الذين ينادون بترك الفصحى الى العامية ، فوقف لهم بالمرصاد بما أوتي من سلاح الفكر والبيان ، ومن أشهر المعارك معركته مع طه حسين في كتابه "في الشعر الجاهلي" الذي رد فيه عليه لأنه تعرض للقرآن الكريم وللشعر الجاهلي بالتشكيك في نصوصه ، وما كان ممن الرافعي الا أن تناول الجوانب التي تحدث فيها بالرد المقنع ، والبراهين الساطعة ، ولم يقف الامر عند هذا الحد بل ألّب عليه طائفة العلماء وأقام عليه ثورة عنيفة أهاجت رجال الدين وشيوخ الأزهر ، واستطاع أن يتغلب على خصمه لان خصمه تعرض للمقدسات الاسلامية بالطعن ، هزلت به القدم وتلك قاصده الظهر .

وبذلك تمكن مصطفى الرافعي من الانتصار على خصومه ، في هذه المعركة وكان انتصارا مؤزرا بتأييد من الله لعباده المخلصين الذين أوتوا اسلحة فتاكه لكل ثائل يريد النيل من الاسلام من أبناء المسلمين الخافلين ، او من اعدائه الكافرين ، وكانت ارادة السماء أن منحت الرافعي القوة الصارمه في القضاء على كل كيد للاسلام وهذا ليس غريبا على ~~هذه~~ الاسلاميه القويه وعلى اعتداده بنفسه وطموحه الكبير الذي لا يقبل صفار الامور وانما يسعى للامجاد والعلى .

وهكذا كان الرافعي نورا وهاجا في سماء الفكر الادبي الاسلامي ، ومصدر خير لهذا الادب بما حققه فيه من روعة البيان والتبيان متضمنا المثل الاعلى للكشف

من الفضائل الاسلاميه التي لا تقتصر جوهرها بل كلما بحث الباحثون في كل
عصر ، وجدوا سعادة الانسانيه التي تنشدها في دينها الخالد ، هذا اللون
الجهيد من الادب الرافعي هو الذي أظهر وأبان أديبا اسلاميا للنفس الانسانية
التي تطمح في العزه والسمو الروحي ، فلا شراق سيكون بلا انقطاع في نفس المؤمن
اذا تجوهر بالايمان ، وتمسك بدينه فالسلام ينبع من ذاته في هذا العالم المضطرب
الذي اصبحت فيه الماديات تغلب على الروحانيات وقد استطاع الرافعي ان ينجح
في كفاحه وان يقطف ثمار هذا الكفاح في حياته . وفي سائر ان مثل هذه -
النفوس لا تموت ، طالما أنها تركت علما نافعا وراءها انها حية بتراتها الخالد
وافكارها القيمه التي تدرس ، وتبقى امثالا يحتذى بها في عالم المعرفة

الفهارس العامة

فقیر کے لئے

(أ)

ابراهيم (حافظ) ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٦ ، ٦٨
 ابراهيم عليه السلام - ٢٤٤ ، ٢٤٧ - ٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٥٦ -
 ٢٥٧

ابراهيم (محمد هلال) ٥٧

أتاتورك (مصطفى كمال) ٧٣ ، ١٣٣

ارسلان (شكيب) ٥٧ - ٦٣ - ٧١ - ٢٦٦ .

اسماعيل عليه السلام - ٢٤٤ - ٢٤٧ - ٢٥٦

الاشعري (أبو موسى) ٢٠١

الأصفهاني (أبو الفرج) ٦٦ ، ١٠٧

الأفغاني (جمال الدين) ٤١ - ٢٤٠ - ٢٦٦ - ٢٧٠

اقبال (محمد) ٤١ - ٤٤ - ٤٦ - ٤٧ - ٢٧٠

أمين (أحمد) (٢ هـ)

أمين (قاسم) ٢٤

أنطون (فرح) ٦٦

(ب)

البارودي (علي يوسف) ٢٤٠

البارودي (محمود سامي) ٥٤ - ٥٥ - ٥٧ - ١٠٤ - ١٠٥ - ١٠٦

باشا (محمد محب) ٦٢

باشا (محمد نجيب) ٧٤

البخاري ٣١

السبدري (مصطفى نعمان) (٦٢ هـ)

الابراشي (زكسى) ٧٥

البستاني ٥٥

البشرى (عبد العزيز) (٢ هـ)

البكرى (توفيق) ٥٧ - ٦٨

بمجت (أحمد) (١٣٨ هـ)

البهى (محمد) (٤١ - ٤٤ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٧ هـ)

(ت)

التميميه (سجاع) ٢٢١

(ث)

ثابت (حسان) ٢٢٤

ثابت (زيد) ١٩٨ - ٢٠٨

(ج)

الجاحظ - ٦٦ - ١٠٧ - ١٠٩ - ١٣٤

الجارم (على) - (٢ هـ)

جبريل - ١٤٩

بن جبل (ممان) ١٩٨

= ٢٧٨ =

جمال (احمد محمد) (١٠ هـ - ١٥ هـ - ١٧ هـ) - ٢٩ - ٣٠ -

(٣١ هـ - ٣٢ هـ) - ٣٤ - ٣٦ (٣٧ - ٣٨ - ٣٩ هـ) - ٢٦٩ -

جمعه (محمد لطفى) ٢٦٦

الجناحى (الشيخ على) ٩١ - ١١٣ - ١٣٢

الجندي (أنور) ٢٣١ ، (٢٣٢ هـ)

الجندي (درويش) ١٣٢ هـ - ١٣٣ هـ

(ح)

بن الحارث (النضر) ٢٢١

حداد (أمين) ٥٧

حسين (طه) ٦٢ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٩٠ - ١٣٢ -

٢٢٩ - ٢٣٠ - ٢٣١ - (٢٣٢ هـ) - ٢٣٥ - ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٤٣ = ٢٤٤

٢٤٥ - ٢٤٦ - ٢٤٧ - ٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٤

٢٥٦ - ٢٥٨ - ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٦٢ - ٢٦٣ - ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٧٠

٢٧١ - ٢٧٢

حسين (محمد الخضر) ٢٤٦ - ٢٦٦

حسين (محمد محمد) (٢٢٩ - ٢٣٣ - ٢٣٤ هـ)

الحسيني (أبي يعلى حمزه) ١٩٩

بن حكيم (هشام) ٢٠٠

حنفي (ابراهيم) ٥٧

الحوارنى (ابراهيم) ١٠١

(خ)

الخصري (محمد) ٢٢٦

بن الخطاب (زيد) ٤٢

بن الخطاب (عمر) ٤٩ - ٥١ = ١٥٢ - ١٩٣ - ٢٠٠

خفاجي (عبد المنعم) ١٠٦

خويلد (خديجة) ١٥٢

(د)

ابو الدرداء ٢٠١

الدسوقي (عمر) (١٠٣ هـ - ١٠٤ هـ) ١١٠

الدقاق (عمر) (١١١ هـ)

ديكارت ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٥٦

(ر)

الرافعي (سميد) ٥٠

الرافعي (عبد الرزاق) ٥٠

الرافعي (عبد القادر) ٤٩

الرافعي (محمد الطاهر) ٤٩

الرافعي (مصطفى صادق)

٤٠ - ٤٩ - ٥٠ - ٥١ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٧ - ٥٩ - ٦٠ -

٦١ - ٦٣ - ٦٤ - ٦٥ - ٦٦ - ٦٨ - ٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ -

تکلمة الرافعى (مصطفى صادق) ٧٥ - ٧٧ - ٧٩ - ٨٠ - ٨١ - ٨٢
 ٨٣ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢ - ٩٥ - ٩٦ - ٩٧
 - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٠٤ - ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧ - ١٠٨ -
 - ١٠٩ - ١١٠ - ١١١ - ١١٢ - ١١٣ - ١١٤ - ١١٥ - ١١٦ - ١١٧ -
 - ١١٨ - ١١٩ - (١٢٠ هـ) - ١٢١ - ١٢٢ - ١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٥ -
 - ١٢٦ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٢٩ - (١٣٠ هـ) - ١٣١ - ١٣٢ - ١٣٤ -
 - ١٣٥ - ١٣٧ - ١٣٩ - ١٤٠ - ١٤١ - ١٤٢ - (١٤٣ هـ) - ١٤٤ -
 - ١٤٥ - ١٤٧ - (١٤٨ هـ) - ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٣ - (١٥٤ هـ) -
 - ١٥٥ - ١٥٧ - (١٥٩ هـ) - ١٦٠ - (١٦١ هـ) - ١٦٢ - ١٦٣ - (١٦٤ هـ) -
 - ١٦٥ - ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧١ - ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٤ - (١٧٥ هـ) -
 - ١٧٦ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٩ - (١٨٠ هـ) - ١٨١ - ١٨٢ - ١٨٣ -
 - ١٨٤ - ١٨٥ - ١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٩ - ١٩١ - ١٩٢ - ١٩٣ -
 - ١٩٤ - (١٩٥ هـ) - ١٩٦ - ١٩٧ - ١٩٨ - (١٩٩ هـ) - ٢٠٠ - ٢٠١ -
 - ٢٠٢ - ٢٠٣ - (٢٠٤ هـ) - ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٠٩ -
 - ٢١٠ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣ - (٢١٤ هـ) - ٢١٥ - ٢١٦ -
 - ٢١٧ - ٢١٨ - ٢١٩ - ٢٢١ - ٢٢٢ - ٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٥ -
 - (٢٢٦ هـ) - ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٣٤ - ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٣٨ -
 - ٢٣٩ - ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٤٧ - ٢٤٩ -
 - ٢٥٠ - ٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٦١ -
 - ٢٦٣ - ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٦٦ - ٢٦٨ - ٢٧٠ - ٢٧١ - ٢٧٢ -
 - ٢٧٣

بن رباح (بلال) ١٥٢

رزق (نقولا) ٥٢

رضا (محمد رشيد) ٢٦٦

بن مرواحه (عبد الله) ٢٢٤

ابوريسه (محمود) (١٨٧ هـ)

(ز)

الزيات (أحمد حسن) (٣ هـ) (١٠١ هـ)

زيادة (مى) ٩٨ - ٩٩

بن زيد (أسامه) ٣٥

زيدان (جرجي) (٤ ، ٥ هـ)

زيدان (جورج) (٥٥ ، ٦١ هـ)

فريهر (جولند) ٣١

(س)

الاسدي (طلحه) ٢٢١

سرگيس (سليم) ٥٥

السطوحى (عبد الستار) (١٦٥ هـ)

بن سحود (محمد) ٤٣

سعيد (أمين) (٤٣ هـ)

أبى سفيان ٢٦٥

الاسكندر (احمد) (٢ هـ)

= ٢٨٢ =

سلامه (جرجس) (٥٦)

السيد (احمد لطفى) ٦٢ - ٢٣٥

(ش)

شرف الدين (صدر الدين) ١١٠

الشكعه (مصطفى) (١٧١ - ٢٣٥ - ٢٣٦ هـ)

شوقى ٧٦

(ص)

صبرى ٥٧

الصديق (أبوبكر) - ٣٥ - ١٥٢ - ١٩٣ - ٢٢٣

صروف ٥٥

الصلت (أميه) ٢٤٢

الصواف (محمد محمود) ١٤ - ١٧ - (٢٠ هـ) - ٢٢ - ٢٣ (٢٤ هـ)

٢٥ - ٢٧ - ٢٦٩

(ض)

ضيف (أحمد) (٢ هـ)

ضيف (شوقى) (١٠٣ هـ)

= ٢٨٣ =

(ط)

أبي طالب (علي) ١٥٢ - ١٥٤ - ١٩٨ - ٢٠١

الطوسي ٥٠

ابن طولون ٢٣٠

طه (علي محمود) ٨٣

(ظ)

الظاهري (ابراهيم) ٥

(ع)

بن العاص (عمرو) ١٤٢

ابن عباس ٢٠٢

الخدوي (عباس) ٤٩

عبد الوهاب (سليمان) ٤٢

بن عبد الوهاب (محمد) ٤٠ - ٤١ - ٤٢ - ٢٧٠

العبد (امام) ٥٧

عده (محمد) ٣ - ٤١ = ٩٣ - ١٠٤ - ١٠٥ - ٢٤٠ - ٢٦٦ -

٢٧٠

العربي ٥٧

عرفه (محمد احمد) ٢٦٦

= ٢٨٤ =

الغريسان (سعيد) (٥٠ - ٥٣ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٣ - ٦٥ - ٦٦
٦٧ هـ) (٦٩ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٦ - ٧٩ - ٨٤ - ٨٧ -
٩٠ هـ) (٩١ - ٩٣ - (٩٦ هـ) - ٩٨ - ٩٩ - (١٠٠ هـ)
١٠٧ - (١٠٨ هـ) - ١١٠ -

عطوه (ابراهيم) (١٣١ هـ) .

بن عفان (عثمان) (٢٠١)

عفيق (عبد الله) (٦٨ - ٧٥ - ٧٦)

العقار (عامر) (٧٨ هـ)

العقار (عباس محمود) (٢١ هـ) (٢٦ - ٢٧ - ٢٨ - ٦٨ - ٦٩ -

٧٣ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٢ - (١٠٠ - ١١٠) - ٢٧٠

عمون (داود) (٥٧)

على (محمد) (٤)

العنسى (الاسود) (٢٢١)

(غ)

الغمران (محمد احمد) (٢٦٦)

(ف)

فضلى (عباس) (٧١ - ٢٦٦)

فكرى (عبد الله) (١٠٥)

الطك فؤاد (٦٣ - ٦٥ - ٦٧ - ٧٤)

الفصيل (عبد الرحمن) (٤٣ هـ)

(ق)

القاضي الفاضل ١٣٤ - ٢٣٨

القاياتي (حسن) ٨٢

قربان (داود) ١٠٢

(ك)

الكاشف ٥٧

الكاظمي (عبد المحسن) ٥٤ - ٥٥ - ٥٧

كريم (سامح) (٧٧ هـ) (٢٢٩ هـ)

كسرى ٣٥

بن كعب (أبي) ١٩٨ - ٢٠١

الكندي (وائل بن حجر) ٢٢٥

الكواكبي ١٠٥

كيلاني (محمد سيد) ٦٩ (٧٠ هـ)

بن ماجة

(م)

بن ماجة (الحافظ بن أبي عبد الله محمد) (٢٦٣ هـ)

المازني ٨٣

بن مالك (كعب) ٢٢١

مبارك (زكي) ٦٨ - ٧٢

الامباني ٣

البيهقي ٢٢١

محرم ٥٧

محمد (صلى الله عليه وسلم) ١٧ - ١٩ - ٢٠ - ٢١ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٢ - ٣٥
 - ٣٧ - ٣٨ - ٣١ - ٤٦ - ١٣١ - ١٣٨ - ١٤١ - ١٤٧ - ١٤٨ -
 - ١٥٠ - ١٥٢ - ١٦٤ - ١٦٦ - ١٦٧ - ١٦٨ - ١٩٣ - ١٩٨ -
 ٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٠٧ - ٢٢١ - ٢٢٢ - ٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٥
 - ٢٢٧ - ٢٤٤ - ٢٤٨ - ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٧ - ٢٦٠ - ٢٦٣ -
 ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٦٩

محمد بن عيسى (أبى عيسى) (١٣١ هـ)

محمود (على عبد الحليم) (٢٠٥ هـ)

مخلوف (حسنين) (١٠٩ هـ)

مرزوق (عبد الصبور) (٨ هـ)

بن مسعود (عبد الله) ١٩٨ ، ٢٠١

بن المسيب (سعيد) ٩٥

مسيلة الكذاب ٢٢١

المصري ٢٢١

مطران ٥٧

مظهر (اسماعيل) ٨٠

المقدسى (أنيس) (١٠١ - ١٠٢ - ١١١ - ١٣٤ هـ)

ابن المقفع ٧٣ - ١٠٤ - ١٠٧ - ١٣٤ - ٢٢١

نبتة المقوقس (أرماتوسية) ١٤٢

المنظوطى (مصطفى) ٥٧ - ٦٨ - ١٠٤

موسى (سلامه) ١٨٢ - ١٨٤ - ٢٢٩ - ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٥

المويلحى ٥٥ - ٥٦ - ١٠٢ - ١٠٥ - ٢٤٠

= ۲۸۷ =

المیدانی (عبدالرحمن حبشک) (۱۳ هـ)

(ن)

ناصر (حفی) ۷۰ - ۱۰۲ - ۱۰۵

النجمی (محمد) ۵۷

ابن الندیم ۱۹۸

نسیم ۵۷

نشأت (کمال) ۱۰۹

(و)

واصف (محمود) ۵۷

وجدی (محمد فرید) ۲۶۶

(ی)

الیاذهی (ابراهیم) ۵۵ - ۵۶ - ۶۶

الیاذهی (ناصر) ۱۰۱

(هـ)

هرقل ۳۵

الهنداوی (۱۱۱ هـ)

هوار ۲۶۰

هوجو (فیکتور) ۶۶

هیگل (محمد حسین) ۲۳۵

قائمة

للصاوير و التفرع

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبعة	دار النشر
(١)	(١)		
(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي المعاصر	محمد محمد حسين	الطبعة الثالثة	دار النهضة سنة ١٣٩٢ هـ العربية للطباعة ١٩٧٢ م والنشر بيروت
(٢) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها التبشير ، الاستشراق بالاستعمار	عبد الرحمن حنينك الميداني	الطبعة الاولى	دار القلم = سنة ١٣٩٥ هـ دمشق ١٩٧٥ م بيروت
(٣) الأدب الجاهلي	طه حسين	الطبعة العاشرة	دار المعارف مصر .
(٤) الادب المعاصر في مصر .	شوقي خريف	الطبعة الخامسة	دار المعارف بمصر
(٥) اعجاز القرآن والبلاغ النبوي	مصطفى صادق الرافعي	الطبعة التاسعة	دار الكتاب ١٣٩٣ هـ العربي بيروت ١٩٧٣ م لبنان
(٦) أغاريد الرافعي	مصطفى نعمان البدرى	—	وزارة الثقافة والاعلام ، دار الرشيد للنشر العراق .
(٧) أنبياء الله	احمد بهجت	الطبعة الثالثة	دار الشرق سنة ١٩٧٥ م القاهرة - بيروت
(٨) أوراق الورد	مصطفى الرافعي	الطبعة الثامنة	المكتبة التجارية ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م

اسم الكتاب اسم المؤلف المحقق الطبعة دار النشر

(ب)

٩) البيان والتبيين الجاحظ تحقيق حسن الصندوقي
عبد السلام هارون

(ت)

١٠) تاريخ الأدب العربي احمد حسن الزيات - الطبعة الخامسة دار نهضة
والمشرون مصر للطبع والنشر الفجالة
القاهرة

دار الهلال

١١) تاريخ آداب اللغة العربية جرجس زيدان

الطبعة الرابعة دار الكتاب العربي

١٢) تاريخ آداب العرب مصطفى الرافعي

١٣٩٤ هـ بيروت لبنان
١٩٧٤ م

١٣) تاريخ التعليم الايجنبى جرجس سلامه

المجلس الاعلى

فى مصر فى القرنين التاسع

لرعاية الفنون

عشر والعشرين

والادب والعلوم

الاجتماعى نشر

الرسائل الجامعيه

المجلد الاول دار الكاتب

١٤) تاريخ الدوله للسموديه أمين سميد

سنة ١١٥٨

١٣٠٧

الطبعة دار الكتاب

مصطفى الرافعي

١٥) تحت رآيه القرآن

المعركة بين القديم

والجديد .

السابعة العربى

سنة ١٣٩٤ بيروت لبنان

١٩٧٤ م

الطبعة السادسة دار العلم

أنيس المقدسى

١٦) تطور الاساليب النشره

للملايين بيروت

١٩٧٩ م

فى الادب العربى

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبعة	دار النشر
------------	------------	--------	-----------

(ج)

١٧- الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى	لا بسى عيسى محمد بن عيسى بن سوره تحقيق ابراهيم عطو	المجلد الرابع	مكتبة الثقافة - قطر دار الفكر - بيروت
١٨- الجانب الاسلامى فى ادب مصطفى الرافعى .	عبد الستار السطوحى	الطبعة الاولى ١٣٩١ هـ ١٩٧١ م	

(ح)

١٩- حديث القمر	مصطفى الرافعى	الطبعة السابعة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م	دار الكتاب العربى بيروت - لبنان
٢٠- حقائق الاسلام واباطيل خصومه	عباس العقاد	الطبعة الثالثة ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م	دار الكتاب العربى للنشر - بيروت
٢١- حياة الرافعى	سعيد العريان	الطبعة الثالثة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م	مطبعة الاستقاء بالقاهرة

(د)

٢٢- دراسات فى الادب العربى تلخيص	محمد عبد المنعم خفاجى		مكتبة الزهر
وتدريسه .			

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبعة	دار النشر
------------	------------	--------	-----------

(ر)

٢٣- رسائل الازان	مصطفى الراقى		دار الكتاب العربى بيروت - لبنان
٢٤- رسائل الراقى	جمع وترتيب محمود ابو ريسه .	القاهرة ١٩٥٠ م	
٢٥- الرمزه فى الادب العربى .	درويش الجندى		دار نهضة مصر للطبع والنشر الفجالة - القاهرة

(س)

٢٦- ساعات بين الكتب	عباس العقاد	١٩٢٩ م	منشورات المكتبة المصرية - بيروت صيدا .
٢٧- السحاب الاحمر	مصطفى الراقى	الطبعة السابعة ١٣٩٤ - ١٩٧٤ م	دار الكتاب العربى بيروت - لبنان

(ط)

٢٨- طه حسين حياء وفكره فى ميزان الاسلام	انور الجنورى	الطبعة الاولى ١٣٩٦-١٩٧٦ م	دار الاعتصام
٢٩- طه حسين الشاعر الكاتب	محمد سيد كيلانى	الطبعة الاولى سنة ١٩٦٣ م	

اسم الكتاب اسم المؤلف الطبعة دار النشر

(ع)

- ٣٠- عبقرية محمد عباس العقاد الطبعة الثانية دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان ١٩٦٩ م
- ٣١- العقاد في معاركه
الادبية والفكرية سامح كريم الطبعة الاولى دار القلم - بيروت
لبنان ١٩٨٠ م
- ٣٢- على السفود مصطفى الرافعي — دار العصور للطبع
والنشر

(غ)

- ٣٣- الغزو الفكري اعداده د. عبد الصبور مرزوق
ووسائله مؤسسة مكة للطباعة
والاعلام .
- ٣٤- الفكر الاسلامي الحديث د. محمد البهي
الحديث وصلته
بالاستعمار العربي الطبعة السادسة دار الفكر بيروت
لبنان ١٩٧٣ م
- ٣٥- الفنون الادبية واعلامها أنيس المقدسي
في النهضة العربية
الحديثه . الطبعة الثانية دار العلم للملايين
بيروت ١٩٨٧ م
- ٣٦- في الادب العربي عمر الدسوقي الطبعة السابعة دار الفكر العربي
الحديث ١٩٧٠ م

(ك)

- ٣٧- كتاب الهلال حسنين مخلوف — دار الهلال
مصطفى الرافعي
حياته وأدبه

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبعة	دار النشر
------------	------------	--------	-----------

(م)

٣٨- لمحات من حياة العقاد المجهوله	عامر العقاد	الطبعة الاولى ١٩٦٨ م	دار الكتاب العربي
٣٩- ما يقال عن الاسلام	عباس العقاد	الطبعة الثانيه ١٩٦٦ م	دار الكتاب العربي بيروت - لبنان
٤٠- المخططات الاستعماريه لمكافحه الاسلام	محمد محمود الصواف	—	مكتبات الدار السموده للنشر
٤١- المختار من أدب الرافعي	صدر الدين شرف الدين	—	دار الكتاب العربي
٤٢- المساكين	مصطفى الرافعي	الطبعة السابعة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م بمصر	المكتبه التجاريه الكبرى
٤٣- مستقبل الثقافه في مصر	طه حسين	—	مطبعة المعارف - ومكتبتها بمصر
٤٤- مصطفى الرافعي كاتباً عربياً ومفكراً اسلامياً	مصطفى الشكعه	الطبعة الثانيه ١٣٧٨ هـ	عالم الكتب بيروت مكتبة المتنبي القاهره
٤٥- معارك طه حسين الادبيه والفكرية	سامح كريم	—	دار القلم بيروت ، لبنان
٤٦- مع الرافعي الكاتب ومستخرج من حوليات كلية العلوم	عمر الدسوقي	العام الجامعي ١٩٦٨ - ١٩٦٩ م	—
٤٧- مقترحات علي الاسلام	احمد محمد جمال	الطبعة الثانيه ١٩٧٣ م - ١٣٩٣ هـ	دار الفكر بيروت

=====

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبعة	دار النشر
٤٨- المفصل في تاريخ الادب احمد الاسكندري	١٣٥٢ هـ	لجنة التأليف	
المري	احمد أمين	١٩٣٤ م	والترجمة والنشر
	على الجارم		
	عبد العزيز البشري		
	احمد ضيف		
٤٩- المقتبس من وحى القلم	خليل الهنداوى	—	دار القلم الكويت
	عمر الدقاق		دار الشرق بيروت
	مصطفى الرافعى		
٥٠- الموسوعة الميسرة	باشراف شفيق غربال	الطبعة الثانية	مؤسسة فرانكلين

(ن)

٥١- نحو أدب اسلامي	د . على عبد الحليم محمود	—	جامعة الامام محمد بن سعود الاسلاميه البحوث والدراسات
معاصر ، مصطفى صادق			
الرافعى والاتجاهات			
الاسلاميه فى أدبه			
٥٢- نشأة النشر الحديث وتطوره	عمر الدسوقي	—	دار الفكر العربى
٥٣- نقش كتاب فى الشعر الجاهلى .	محمد الخضر حسين	—	المكتبة العلميه بيروت ، لبنان

(و)

٥٤- وحى القلم	مصطفى الرافعى	—	دار الكتاب العربى بيروت ، لبنان
---------------	---------------	---	---------------------------------

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

=====

- المقدمة : امداف البحث ، منهج البحث ، المحاولات (أ)
السابقة في الموضوع .

الباب الأول

- ١ الحياة الدينية في عصر الرافعي

الفصل الأول : العناية بالعلوم الحديث و أعمال العلوم الدينية (٢ - ٧)

- ٢ الكتاتيب الأولى
٣ المعاهد الدينية و على رأسها الأزهر
٤ المكتبات العامة
٦ التعليم الأجنبي في مصر
أعمال الكتاتيب الأولى و أثر ذلك
٦ في القضاء على أهم المراكز لتحفيظ القرآن

الفصل الثاني : الفـزـو الفـكـرى (٨ - ١٠)

- ٨ أ - معنى الفزو الفكري و امدافه
ب - طلاب البعثات العلمية و اختلاطهم في
المجتمعات الاوربية بالمقلات العقلانية
٩ المتحرره من قيود الاديان السماوية

الفصل الثالث : التعصب الديني : (١١ - ٣٩)

- ١١ أ - الحملات التبشيرية للدين المسيحي
و أثرها في بلبلة العقول .
١٢ ب - الطعن على الاسلام و كثرة الجدل بين
المسيحيين و المسلمين .
١٣

١٥	شبهات حول الدين
١٦	ما قالوه عن القرآن
١٧	ما قالوه عن الرسول (صلى الله عليه وسلم)
١٨	الدرس والتشكيك في السنه
١٩	تشويه الاعداء لموقف الاسلام من المرأة
	موقف الصوفاء من هؤلاء في كتابه (المخططات
٢١	الاستعمار له لمكافحة الاسلام)
٢٣	مساوي الاختلاط بين الفتيان والفتيات في المجتمع
٢٤	تشويه معنى الجهاد وقيام الاسلام بالسيف
	المؤلفات الدينية التي تظهر نور الاسلام
٢٨	وتناغم المتحاملين عليه " مفتريات على الاسلام "
٣٠	الحديث النبوي في نظر المستشرقين
٣١	الافتقار الاسلاميه أسبابها
٣٤	واهدافها
٣٦	بعض المطاعن التي تعرض لها المستشرقون على الاسلام
٣٧	زواج النبي (صلى الله عليه وسلم)
٣٨	مزاعمهم أن الطلاق في الاسلام قسوة وظلم للمرأة
(٤٠-٤٧)	الفصل الرابع: التقاليد الموروثة

٤٠	انتشار البدع والخرافات
٤١	الاصلاح الديني
٤٢	الاصلاح الديني في نجد
٤٤	محمد اقبال وحركته الاصلاحية

الباب الثاني

٤٨

حياة الرافعي

(٨٧ - ٤٩)

الفصل الأول : أسرته ومولده

الفصل الثاني : نشأته التعليميه وثقافته الخاصه (دينية ومدنية)

٥١

وأثرهما في تكوين شخصيته الاسلاميه المجامدة

٥٤

شيوخه في الادب

٥٥

شاعر الحسن

٥٨

الرافعي وشعراء عصره

٦٠

الرافعي وافاني الشعب

٦١

من الشعر الى الكتابة

انشاء الجامعة المصريه

٦٢

وتاريخ آداب العرب

٦٨

الرافعي والنقد

٦٩

بين الرافعي وطه

٧٢

الرافعي وكتيله ومنه

٧٤

الرافعي شاعر الملوك

٧٥

الرافعي وعبد الله عفيفي

٧٧

بين الرافعي والعقاد

٨٢

فترة جمام

٨٥

كيف كان يكتب

٨٦

نقله اجتماعية

٨٧

وفاته

الباب الثالث

٨٨

أدب الرافعي

(٨٩ - ٩٠)

الفصل الاول : آثاره العلمية

٨٩

تاريخ آداب العرب

٩٠

تحت راية القرآن

(٩١ - ١٠٠)

الفصل الثاني : آثاره الأدبية

٩١

المساكين

٩٢

وحي القلم

٩٦

حديث القمر

٩٨

رسائل الاحزان

٩٨

السحاب الاحمر

٩٩

أوراق السورد

١٠٠

ديوان الرافعي

١٠٠

ديوان النظرات

١٠٠

على السفود

الفصل الثالث : أسلوبه وخصائصه الفنية مع التمهيد له بتطور الاساليب (١٠١ - ١٣٥)

وتحررها من الصناعة اللفظية التي غلبت على الادب في

العصر العثماني .

١٠١

النثر الادبي بين عصرين

١٠٣

حركة تحرر وانطلاق

١٠٧

أسلوب الرافعي

١١١

الرافعي القصصي

١١٢

الرافعي المترسل

١٣٢

الرمزية في أدب الرافعي

المباب الرابع

١٣٦

مظاهر الاتجاه الديني في أدب الرافعي

(١٩٢-١٣٧)

الفصل الأول : مقالاته في الإصلاح الديني

١٣٧

الاشراق الالهى وفلسفة الاسلام

١٤٢

اليامتان (في فلسفة المغازى والفتوحات الاسلامية)

١٤٧

الاسراء والمعراج

١٥٢

وحى الهجرة

١٥٥

حقيقة المسلم

١٦٠

سمو الفقر (في المصلح الاجتماعي الاكبر)

١٦٢

الانسانية العليا

١٦٥

الله أكبر

١٦٨

قرآن الفجر

١٧٠

شهر للشورى (فلسفة الصيام)

١٧٤

تجديد الاسلام

١٧٨

في مخنة فلسطين

١٨٢

المرأة والميراث

١٨٦

حجاب المرأة المسلمة

١٨٩

الأجنبي

١٩١

لحوم البحر

(١٩٣-٢٦٦)

الفصل الثاني : مؤلفاته الدينية

١٩٣

اعجاز القرآن والبلاغ النبوي

١٩٦

القرآن

١٩٨

تاريخ القرآن جمعه وتدوينه

٢٠٠

القراءة وطرق الاداء

٢٠٢

مفردات القرآن

٢٠٣

الجنسية العربية في القرآن

٢٠٦

آداب القرآن

٢١٠	القرآن والمعلوم
٢١٢	حقيقة الإعجاز
٢١٣	أسلوب القرآن
٢١٥	نظم القرآن
٢١٦	الحروف وأصواتها
٢١٧	الكلمات وحروفها
٢١٩	الجميل وكلماتها
٢٢٢	البلاغ النبوي
٢٢٣	اجتماع كلاًه وقلته (صلى الله عليه وسلم)
٢٢٤	نفي الشعر عنه (صلى الله عليه وسلم)
٢٢٥	تأثيره في اللغة صلى الله عليه وسلم
٢٢٧	نسق البلاغ النبوي
٢٢٨	كتاب تحت راية القرآن والرد على طه حسين
٢٢٩	في كتابه " في الشعر الجاهلي " .
٢٣٦	ما هو المذهب الجديد
٢٣٨	اختلاف الرافعي مع المجددين
٢٤١	قال انما اوتيته على علم بل متى فتنة
٢٥٦	عصبية طه حسين على الاسلام
٢٦٢	كتاب في الشعر الجاهلي (رأى لجنة العلماء فيه)
٢٦٧	الخاتمة
٢٧٤	الفهارس العامة
٢٧٥	فهرس الاعلام
٢٨٨	المصادر والمراجع
٢٩٦	فهرس الموضوعات